د. محمد رأفت عثمان : مرونة الشريعة جعلها تستوعب كل مستجدات العصر

تأسست عام 1385 هـ-1965 م

الوعي الإسلامي

العدد 475 - السنة (42) - ربيع الأول 1426 هـ - أبريل / مايو 2005 م

هل التمييز العنصري له أساس علمي؟!

كيف يرى بعض أدباء الغرب نبينا محمد ﷺ؟

الربح أكيد معنا

عند الإشتراك او تجديد اشتراكك بـ 7.500 د.ك في :

الوعي الإسلامي يراعم الإيمان

احصل على هديتك فوراً

مجلتان في آن واحد

العديد من الجوائز القيمة

اتصل بنا الآن
844 044
يصلك مندوبنا

الجابرية - قطعة ٩ - شارع ٢٠ - منزل ١١
هاتف: ٨٤٤٠٤٤ فاكس: ٥٣٤٨٩٥٤

وكيل التوزيع شركة الخليج لتوزيع
الصحف والمطبوعات هاتف: ٤٨١٦٨٨٥

الافتتاحية

مشروعنا الحضاري وآلية التغيير

أمتنا اليوم تحاول جاهدة النهوض من كبوتها وانكفائها على نفسها للحاق بركب المسيرة الحضارية المعاصرة يحدوها في ذلك أمل وشوق كبيران لاستعادة الدور الريادي الفاعل والمؤثر الذي مارسته لقرون عديدة نعمت خلاله ومعها كل الأمم والشعوب التي انضوت تحت لواء الدولة المسلمة بالأمن والطمأنينة والسلام والتقدم والازدهار.

إن أسس النهضة التي أرساها النبي الكريم صلى الله عليه وسلم يوم بعث بالرسالة الخاتمة هي عينها لم تتغير، والواقع الذي بعث فيه الرسول صلى الله عليه وسلم، وغيّره بصبره وبذله وعطائه لا يختلف عن واقع اليوم إلا في المظهر والشكل، بينما الجوهر واحد، فإذا كان الناس في عالم الأمس قد عاشوا في بيئة ضيقة وعكفوا على عبادة الأصنام واتباع الشهوات وشن الحروب من أجل السلب والنهب وتحقيق المصالح والرغبات، فإن عالم اليوم رغم اتساعه وتوافر وسائل السفر والاتصال أضيق بأهله من عالم الأمس بعد أن ضيقته المادية التي لا تعرف إلا العكوف على الشهوات والملذات، وخنقته الأثرة التي لا تسمح لاثنين بالعيش في منطقة واحدة، فكان ما نشاهده من صراعات دامية مدمرة يغلب عليها طابع الأنانية والمصالح العنصرية الضيقة التي تريد الاستئثار بكل شيء على حساب الشعوب الأخرى.

إن في كتاب الله وفي سيرة رسوله صلى الله عليه وسلم أرضية صلبة وقاعدة متينة لإخراج المجتمع المسلم والمجتمعات الإنسانية المعاصرة، مما حصل لها من منغصات وقلق واضطراب، فقد جنينا على أنفسنا جناية عظيمة يوم نحّينا هذا النهج ورحنا نبحث يميناً وشمالاً عن مخرج لنا، فإذا هو (كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً) النور:٣٩.

إن مشروع الأمة الحضاري المستمد من الكتاب والسنة القائم على دعامتين أساسيتين، هما الاستخلاف والأمانة، يجب أن يكون شاملاً لكل مناحي الحياة بحيث إذا سئلنا عن أي قضية معاصرة سواء في الرياضة أو في الفن أو السياسة أو الاقتصاد أو غيرها من القضايا، وجدنا لها الحل والجواب الشافي والمفصل في منهجنا المتوازن والمتكامل... نحن لا نريد لمنهجنا أن يركز على ناحية ويهمل أخرى حتى لا نسمح للخصوم بتوجيه أصابع القصور والاتهام إليه، فنحن لا نخاف على منهجنا من التراجع أمام الأيديولوجيات الأخرى، لأنه منهج رباني مؤيد من الله محفوظ بحفظه ورعايته: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) الحجر:٩.

ومن ناحية أخرى، إن مشروع الأمة الحضاري المنشود يجب ألا يبقى نظرياً بل يجب أن يتضمن آلية التغيير التي تحدد الوسائل والأولويات والمراحل والأوقات التي ينفذ فيها، فمن دون هذه الآلية التغييرية لا يمكن لمشروعنا أن ينجح أمام طوفان المتغيرات العالمية.

إنها دعوة لإقران مشروعنا الحضاري بآلية التنفيذ لتحول مفرداته إلى قيم سلوكية وفعل حضاري منهجي منظم قادر على البناء وإعمار الأرض التي استخلفنا الله عليها ■

الوعي الإسلامي

الوعي الإسلامي

إسلامية • شهرية • جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

العدد 475 - العام الثاني والأربعون - ربيع الأول 1426 هـ - أبريل / مايو 2005 م

كلمة العدد

مرتكزات على طريق النهضة

أعزاءنا القراء:

ركزنا من خلال موضوعات هذا العدد على ثلاثة محاور رئيسة، أولها أن الإسلام دين محبة وتسامح والعنصرية المقيته لا وجود لها في مفرداته وليس لها أساس علمي كما يدّعي بعض الباحثين حين ربطوا بين العلم والعنصرية، وثانيها أن سيرة الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم منهج ثرّ ومعين لا ينضب على مرّ العصور والدهور يستقي منه المسلمون كل مايصلح أحوالهم ويأخذ بأيديهم إلى معارج النهضة والتقدم، والفاعلية الإيجابية المؤثرة في المسيرة الحضارية والإنسانية، وثالثها أن الإسلام دين الوسطية ولا وجود لمفهوم الإرهاب في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهّرة وأن الغلو في الدين له آثار سلبية مدمرة على حياة الأفراد والمجتمعات، ومن واجب الدعاة والمفكرين حين يضعون استراتيجيات وبرامج إصلاحية لتجديد الخطاب الديني أن يضعوا نصب أعينهم هدفاً محدداً ثابتاً هو ردم الفجوة بين المثال والواقع وبين النظرية والتطبيق، وألا يسمحوا أبداً باتساعها لأنه كلما ازدادت هذه الفجوة اتساعاً احتاج الأمر جهداً أكبر في المعالجة، فهل نوفر على أنفسنا الوقت والجهد ونتطلق وفق مرتكزات واقعية صحيحة هذا ما نأمله والله الهادي إلى سواء السبيل ■

الوعي الإسلامي

في هذا العدد

دراسات

30

السيرة النبوية في دراسات المستشرقين الفرنسيين

المستشرقون الفرنسيون أعتبروا أقرب الفئات الاستشراقية انصافاً للحقيقة وأقتراباً من الواقع .. ترى ما أسباب ذلك الموقف وهل له علاقة بالخلفية الدينية لهم؟

فكر

36

الغلو في الدين وأثره المجتمعي السلبي

هل عرفت المجتمعات البشرية عبر تاريخها الغلو في الدين؟ وهل لسلوك الأفراد وتصرفات المجتمع علاقة بذلك؟ وهل ضعف الفقة بالتنزيل وضعف الفهم بفقه التغيير من صفات من وقعوا في هذه الآفة؟

طب

62

موضع الجين ودوره في الخلية البشرية

في عصر الثورة الجينية لابد من تحديد موضع الجين ودوره في الخلية البشرية لأن الجينات تمثل تسجيلاً كاملاً للتعليمات اللازمة لصنع جزيء محدد وغالباً ما يكون بروتينا

إقرأ في العدد اللاحق

الأمن الشامل في الإسلام
د. حسن عبد الغني أبو غدة

علم أصول الفقه
عمر ميركي

مشكلة الفقر في العالم الإسلامي
د. حسن محمد الرفاعي

البعد العالمي في الخطاب القرآني
عبد الكريم حامدي

المراقب الإداري والمالي
خالد عبداللطيف بوقماز

إدارة التحرير
نعام احمد الصباغ
التحرير
احمد توفيق هلال

الاخراج والتنفيذ
عماد احمد وحيد

المجلة غير ملتزمة باعادة اي مادة تتلقاها للنشر. والمقالات لا تعبر بالضرورة عن راي الوزارة او المجلة

موضوع الغلاف

11

أنصار العنصرية في العالم يزعمون أن العلم يؤيد دعواهم انطلاقاً من لون البشرة لكن الأبحاث العلمية الموثوقة فندت هذا الزعم ودحضت التميز العنصري وهدمته من أساسه.

موقع الوزارة على شبكة الانترنت Homepage: www.islam.gov.kw

موقع المجلة على شبكة الانترنت www.alwaei.com

المحتويات

٣	الافتتاحية/ المشروع الحضاري وآلية التغيير	الوعي
٤	كلمة العدد/ مرتكزات على طريق النهضة	التحرير
١١	هل التمييز العنصري له اساس علمي؟	د. عبد الرحمن النمر
١٤	نضال وسط الزحام/ من تجارب التفرقة العنصرية في جنوب افريقيا	الخضر عبد الباقي محمد
١٦	حوار/ مع د. محمد رافت عثمان	محمد خليل محمود
١٨	دعوة/ نحو اسلوبية للرحمة في الخطاب القرآني	د. محمد إقبال عروي
٢٢	السراج المنير/ من وحي السيرة النبوية العطرة	د. حسن فتح الباب
٢٤	كيف يرى بعض أدباء الغرب نبينا؟	إبراهيم مويري
٢٥	نبي الإسلام في كتب البراهمة والزرادشتية والصابئة	جمال الحسيني
٢٦	السراج المنير/ شخصية الرسول في عيون الشعراء الغرب النصارى	جلال صبري شماس
٢٨	منهج الأخلاق الإسلامية سلاح المؤمن	د. ماهر عباس
٣٠	السيرة النبوية في دراسات المستشرقين ٢/١	د. حسن عزوزي
٣٤	فكر / منهجيات الإصلاح والتجديد الإسلامي ٢/١	شاكر عبدالقصود
٣٦	فكر / الغلو في الدين وأثره السلبي في حياة الفرد والمجتمع ٢/١	د. أحمد العمراني
٤١	أصول فقه / المنهجية الأصولية	عبد الله المودن
٤٤	دراسات قرآنية / مفهوم الإرهاب في القرآن الكريم	د. أحمد عيساوي
٤٩	خاطرة / أمراض المجتمع	د. زيد محمد الرماني
٥٠	حضارة / خصائص الحضارة الإسلامية	د. فاضل محمد الكبيسي
٥٢	دراسات قرآنية/ في سورة يوسف، دروس للشباب في كل زمان ومكان	د. أحمد علي طلب
٥٥	تربية / كيف نمتلك الصحة النفسية؟	غازي التوبة
٥٨	ثقافة / الغزو الثقافي للعالمين العربي والإسلامي هل هو حقيقة؟	د. محي الدين عبد الحليم
٦٠	علوم / عسل النحل سمة غذاء ودواء	د فاتن أحمد عازي
٦٢	طب / موضع الجن ودوره في الخلية البشرية	عبد الفتاح محمود ادريس
٦٨	البيت المسلم/ دور الآباء في غرس الإيمانية البشرية	فتحية صديق شندي
٧٠	الغيرة بين الأبناء ظاهرة يصنعها الآباء	صلاح محمد ابو زيد
٧٢	فجاءه إحداهما تمشي على استحياء	نبيله عبد العزيز
٧٤	التبول اللاإرادي عند الأطفال	د. محمد مصطفى
٧٦	صحافة الأطفال والدور المطلوب	السري
٧٧	كيف تتعامل الأم مع بدانة طفلها	ليلى عبد الكريم حسن
٨٠	الذكر الزوجي	ليلى عبدالرحمن
٨٢	الدبلوماسية المفقودة	منى السعيد الشريف
٨٣	حديث النفس بالطلاق هل يقع فيه طلاق ؟	محمود النجيري
٩٨	مسك الختام/ صفحات مشرقة من حياة الرسول ﷺ	د. رفيق حسن الحليمي

الأبواب الثابتة

• الافتتاحية • كلمة العدد • تواصل • اتجاهات • أنشطة الوزارة • الساحة الأدبية • الوعي دوت كوم • قطوف إسلامية • منبر الوعي • الوعي الاقتصادي • نافذة على العالم • والله أعلم • مسك الختام

الوعي الإسلامي

Islamic Monthly Magazine, Published By The Ministry of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

Al-Waei Al-islami
P.o. Box 23667 Safat
13097 Kuwait
TEL.: 844 044 / 5348 974
FAX : (+965) 5348954

Adm. & Fin. Controller
Khaled A. Buqammaz

Editing Director
Tammam A. Al-Sabbagh

Editor
Ahmad T. Helal

Art Designer
Imad A. Wahid

الإشتراكات

• داخل الكويت - للأفراد ٧,٥ دنانير - للمؤسسات ١٥ دينارا كويتيا
• الدول العربية - للأفراد ١٠ دنانير كويتية (او مايعادلها).
• دول العالم - لأفراد ٢٠ دينارا كويتيا (او مايعادلها).
• للمؤسسات - ٢٥ ديناراً كويتياً (او مايعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى إدارة المجلة باسم مجلة الوعي الإسلامي [الرجاء عدم ارسال عملات نقدية]

المراسلات

رئيس التحرير مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧
الصفاة 13097 - الكويت
هاتف:
٨٤٤٠٤٤ / ٥٣٤٨٩٧٤
فاكس:
(+٩٦٥) ٥٣٤٨٩٥٤

الأسعار

• الكويت : ٥٠٠ فلسا • السعودية : ٧ ريالات • البحرين : ٥٠٠ فلس • قطر : ٧ ريالات • الإمارات : ٧ دراهم • سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن : دينار واحد • مصر : ٢ جنيه • السودان : ٥٠٠ جنيه • سوريا : ٢٠٠ أوقية • تونس : ٢ دينار • الجزائر : ١٠ دنانير • اليمن : ٧٠ ريال • لبنان : ٢٠٠٠ ليرة • سورية : ٣٠ ليرة • المغرب : ١٠ دراهم • ليبيا : دينار واحد • اوروبا : ١,٥ جنيه استرليني او مايعادله • امريكا ودول العالم : ٣ دولارات أو مايعادلها.

التوزيع

وكيل التوزيع شركة الخليج لتوزيع الصحف والمطبوعات هاتف: ٤٨١٦٨٨٥ - فاكس: ٤٨٣٦٦٨٠ - ٤٨٤١٠٢٦ - ص.ب ٤٢٠٥٧ الشويخ 70651 الكويت

• السودان - الخرطوم - العمارات - شارع ٣٧ - ص.ب ١١١٩ - دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع - ت ٧٩٣٢٨٣ (٠٠٢٤٩١١٣٠) ف ٧٩٣٢٨٤ (٠٠٢٤٩١١) • اليمن - عدن - ص.ب ٦٤٨ - ت ٢٥٥٦٩٢ / ٢٥٥١٧٠ (٠٠٩٧٢) ف ٢٥٩١٦٣ - دار ومكتبة ٢٩ سبتمبر • لبنان - شركة التاشرون لتوزيع الصحف والمطبوعات - ت ٧٧٠٨٨ / ٣٧٧٠٠٧ ٠١ (٠٠٩٦١) ص.ب ٢٥/١٨٤ • سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت ٢١٢٩٢٩٨ / ٢١٢٠٣٢٩ (١١ ٠٠٩٦٣) ف ٢١٢٢٥٣٢ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات • الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ - رمز بريدي ١١١١٨ - ت ٤٦٣٠١٩١ / ٤٦٣٠١٩٢ (٠٠٩٦٢٦) ف ٤٦٣٥١٥٢ • مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٦٦٢ - ت ٧٢٥٦١١ (٠٠٩٧٣) ف ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع • الإمارات العربية المتحدة - دبي - ص.ب ٦٠٤٩ - ت ٢٦٣٣٩٢٠ (٠٠٩٧١٤) ف ٢٦٦٣٧٦٨ - شركة الإمارات للنشر والتوزيع • مصر - القاهرة - شارع الجلاء - رمز بريدي ١١٥١١ - ت ٥٧٩٦٩٩٧ (٠٠٢٠٢) ف ٣٣٩١٠٩٦ - دار الأهرام • المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٤٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع • المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان سانس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت ٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢٠١٢٢) ف ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة الشريفية للتوزيع والصحف • سلطنة عمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذيبة - رمز بريدي ١٣٠ - ت ٥٩٧٤٥٦ / ٨٩١٩١٩ (٠٠٩٦٨) ف ٥٩٣٢٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع • قطر - الدوحة - ص.ب ٦٢٢ - ت ٤٣٥٦٠٠١ (٠٠٩٧٤) ف ٤٣٦٥٨٧٤ - دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر

التربية أساس الدعوة

حين نتعمق في الفكر قد نغفل أحياناً عن مسلمات بدهية وأساسية فنجعلها أموراً ثانوية إذا تناولنا الحديث حولها، فلا نبقي لها أهميتها الأساسية في طرحها أو تنفيذها في ساحة العمل الدعوي، من ذلك قضية التكامل التربوي وشخصية الداعية المربي الذي يربي الناس على مراعاة الأولويات والتدرج في تعليمها مثله في ذلك تماماً مثل العلماء الربانيين الذين يربون الناس على صغار العلم قبل كباره.

يجب علينا ألا نكتفي بإدراك تلك القضية ومعرفتها نظرياً بل علينا أن نعمل بمقتضاها ونسعى لتحقيقها وتطبيقها عملياً في الدعوة إلى الله عز وجل. فالتربية هي أساس سلوك الفرد في مجتمع الدعوة ويكاد الجيل المسلم الذي يطمح للإصلاح ومستقبل أفضل مما ينعكس ذلك إيجاباً على طبيعة العمل الإسلامي ويعطيه صبغة يميزه الناس بها، وقد ينطلق بعضهم حين يريد تقويم أسلوب العمل الإسلامي من منطلق التعميم في الخطأ أو الصواب لذلك فإن التربية هنا تلعب دوراً مهماً في علاقة الداعية بالتربية الدعوية فتؤتي ثمارها الطيبة في استجابة الناس وقابليتهم للخير بالسلوك الراقي في التعامل والثقة المتبادلة في العرض والطلب.

إن المفهوم التربوي الصحيح لا يفصل التربية عن الدعوة والعلم أو الجهاد والعمل للدين فهي كلها خطوط واحدة متوازية كما في الآية الكريمة: (يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة»الجمعة:٢.

ومن الشمولية في هذا المفهوم ضرورة تجاوز التربية الحزبية بين العاملين من أبناء الأمة إلى التربية الواسعة الآفاق في العمل الاجتماعي والثقافي والعملي المشتمل على أمور الدين والدنيا والمرتبط بالمجتمع والدولة.

ذلك لأن التربية هي الأساس التوجيهي لكل عمل أو فكر أو خلق ليس ذلك في العمل الدعوي وحده فإن تربية المرء مثلاً . على القيم والمبادئ النبيلة منذ صباه لا شك أن ذلك سيكوِّن شخصية تامة ومتماسكة لأنه عايش مراحل تأسيسه مرحلة مرحلة.. وخطوة خطوة.. وهكذا هو الأساس التربوي في تماسك بنيان الدعوة المرصوص... والمعين على وحده صفها وكلمتها.

محمد السيد عامر

> ترحب الوعي الإسلامي برسائل القراء، وتنشر منها ما يتوافق وسياسات النشر لديها بما لا يتعارض مع حقوق الآخرين وحرية الرأي. وتحتفظ بحق تنقيح الرسائل واختصارها.

الإسلام علاج القلق

الاستقامة على طاعة الله، والمحافظة على أداء العبادات بصدق نية، خير علاج للقلق، والوسواس، والاكتئاب.

وفي الوقت عينه، فالإسلام لا يلغي ضرورة الاهتمام بالدنيا وما فيها، لا بل من خلال آيات قرآنية كريمة يحض على طلب العلم والمعرفة وبالتالي يدعو إلى إعمار المجتمعات لخدمة بني الإنسان، ودائماً يخلق التوازن بين الدنيا والآخرة» وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنسى نصيبك من الدنيا»

محمود عبدالرحمن عثمان . سوريا

لماذا التطاول على السنة المحمدية؟

في الآونة الأخيرة، من هذه الأيام طالت ألسنة وتطاولت أقلام هجوماً على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى سيرته الطيبة الطاهرة، ونسي هؤلاء أن الله . سبحانه وتعالى . قد منَّ على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى أمته بكمال دينه، وتمام نعمته، وارتضى لهم الإسلام ديناً، قال تعالى: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليك نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً). ٣ المائدة.

ونسي هؤلاء أو تناسوا أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم جاهد في سبيل ترسيخ العقيدة السمحة حق جهاده، حتى أتاه اليقين، وتركنا على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك.

فمال هؤلاء يزيغون؟ وبسنَّة نبيهم يعدلون؟ ولمن يعملون؟ وما هدفهم الذي من أجله يسعون؟؟ وأولى لهم أن يستغفروا ربهم، ويتوبوا إليه، خوفاً من عاقبة أمر المتقولين عليه.

ياسر دويدار

القرآن يتجلى في كل زمان

القرآن والقلوب

يجب أن نعلم علم اليقين بأن القرآن الكريم يتجلى في كل زمان بالقدر الذي تتسع له آفاق عقل ذلك الإنسان، أي بالقدر الذي تزداد فيه مداركه، إن هذا لا يرجع إلى حجب بعض أنوار آية منه أو بضع آيات بل يعود ذلك إلى محدودية قدرة هذا العقل البشري وعجزه عن إدراك معظم حقائق نواميس . لا نقول هذا الكون العظيم . بل ما يحيط به في هذا الكوكب الصغير في ظل تلك العملية التلقائية لانتقال المعرفة التراكمية من جيل إلى جيل مع كل ما يستجد من إضافات أو اكتشافات، وها هي القلوب: قلوبنا التي في صدورنا نراها في زماننا هذا وقد تجلت لنا بعض أسرارها التي أشار إليها القرآن الكريم.

سعد عوض المر

رسالة خاصة

الإسلام والضوضاء

تتصاعد من وقت لآخر صيحات التنديد والاحتجاج، بسبب إساءة استخدام مكبرات الصوت في كثير من المساجد مما يسبب حرمان الأطفال والشيوخ والمرضى والعاملين بأذهانهم أو أيديهم، من نوم يريح أعصابهم ويجدد نشاطهم.

وقد أشار الإمام «محمد متولي الشعراوي» - يرحمه الله - إلى هذه الظاهرة السلبية عندما شرح قوله الله تعالى: (ادعوا ربكم تضرعاً وخفية) الأعراف:٥٥، في التلفاز المصري يوم ١٩٨٦/٧/١٨م، ولم يكتف بالقول بل توجه بنفسه إلى مساجد قريته «قادوس» وطلب إزالة مكبرات الصوت (جريدة الأهرام القاهرية» ١٩٨٦/٧/٢٩م.

وكان المجلس الأعلى العالمي للمساجد قد أصدر من قراراته قراراً نصه: «وقف البدع في الأذان سواء قبله أو بعده . والاقتصار على الصيغة الشرعية للأذان» الأهرام ١٩٨٥/١/٤م.

وغني عن التعريف، أن الإسلام هو دين النظام والذوق ومراعاة مصالح الناس الذين كرمهم الله في محكم قرآنه، وقواعده الشرعية تنص على «أنه لا ضرر ولا ضرار» و«درء المفاسد مقدم على جلب المصالح».

ولكن المحزن والمؤسف هو إعراض بعض المشرفين على كثير من المساجد عن هدي الإسلام، فالقذارة والإهمال لا تشغل بالهم، وإزعاج الناس بالضوضاء الصاخبة المنبعثة من مكبرات الصوت في المساجد والزوايا المتلاصقة تملأ الآفاق بخليط من الأصوات المتداخلة غير المفهومة التي تصدع الرؤى وتعكر الأمزجة وتعطل مصالح الناس.

يضاف إلى ذلك أن كثيراً من المؤذنين يبتعدون عن الأذان الشرعي فيضيفون إليه ما ليس منه ويهملون بعض حروفه أو ينطقونها نطقاً غير صحيح ويخطئون في قواعد اللغة العربية.

أرجو من المسؤولين عن شؤون الإسلام في بلادنا الإسلامية أن يصدروا أوامر حاسمة بمنع هذه المنكرات وجهذا لو عاد صوت المؤذن جميلاً مؤثراً من بدون مكبرات صوت، وأن يقتصر استخدام السماعات الداخلية على المساجد الكبيرة، وأن تحاط المساجد بالحدائق ذات البهجة ونتوخى البساطة في عمارتها بعيداً عن الزخارف الباهظة التكاليف، وتلحق بالمساجد مكتبات ومستشفيات وحضانات للأطفال وقاعة للمحاضرات ومكتباً لتسوية الخصومات بين المسلمين.

عوض عبدالعزيز طه . باحث في التاريخ الإسلامي . مصر

من المسؤول عن انحراف الشباب؟

من الملاحظ بوضوح في هذه الآونة انتشار الانحراف بين كثير من الشباب وقد اتخذت هذه الانحرافات اتجاهات متعددة منها «ضعف الانتماء للإسلام، وضعف التعرف إليه، العنف، اللامبالاة، والتمرد، وعقوق الوالدين، انخراط بعض الشباب في جماعات إلحادية إلخ...

ولكوني شاباً مسلماً أعرف من قرب ما يعانيه الشباب المسلم وما وصل إليه حالهم... فإننا نود أن نقول: إن اتجاهات الشباب الانحرافية ليست ناشئة في الشباب نفسه بقدر ما هي ناشئة من أسباب أخرى معظمها يتعلق بأولياء الأمور وخصوصاً في البيت والمدرسة ومن ثم المجتمع... وعلى هذا فالشباب لا يتحمل لائمة هذا الانحراف وحده بل يشاركه فيه أولياء الأمور أيضاً فقد غاب الأب والأم عن البيت والمناهج الدراسية في المدارس والجامعات تشكوا إهمالا حاداً للمواد الدينية والتربوية، وإعلامنا بكل أسف أصبح في أكثر اتجاهاته ومجالاته يلح على الناحية الجنسية ويغري الشباب بالإباحية والفجور والانحراف، وفي الوقت عينه فإن الزواج الشرعي قد أصبح أملا وحلماً صعب المنال لدى كثير من الشباب منذ تحول الزواج إلى عملية تجارة لا أكثر، وتكاد تنقدم الندوات الدينية ولقاءات التوعية للشباب حتى أصبح الشباب فريسة سهلة لدعايات الانحلال والانحراف.

وهناك أيضاً ذلك التناقض بين ما يسمعه ويقرأه الشباب وبين ما يرونه ويحسّونه داخل مجتمعهم... فهم يفتقدون القدوة الحسنة التي توائم بين متطلبات الدين ومتطلبات الحضارة. وكذلك يشكو الشباب من قلة وندرة فرص العمل، الأمر الذي ولد لديهم فراغاً كبيراً، ومن ثم يتجه الشباب لملء هذا الفراغ في المقاهي وصالات القمار وصحبة المدمنين إلخ.... الشباب المسلم يشكو من انعدام الحرية أو ضيق مجالها على الأقل... فهو يشكو الكبت وعدم التعبير عن الرأي في قضايا بلاده ومجتمعه فينضم إلى جماعات متطرفة حتى يفرض رأيه ولو وصل الأمر به إلى العنف واستعمال السلاح. وهذه وغيرها من أسباب الانحراف التي يتحمل الكبار فيها النصيب الأكبر.

محمد عصود أحمد . مصر

تنسيق بين الأوقاف والتربية لاختيار مقرات «السراج المنير»

اجتمع وكيل وزارة الأوقاف د.«عادل الفلاح» مع وكيل وزارة التربية د.حمود السعدون وضم الاجتماع كلا من د.«نورية الصبيح» وكيل وزارة التربية المساعد للتعليم العام ومديري المناطق التعليمية على مستوى محافظات الكويت الست، كما ضم من وزارة الأوقاف الوكيل المساعد لشؤون القرآن الكريم والدراسات الإسلامية والحج الوكيل المساعد للشؤون الثقافية بالإنابة مطلق القراوي، وكلا من مدير إدارة الدراسات الإسلامية محمد العمر وسعد الحجي مدير إدارة التنمية الأسرية والمشرف العام على مراكز السراج المنير عبدالله الكمالي.

ويعتبر هذا الاجتماع الأول من نوعه حول التنسيق بين مراكز السراج المنير ووزارة التربية.

د.«عادل الفلاح»

وفي بداية الاجتماع أشار السعدون إلى تعداد طلاب المراكز والبالغ تعدادهم ١٢٥٠٠ طالب مشيراً إلى أنها تحتاج إلى التنسيق بين وزارة التربية ووزارة الأوقاف خصوصاً فيما يتعلق باختيار المدارس التي ستكون مقراً للمراكز على مستوى محافظات الكويت.

وطرح خلال الاجتماع تشكيل لجنة دائمة للتنسيق بين وزارة الأوقاف ووزارة التربية وسيكون لها اجتماعاتها وستختص الى جانب اختيار الأماكن بمناقشة المناهج، والتدريب، والتوجيه الفني، وطرح الدكتور عادل الفلاح على الدكتور السعدون موضوع قبول أبناء الأئمة والمؤذنين في مدارس وزارة التربية، وقال الدكتور الفلاح: ان عددهم ليس بالكثير حيث لا يتجاوز ٦٠٠ طالب وكان قد سبق لوزارة الأوقاف أن خاطبت التربية بشأنهم ووعد السعدون خيرا ولاسيما أن الموضوع قيد الدراسة.

القراوي: فوز الإعلان التلفزيوني «صلاتي» بالمركز الثاني نجاح إضافي للحملة

قال مراقب الدراسات والتسويق الاعلامي في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والمشرف العام على حملة «صلاتي شي أساسي بحياتي» أحمد القراوي إن الحملة التي ينظمها المشروع القيمي لتعزيز العبادات (نفائس) نجحت في التواصل الأوسع مع جميع شرائح المجتمع الكويتي عبر وسائلها الإعلامية المتعددة، مؤكداً أنها تمكنت من التأثير في الكبار والصغار ورغم أنها موجهة بالأساس لشريحة الشباب من عمر ١٦ - ٢٢ عاماً.

وأضاف «القراوي» أن فوز الإعلان التلفزيوني للحملة بالمركز الثاني في المسابقة الأولى للأعمال الإعلامية والتسويقية التي أقامتها الأمانة العامة للأوقاف لهو دليل إضافي على نجاح أدوات الحملة في تحقيق التواصل مع أفراد المجتمع كافة وأن هذا الفوز يأتي مكملا لفوز التصميم الخاص بالحملة والتي استخدمت باصات النقل العام لعرضه بالمركز الأول كأفضل تصميم إعلاني في الكويت لشهر ديسمبر وللمرة الثانية على التوالي والذي اجرته مجلة فوكس لتقويم إعلانات الطرق.

وبين القراوي أن هذا الاختيار لم يأت مصادفة وإنما بُني على أسس مهمة في التقويم تعتمد مبادئ حرفية دقيقة حيث تميز الإعلان التلفزيوني الفائز بمجموعة من العوامل المؤثرة إيجابا.

وختم «القراوي» بتأكيد حرص القائمين على مشروع نفائس على استخدام افضل الوسائل وبحرفية عالية في ايصال رسالة المشروع النبيلة إلى جميع شرائح المجتمع.

لجنة لتأهيل الشركات لمناقصة المساجد

شكلت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية لجنة لتأهيل بعض الشركات والمؤسسات للدخول في مناقصة العقد الخاص بصيانة المساجد ويرأس اللجنة المشكلة مدير إدارة الشؤون المالية إبراهيم الصالح وتضم في عضويتها كلا من: مدير إدارة الإسناد وليد الشعيب ومدير إدارة الشؤون الهندسية داود العسعوسي ومدير إدارة مساجد محافظة الفروانية إبراهيم عبدالله الخزي ومدير إدارة مساجد محافظة حولي مرضي راشد العنزي ورئيس القسم سالم القحطاني والاختصاصي القانوني ومحمود الخطيب بالإضافة إلى كاتب حسابات المناقصات محمود سيد مصطفى وكبير مدققي الحسابات المهدي أبو سريع بحسب ماجاء في قرار صادر عن وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية د. عادل الفلاح.

وأعطى القرار الصادر الحق للجنة المشكلة في عقد اجتماعاتها بدعوة من رئيسها في غير أوقات الدوام الرسمي.

مشروعات جديدة للجنة حماية الشباب من التطرف

أعلن وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الدكتور عادل الفلاح عن إقرار اللجنة العليا لصياغة البرامج والخطط الكفيلة بحماية الشباب من التطرف مشروعات جديدة عدة.

وأوضح الفلاح أن أبرز هذه المشروعات التي وافقت عليها اللجنة في اجتماعها الذي عقدته إقامة موقع على الانترنت ودراسة «مصفوفة القيم» وإعداد الخطاب الموجه للشباب. وحول مشروع موقع الانترنت أشار إلى أنه يهدف الى الرد على الشبهات وبيان وسطية الإسلام، إضافة إلى تربية الشباب على مجموعة من المعايير التي يستطيعون من خلالها موازنة الأمور ذاتياً ومعرفة الصواب من الخطأ.

الأوقاف تصدر فتوى حول: حقوق المرأة السياسية

أصدرت إدارة الفتوى التابعة لقطاع الافتاء والبحوث الشرعية في وزارة الأوقاف الفتوى التي طال انتظارها حول الحكم الشرعي لمنح المرأة حقي الترشيح والانتخاب. على أن هذا الأمر كان ولا يزال مثار خلاف فقهي، ويجب رفعه لولي الأمر، وهو صاحب السلطة، في اصدار واقرار القوانين والقرارات حسب النظم المرعية.

حيث أوضحت الفتوى أن حكم الحاكم وهو المنوط به رفع الخلاف في المسائل الاجتهادية إذا كان رأيه في ذلك يحقق مصلحة معتبرة شرعا. وذلك وفقا لما قرره الفقهاء في قاعدة كلية شهيرة.

وأوردت الهيئة ثلاثة آراء فقهية جسدت هذا الخلاف، سواء بإقرار الحق المطلق للمرأة في الانتخاب والترشيح لمجلس الأمة أو حق الانتخاب من دون الترشيح، والثالث عدم أحقية المرأة في أي من الحقوق السياسية، سواء الترشيح أو الانتخاب.

وفيما يلي نص الفتوى

فتوى رقم ٥ هـ/٢٠٠٥

عرض على هيئة الفتوى في اجتماعيها المنعقدين يوم السبت ٢ من صفر ١٤٢٦ هـ الموافق ٢٠٠٥/٣/١٢ ، ويوم السبت ٩ من صفر ١٤٢٦ هـ الموافق ٢٠٠٥/٣/١٩ الاستفتاء المقدم من فؤاد عبد الرحمن الهاشم.

ونصه:

أعلنت الحكومة عن رغبتها في منح المرأة الكويتية حقها المتمثل بالترشيح والانتخاب بمجلس الأمة، ونود معرفة الحكم الشرعي في هذا الموضوع. والسلام ختام.

وقد أجابت الهيئة بما يلي:

تنحصر آراء الفقهاء في حق المرأة في الانتخاب والترشيح لعضوية مجلس الأمة في ثلاثة آراء:

الرأي الأول: يرى أن حق الانتخابات والترشيح لعضوية مجلس الأمة غير ثابت للمرأة، وأنه مقصور على الرجال الذين تتوافر فيهم الشروط التي حددها الفقه الاسلامي لتولي الولايات العامة- وذلك حسب رأي جمهور الفقهاء- وقال به بعض العلماء المعاصرين، وهو ما أخذت به هيئة الفتوى في فتواها السابقة ذات الرقم (١هـ/ ٨٥).

الرأي الثاني: يرى أن هذا الحق ثابت للمرأة كالرجل سواء بسواء، فيجوز لها المشاركة في الانتخاب. وكذا يجوز لها الترشيح لعضوية مجلس الأمة كالرجل. لأن كلا منهما من أهل الولاية العامة ما عدا الخلافة ، وهو يتماشى مع رأي بعض الفقهاء القدامى، وقال به بعض العلماء المعاصرين، مع الالتزام بالضوابط الشرعية.

الرأي الثالث : يفرق بين الانتخاب والترشيح لعضوية مجلس الأمة، فيرى أنه لا مانع من مشاركة المرأة في انتخاب أعضاء مجلس الأمة، كالرجل، مع الالتزام بالضوابط الشرعية، وأما الترشيح لهذه العضوية ،فلا يجوز لها وقال به بعض العلماء المعاصرين.

ولكل رأي من هذه الآراء أدلته التي استدل بها.

وترى الهيئة: أن هذه المسألة من المسائل الخلافية، وقد قرر الفقهاء في القاعدة الفقهية الكلية الشهيرة أن حكم الحاكم يرفع الخلاف في المسائل الاجتهادية، اذا كان رأيه في ذلك يحقق مصلحة معتبرة شرعا، والحاكم هنا من له سلطة إصدار وإقرار القوانين والقرارات حسب النظم المرعية.

والله تعالى أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

موجز أخبار

- استقبل وزير الأوقاف والشؤون السلامية د. عبدالله معتوق في مكتبه بالأمانة العامة للأوقاف وفد «منظمة الشباب الاسلامي» المنبثقة عن منظمة المؤتمر الإسلامي. ومن جانبه أكد الوزير على ضرورة بحث العلاقات التي تربط الضريبة بالزكاة لما يترتب على ذلك من مصلحة عليا للمجتمع.
- شارك الأستاذ يوسف العوضي وكيل الوزارة المساعد للشؤون الإدارية والمالية في الاجتماعات التحضيرية لصندوق التضامن الإسلامي واجتماع الجمعية العمومية العادية وغير العادية ببنك البحرين في مملكة البحرين واجتماع المجلس الدائم لصندوق التضامن العربي في جدة.
- أعلن مراقب إدارة الإعلام الديني في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية صلاح أبا الخيل أن الوزارة أنتجت برنامج الشمائل المحمدية التلفزيوني ليبدأ بث حلقاته على القناتين الأولى والرابعة والفضائية الكويتية خلال الدورة الحالية.
- بدأ قطاع المساجد في الوزارة تنفيذ خطته لتفعيل برامجه الثقافية في المساجد وتتضمن الخطة دروساً ومحاضرات وخطباً مميزة من شأنها المساهمة في تحقيق ونشر الأمن في الكويت والمحافظة على شريحة الشباب.
- افتتحت وزرة الأوقاف يوم ٢٠ / ٣ / ٢٠٠٥ معرض ترانيم الحروف في الخط العربي للخطاط التركي داود بكتاش، ويأتي المعرض في اطار خطة الوزارة لتطوير الفنون وتنميتها.

مخيم «فتية الكويت» ربيعي ٢٠٠٥م

د. ابراهيم الابراهيم وناصر الكندري اثناء حفل الافتتاح

الشيخ احمد الدبوس أثناء المحاضرة

مخيم «فتية الكويت» ٢٠٠٥م شعار أطلقته إدارة شؤون القرآن الكريم في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية على مخيمها الربيعي السنوي الذي أقامته مراقبة حلقات تحفيظ القرآن الكريم لطلبتها ضمن مشاركة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في فعاليات «هلا فبراير».

وكان المخيم تحت رعاية الوكيل المساعد لشؤون القرآن الكريم والدراسات الإسلامية «مطلق القراوي».

ومن ثم صرح «عبداللطيف الكندري» مسؤول المخيم رئيس قسم البرامج الثقافية والإعلامية في إدارة شؤون القرآن، أن الإدارة حريصة على تنوع أنشطتها وفعاليتها على مدار العام لتشمل البرامج الثقافية والعلمية والإسلامية والاجتماعية والترفيهية لتشجيع الطلبة للالتحاق بالحلقات وتكريماً للطلبة المتميزين.

والهدف من إقامة مثل هذه الأنشطة هو توافر الترفيه الهادف المحافظ ونوافر البديل الشرعي لطلبة حلقات تحفيظ القرآن الكريم.

وقد شارك في هذا المخيم ٣٠٠ طالب من الطلبة المميزين في الحفظ وللمرة الأولى شارك نادي الصم الكويتي، وقد تخلل برنامج المخيم مقررات وأنشطة عدة منها العلوم المرحة والدوري الثقافي ومحاضرة للشيخ «أحمد الدبوس» كانت تحت عنوان قول الله تعالى: (إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى) فقد حض الطلبة على التحلي بأخلاق القرآن الكريم والمداومة على حفظ القرآن الكريم والمراجعة المستمرة له حتى يعود عليهم وعلى المجتمع بالخير، ويكونوا قدوة حسنة في المجتمع ونبذ التطرف والانحراف.

ومن ضمن فقرات المخيم والدوري الرياضي للألعاب الشعبية، حيث كان التنافس بين الطلبة شديداً في جو إيماني، وقد قام الدكتور «إبراهيم عبداللطيف الإبراهيم» مدير إدارة شؤون القرآن الكريم بالإنابة عن الوكيل المساعد «مطلق القراوي» بتوزيع الهدايا على الطلبة الفائزين والإداريين في المخيم وفي الختام تقدم «عبداللطيف الكندري» مسؤول المخيم بالشكر الجزيل للوكيل «القراوي» وللدكتور «الإبراهيم» على جهودهما الواضحة في خدمة كتاب الله تعالى من غرس لقيم والمبادئ الإسلامية في قلوب الطلبة حتى يصبحوا لبنة صالحة في المجتمع الكويتي.

دار القرآن القرين» تنظم المسابقة الأولى لحفظ المتون العلمية

نظمت دار القرآن الكريم «القرين نساء مسائي» المسابقة الأولى لحفظ المتون العلمية لموظفات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والدارسات في دور القرآن الكريم من فئة المطور. حيث بدأ بالمحورين الأول «الحديث الشريف» والثاني «مصطلح الحديث».

هذا وقد رصدت إدارة الدراسات الإسلامية للفائزات في كل محور على حدة جوائز مالية قيمة (الفائز الأول ١٥٠ دينار، والثاني ١٠٠ دينار، والثالث ٥٠ دينار) إضافة إلى هدايا قيمة للفائزات من المركز الرابع حتى العاشر، كما يحق للمتسابقات التسجيل في المحورين.

ويذكر أن «المتسابقة» ليست مطالبة بحفظ الإسناد كاملاً ولكنها مطالبة بحفظ الراوي الأعلى بالنسبة لمسابقة الحديث، علماً بأن آخر موعد للتسجيل كان يوم ٣٠ مارس ٢٠٠٥ وموعد التسميع يوم الأربعاء ٢٧ ابريل ٢٠٠٥ .

هل التمييز العنصري له أساس علمي؟!

المؤمنون بالتمييز العنصري يدّعون أن أجناسا من البشر أرقى من أجناس أخرى، وفي زعمهم أن الإنسان الأبيض أرقى من أخيه الأسود! وعلى الرغم من أن هذا الكلام ما أنزل الله به من سلطان،إلا أن أنصار التمييز بين ولد آدم يزعمون أن العلم يسند دعواهم!

هل حقا يسند العلم أباطيل التمييز بين البشر انطلاقاً من اختلاف لون جلودهم ؟! وهل هناك دليل علمي على أن الإنسان الأبيض أرقى من أخيه الأسود؟!

الإجابة على هذه الأسئلة، وأشباهها، تأتي - عرضاً - من أبحاث الجينات.

أربعة جينات

من النتائج الطريفة التي توصلت إليها أبحاث الجينات أن جسم الإنسان،أي إنسان، يحتوي على مئة ألف (١٠٠,٠٠٠) جين «١» وكلمة «جين» «gene» هي اللفظة التي تطلق على «ناقلات الصفات الوراثية».

وهذه الجينات المئة ألف عند كل إنسان هي التي تحدد كل ما يتعلق ببنية الإنسان: طول قامته، حجم جسمه، لون عينه، لون شعره، لون جلده، شكل أصابعه، طبيعة بشرته (ناعمة أم خشنة) إلى غير ذلك من سائر الصفات الجسمانية التي يضيق المقام عن حصرها.والجينات تحدد ذلك كذلك ما إذا كان إنسان بعينه يمكن أن يصاب بمرض معين أم لا، مثل البول السكري، والنقرس وألم المفاصل الروماتيزمي، و...ما لاأحصر له إلا في مراجع الطب وعلم الجينات.

أول دليل يقدمه علم الجينات على بطلان دعوى التمييز العنصري، هو أن أربعة جينات فقط (من بين مئة ألف جين) هي التي تحدد لون جلد الإنسان، وبتعبير آخر، وبلغة الطبيعة والعلم، فإن لون الجلد صفة غير ذات بال بين سائر صفات الإنسان الجسمانية بحيث لا يتحكم فيها أكثر من أربعة جينات.

وقد ظهر من أبحاث الجينات التي أجريت على مئات حالات الزواج المختلط (بين البيض والزنوج) أن الجينات الأربعة التي تتحكم في لون الجلد هي المسؤولة عن ظهور الدرجات الأربع التي يتلون بها جلد الإنسان، والتي تقع بين اللون الأسود في طرف، واللون الأبيض في الطرف الآخر (درجتا اللون الواقعتان بين ذلك هما اللون الأسمر واللون الأصفر أو القمحي).

فيتامين «د»:

من المعلومات الطريفة التي يقدمها علم الجينات كذلك أن لون جلد الإنسان لا علاقة له بالرقي أو التخلف، وإنما يرتبط بفيتامين «د» فكيف ذلك؟!

هناك ثلاث صور (أو أنواع) من فيتامين «د» تعرف باسم «د١»، «د2»، «د3»، والصورة (أو النوع) من فيتامين «د» الموجودة في جسم الإنسان (والحيوان) هي «د3».

فيتامين «د3»، يصنع في جسم الإنسان، تحت تأثير الأشعة فوق البنفسجية الموجودة في أشعة الشمس، من أحد مركبات الكوليسترول (dehdrocholesterol). وبعد تكوّن فيتامين «د3»

> **أول دليل يقدمه علم الجينات على بطلان دعوى التمييز العنصري، هو أن أربعة جينات فقط (من بين مئة ألف جين) هي التي تحدد لون جلد الإنسان**

بقلم: د. عبدالرحمن عبد اللطيف النمر

تحت الجلد، يُعالج في الكبد ثم في الكليتين لتحويله الى مادة نشطة، تضاف الى المركب في الكبد مجموعة «هيدروكسيل»، ثم تضاف في الكلى مجموعة «هيدروكسيل» ثانية، ليتحول المركب إلى مادة فعالة بيولوجيا، ومجموعة «هيدروكسيل»، hydroxyl group، اسم كيمياوي يطلق على جزيء مكون من ذرة من الهيدروجين وذرة من الأكسجين، ويكتب رمزا : «أ» «OH».

فيتامين «د3» (في حاله النشطة أو الفعالة بيولوجيا) لازم لامتصاص الكالسيوم (الذي يتناوله الإنسان في الطعام) من الأمعاء، والكالسيوم « calcium» واحد من أهم الأملاح المعدنية في جسم الإنسان، فهو مادة بناء (أو تكوين) العظام والأسنان، ثم إنه لازم لعمل عضلة القلب، ولعمل الخلايا العصبية، ولتجلط الدم، فضلا عن دخول الكالسيوم في عشرات العمليات الحيوية في الجسم.

إذن الكالسيوم ضرورة حياتية للجسم، لهذا يحرص الجسم على توافر فيتامين «د3»اللازم لامتصاص الكالسيوم من الأمعاء، ومن دون هذا الفيتامين لايُمتص أي مقدار من الكالسيوم في الأمعاء، وبالتالي، فإن فيتامين «د3» ضرورة حياتية كذلك.

لكن ما الذي يحدث إذ كوّن الجسم مقداراً كبيراً من هذه المادة العظيمة النفع: فيتامين «د3» ؟! العجيب بشأن الجسم الحيّ أنه يحتاج إلى ما يحتاج اليه من مختلف المواد بمقدار محدد من دون زيادة أو نقصان - حتى وإن كانت تلك المادة ضرورة حياتية! وعلى ذلك، إذا زاد مقدار فيتامين «د» في الجسم عما يحتاج إليه الجسم، حدث مايسمى «التسمم بفيتامين «د» hypervitaminosis D»، ويؤدي التسمم بفيتامين «د» إلى غيبوبة يعقبها الموت.

لون الجلد

ذكرنا سلفا أن فيتامين «د» يتكون في جسم الإنسان بتأثير أشعة الشمس، وحتى لا يحدث التسمم بفيتامين «د» يتعين حماية الجسم من التأثير المفرط لأشعة الشمس في المناطق المشمسة من العالم، والاستجابة الطبيعية لذلك أن يكون لون الجلد داكنا، لأنه في هذه الحال (أي عندما يكون الجلد داكن اللون) سيمتص مقداراً قليلاً من أشعة الشمس،أي المقدار اللازم لتكوين مايحتاج إليه الجسم من فيتامين «د».

انظر إلى إحكام الصنعة وإبداع الخلقة،

تحور خلايا الدم الحمراء إلى شكل المنجل يجعلها عالية المقاومة للإصابة بلسعات الحيوان المسبب للملاريا

ليس في الطبيعة شيء عشوائي وإنما كل شيء له حكمة، وكل شيء خُلق بمقدار! وسبحان «الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى».

والناظر إلى ارتباط لون جلود البشر بالطبيعة الجغرافية للمعمورة، يدرك بسرعة صدق التفسير الذي يقدمه علم الجينات، فكلما اقتربنا من خط الاستواء- وهو خط وهمي يقسم المعمورة أفقيا إلى نصفين شمالي وجنوبي حيث يصل إشراق الشمس إلى أقصى مداه- وجدنا أن لون جلد البشر يزداد دكنة (أي يصير أغمق) رويداً رويداً إلى أن يصبح أسود قاتما، وبالمثل، لو ابتعدنا عن خط الاستواء الى شمال الأرض (أقصى الجنوب غير معمور) وجدنا لون جلد البشر يصير أفتح فأفتح الى أن يصبح أبيض تماما، وسبب ذلك- مرة أخرى - أن مقدار أشعة الشمس الذي يصل الى الإنسان الساكن في شمال الأرض قليل جدا، بحيث يلزم أن يمتص كله ليستطيع الجسم تكوين المقدار الذي يحتاج إليه من فيتامين «د»، وتحقيقا لذلك يصير لون الجلد فاتحاً تماما (أبيض).

على ذلك، فإن لون جلد الإنسان مرتبط بحاجة جسمه الى فيتامين «د» من ناحية، وبالطبيعة الجغرافية للمكان من المعمورة الذي يعيش فيه من ناحية أخرى، ولا توجد صلة من أي نوع بين جلد الإنسان وبين رقيه أو تخلفه عقليا أو جسمانيا.

تحور الجينات

يستدل من تغير لون جلد الإنسان بتغير الطبيعة الجغرافي لبيئته،على أن الجينات تهيىء الجسم للتكيف مع البيئة، بما يحفظ للإنسان صحته ويضمن استمرار وجوده، يؤكد صحة هذا الاستنتاج عدد آخر من الأدلة يسوقها علم الجينات.

تحقيق توافق الأنسجة يجرى في معامل متخصصة من خلال عملية تسمى «تصنيف الأنسجة»

وكمثال على تحور الجينات، وجود جين معين عند بعض القبائل الأفريقية يؤدي الى تغير شكل خلايا الدم الحمراء بحيث تأخذ شكل منجل (Sickle cell). وعند دراسة سبب وجود هذا الجين عند هؤلاء القوم خاصة، اتضح أن تلك القبائل تعيش في مناطق موبوءة بالملاريا، وان تحور خلايا الدم الحمراء إلى شكل المنجل يجعلها عالية المقاومة للإصابة بلسعات الحيوان الأولي المسبب للملاريا.

ويحدث هذا كما هو الحال عندما ينقل الذباب جرثومة التيفود، وكذلك ينقل البعوض جرثومية الملاريا، وهو حيوان أولي يتكاثر في بعض أطواره (بعد دخوله إلى جسم الإنسان عبر لسع البعوض) في الكبد، وفي بعض أطواره الأخرى في خلايا الدم الحمراء، وبعض أنواع الملاريا المنتشرة في أفريقيا يسبب حمى عالية تؤدى إلى موت سريع.

والجدير ذكره أن تحور الجينات لا يحدث بين يوم وليلة، ولا يظهر أثره في جيل واحد، فالطبيعة تعمل ببطء شديد، إلا أن العامل الحاث على ذلك (مثل أشعة الشمس الشديدة أو الملاريا) إذا استمر موجودا في بيئة الإنسان زمنا طويلا أي (سنوات عدة) واستمر تعرض الإنسان للعامل الحاث بصورة مستمرة، فسوف يؤدي ذلك في المدى البعيد الى حدوث تحور تدريجي تكون نتيجته ظهور صفة جسمانية جديدة تحمي الإنسان من الأثر الضار للعامل الحاث.

توافق الأنسجة

من الظواهر التي تجدر الإشارة إليها، لأهميتها في حسم الجدل حول التمييز العنصري، الظاهرة المسماة «توافق الأنسجة» «histocompatibility»التي اكتشفت نتيجة لعمليات زراعة الأعضاء.

فقد لوحظ في أول عهد زراعة الأعضاء أن جسم الإنسان المستقبل يرفض العضو المزروع فيه،بل يهاجمه بعنف في معركة حامية الوطيس تكون فيها أجسام المناعة السلاح المستخدم ضد العضو الغريب، وظاهرة الرفض - كما تسمى في لغة الطب- تؤدي إلى قتل خلايا العضو المزروع، ثم الى موت الإنسان المستقبل (نتيجة وجود عضو ميت داخل جسمه).

وقد أدت دراسة ظاهرة الرفض إلى

اكتشاف وجود مواد بروتينية على أغشية (أو أغلفة) الخلايا الحية التي أطلق عليها اسم «مولودة الأجسام المضادة» (أو العامل الحاث لتكوين أجسام مضادة «antigens». وعلى الرغم من وجود هذه المواد البروتينية على سطح (أو غشاء أو غلاف) كل خلية حية عند كل إنسان، إلا أن تركيبها الكيمياوي يختلف من إنسان الى آخر!

أوضح مثال (أو تطبيق) لوجود هذه العوامل الحاثة لتكون أجساماً مضادة، هو تصنيف خلايا الدم الحمراء الى فصائل «آ»، «ب»، «صفر» (ABO blood groups). فهذا التصنيف مبني على وجود مواد بروتينية على سطوح خلايا الدم الحمراء، تؤدي، عند دخول تلك الخلايا الى جسم إنسان غير متفق في الفصيلة، إلى تكوين أجساماً مضادة (ينتجها جهاز المناعة) للخلايا الغريبة، وهذا هو السبب في ضرورة توافق فصائل الدم بين شخصين، قبل نقل دم من أحدهما إلى الآخر.

خلايا الدم الحمراء ليست إلا نموذجا واحدا من عشرات أنوع الخلايا الحية في جسم الإنسان، وكما يلزم توافق خلايا الدم الحمراء قبل عمليات نقل الدم، كذلك يلزم توافق الخلايا في عضو ما (مثل القلب أو الكلية) قبل زراعته في جسم إنسان آخر، وهذا هو المقصود بتعبير «توافق الأنسجة».

تحقيق توافق الأنسجة يجرى في معامل متخصصة من خلال عملية تسمى «تصنيف الأنسجة» «tissue typing» (مثلما يجرى تصنيف فصائل الدم في المختبر باختبار معين)، وقد أظهرت اختبارات تصنيف الأنسجة أن تحقيق توافق الأنسجة بين اثنين من البشر أمر بالغ الصعوبة، فخلايا البشر تختلف من إنسان إلى آخر، تماما مثلما تختلف بصمات أصابعهم، بتعبير آخر، فعلى الرغم من أن التركيب التشريحي للبشر واحد، والوظيفة البيولوجية لأي نوع من الخلايا واحدة،إلا أن كل إنسان كائن فريد لا تتطابق خلاياه مع خلايا إنسان آخر، مثلما لا تتطابق بصمات الأصابع بين البشر [1].

الآن نذكر أن سبب هذا الاختلاف في فصائل خلايا البشر هو الجينات.

فالجينات هي التي توجه وتتحكم في التركيب الكيمياوي لتلك المواد البروتينية على سطوح الخلايا الحية المولدة للأجسام المضادة (التي على أساسها يقوم تصنيف

المئة ألف جين الموجودة عند الانسان هي التي تحدد كل ما يتعلق ببنيته

الأنسجة).

هذا التنوع في الجينات (وبالتالي التنوع في تركيب المواد البروتينية على أسطح الخلايا) أكبر بين الأفراد منه بين الشعوب أو الأجناس البشرية المختلفة! فإذا نظرت - مثلا - إلى شعب أفريقي وجدت سمات كثيرة مشتركة بين أبناء ذلك الشعب، ووجدت فوارق بسيطة بينهم، والنتيجة عينها تصل إليها إذا نظرت - مثلا - إلى الشعب السويدي. ففي المثال الأول تجد أن شعب الكاميرون - كمثال من أفريقيا - له جلد أسود اللون، وعيون سود، وشعر خشن، وطول قامة متوسط، وعود نحيف (بصفة عامة)، ثم إذا نظرت إلى شعب السويد في المثال الثاني (كنموذج لشعب أوروبي) وجدت الناس بشرتهم بيضاء وشعرهم ناعم قليل الصبغ (أبيض أو أصفر قليلا) وعيون زرقاء، وطول القامة متوسط والجسم نحيف (بصفة عامة).

ثم إذا نظرت إلى شعبين من جنس واحد، كالشعب السويدي والألماني من الجنس الأوروبي، أو شعب نيجيريا والكاميرون من جنس الزنوج، وجدت كذلك أن الفوارق بسيطة بين الشعبين من أي جنس.

فعلم الجينات يصوغ هذه الملاحظات - أو الحقائق - بلغة الأرقام، ويخبرنا أن اختلاف الجينات بين أي شعبين لا يتجاوز سبعة ونصف في المئة من مجموع اختلاف (أو تنوع) الجينات الممكن، وكذلك فإن اختلاف الجينات بين أي جنسين من البشر لا يتجاوز سبعة ونصف في المئة، بينما اختلاف الجينات بين أي اثنين من البشر من أي جنس أو شعب يصل إلى خمسة وثمانين في المئة.

ولما كانت الجينات هي التي تحدد جميع

خلايا الدم الحمراء ليست إلا نموذجا واحدا من عشرات أنوع الخلايا الحية في جسم الإنسان

الصفات الخلقية لأي إنسان، فإننا نخلص من الكلام السابق إلى أن الزعم بوجود جنس بشري أرقى من جنس آخر (عقليا أو بدنيا) زعم باطل ليس له سند علمي، بل إن الحقيقة العلمية تدحض التمييز العنصري وتهدمه من أساسه.

ذكرى للعالمين

يقول الحق تبارك وتعالى: {يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم إن الله عليم خبير}. الحجرات١٣ .

قال العلامة ابن كثير في تفسير هذه الآية الكريمة: «فجميع الناس في الشرف بالنسبة الطينية إلى آدم وحواء عليهما السلام سواء، وإنما يتفاضلون بالأمور الدينية وهي طاعة الله تعالى واتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وروى الإمام البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الناس أكرم؟ قال: «أكرمهم عند الله أتقاهم». وروى الإمام أحمد في مسنده من خطبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في وسط أيام التشريق قال فيها «يأيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد. ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى».

وعلى ذلك فإن اختلاف ألوان البشر ليست مدعاة للتفاضل بينهم ولاتصلح سببا للتمييز بينهم، بل هي آية من آيات الله تبارك وتعالى تدل على كمال قدرته وبديع صنعه، كما بين الحق جل وعلا في محكم التنزيل: «ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود. ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء. إن الله عزيز غفور» ٢٧-٢٨ فاطر ■

•• الهوامش ••

١. تشير تقديرات العلماء والباحثين في علم الجينات إلى أن عدد الجينات في جسم الانسان يتراوح بين ستين الف جين إلى ستة الف جين. وقد امكن معرفة التركيب الكيمياوي لخمسة وعشرين الف جين من العدد الإجمالي تقريبا.

من تجارب التفرقة العنصرية في جنوب أفريقيا

نضال فريد وسط الزحام

طالت ويلات الماضي الأليم من تجليات التفرقة العنصرية لسكان جنوب أفريقيا، حيث قيود اللون، آلية مصطنعة أوجدها المحتلون البيض لكبح جماح سكان تلك البلاد. الفكرة التي تقوم عليها هي سمو عنصر الإنسان الأبيض وتفضيله على أهل البلاد الأصليين من السود، وقد وُزع المواطنون على تقسيمات ثلاث أعلاها مكانة البيض أصحاب الامتيازات المطلقة، وأدناها للملوّنين وأحطها للسود!!

> العنصرية لا تسمح لغير البيض بركوب السيارات أو القطارات أو دخول دور السينما أو المطاعم أو حتى الكنائس

بقلم الخضر عبد الباقي محمد
كاتب وباحث نيجيري

ممارسات قد لا يصدقها العقل اذا لا يسمح لغير الإنسان الابيض بركوب السيارات والقطارات العامة، وممنوع البتة لغير البيض دخول دور السينما والمسارح والمطاعم ومحطات السكك الحديدية، وحتى دخول الكنائس العامة لمناجاة الرب مع البيض!! حتى في حال الموت فهناك مقابر للسود والملونين بعيدة عن مقابر خمس نجوم للبيض . تدمير وحرمان وتعذيب واستعلاء على الأرض بالقوة وتغيير معالمها وطرد سكانها الاصليين وإحلال المستوطنين بدلا منهم. تلك مرتكزات يقوم عليها الفكر العنصري.

في ظل تلك الأجواء المشحونة بالكبت والقهر ناضل مسلمو جنوب أفريقيا بجد واخلاص للحفاظ على كيانهم الإسلامي، واوجدوا من الصفر رقما صحيحا في الخريطة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وحفروا نقوشا خالدة على ذاكرة التاريخ النضالي لتحرير بلادهم من بطش العنصرية وعنجهية الكيان الاستعماري، لاتمحى من تاريخ شعب الجنوب الأفريقي.

الأصول العرقية لمسلمي جنوب أفريقيا

مسلمون من الملايو

تشير الدراسات المكانية إلى أن أول المسلمين الذين وصلوا إلى جنوب أفريقيا كانوا من الرفيق اذ بدأ المستوطنون بجلبهم إلى مستعمرة الرأس الأفريقي في منتصف القرن السابع عشر الميلادي. وقدم أكثرهم من ارخبيل الملايو إبان الحملة الاستعمارية هناك على جزيرة جاوه وبقية الجزر المجاورة.

مسلمون من أصل هندي

قدم تيار آخر من المسلمين المعاصرين من شبه القارة الهندية. فقد قام المستوطنو البيض الانجليز باستقدام مجموعات من الأيدي العامة لتنفيذ خطط زراعة قصب السكر في إقليم «الناتال» من الهند. وفي غضون فترة قليلة تحولت أرض «الناتال» القاحلة إلى حدائق غناء، وكان من بين تلك المجموعات اعداد كبيرة من المسلمين الهنود.

مسلمون مهاجرون من زنجبار

هناك مسلمون من زنجبار من أصل أفريقي. يرجع تاريخ قدومهم إلى جنوب أفريقيا إلى أواخر القرن الثامن عشر الميلادي، نزلوا بمنطقة دربان.

مسلمو من السكان السود:

المسلمون من السكان السود هم أقل تلك التقسيمات عددا لأن معظم سكان جنوب إفريقيا السود من المسيحيين ولم يعتنق الإسلام منهم أكثر من عشرة آلاف.

من معاناة الرقيق الى التفرقة العنصرية

المصادر التاريخية تشير إلى أن تجارة الرقيق كانت مصدر ثراء فاحش خلال الفترة الاستعمارية. كما أن عددا لا يستهان به من أولئك الرفيق كانوا عمالا مهرة الا أن ذلك لم يمنع من استعمال أشد الأساليب قسوة في التعامل معهم واستغلالهم في مجالات مختلفة للعمل القسري، كما انتشر بيعهم ونقلهم من محل لآخر من دون إعارة أدنى اعتبار للأواصر الأسرية بينهم، وقد استعمل الأسياد البيض وعلى نطاق واسع، الجلد كوسيلة عقاب وتأديب لأدنى الهفوات من جانب أولئك المستضعفين، كما لم يتردد الأسياد في اتخاذ رهائن لسداد الديون وفي

بنود العقود التجارية بغض النظر عن الجوانب الانسانية.

وعلى صعيد آخر لم يدخر الأسياد وسعاً لتصيير أولئك الأرقاء، وهكذا بُدلت أسماؤهم من «داود» إلى «ديفيد»، ومن «إبراهيم» إلى «برهام» وحُوّل اسم «يوسف» إلى «جوزيف»، ولحسن الحظ، أظهر أولئك الأرقاء من أقصى الشرق تفانيا للإسلام بصورة يندر لها مثيل، كما ازدادت إراداتهم للعيش والموت كمسلمين مهما كلف الأمر، ورغم المعاناة والمضايقة من البيض ازداد التصاق أولئك المسلمين الأولين بدينهم وتراثهم الثقافي والحضاري، وبدأوا يتجمعون خفية في بيوت زعمائهم الروحيين لأداء صلاة الجماعة، ولتعلم وحفظ القرآن وللقيام ببعض الشعائر الإسلامية.

وقد اشتهر من رموز المسلمين خلال تلك الفترة كزعماء روحيين بسبب ما أظهروه من تفان وإخلاص، كالشيخ «يوسف» والإمام «عبدالله كادي» و«الشيخ عبدالسلام» و«السيد» «أبو بكر أحمد» و«أبو بكر جافكري». وبعد أن ألغي الرق في أجزاء الأمبراطورية البريطانية، بدأ هؤلاء الأرقاء يتحركون في مستعمرة رأس إفريقيا واستطاعوا أن يبنوا أول مسجد في «كيب تاون» العام ١٨٥٠م. ومن بين أحفاد أولئك المسلمين الأوائل من الأرقاء في جنوب أفريقيا اليوم باسم (المالاي) malay ويعدون طائفة الملونين التي يبلغ تعدادها ثلاثة ملايين نسمة.

كما أن المسلمين الهنود الذين استقروا في مدينة «دربان» وما حولها كانوا يشتركون مع إخوتهم مسلمي مستعمرة رأس افريقيا بأحاسيسهم العميقة بالانتماء للإسلام وبدأوا نشاطات جماعية متنوعة للمحافظة على التراث الثمين من القيم والعادات والثقافة، وقد بنى مسجد «دربان» في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي وتوجد أحفاد هؤلاء في منطقة «ترانسفال» ويعرفون حسب التصنيف الرسمي للحكومة العنصرية بالهنود.

وفي ظل سياسة الفصل العنصري للبيض، فقد تعرض المسلمون هناك لأنواع من القهر والكبت على أيدي البيض المستوطنين، فقد منع الزواج بين البيض وغيرهم، وحُرم عليهم الانتقال بين مقاطعات اتحاد جنوب أفريقيا الأربع، ومُنعت الهجرة من وإلى مناطقهم، كما تم فرض قيود الإقامة أو التفريق حسب اللون والعنصر عليهم، فهناك الكثير من القوانين التي وضعها المجلس النيابي على أن يكون جميع أعضائه من البيض لتكريس التفرقة العنصرية بين الطوائف ومنع اختلاطهم سواء من حيث المكن والعمل، أو من النواحي الاجتماعية منذ الولادة وحتى الممات، ويحرّم القانون العنصري أي اختلاط اجتماعي بين تلك الطوائف كالزواج مثلا، حتى بين المسلمين أنفسهم من الطوائف المختلفة، وتمثل قوانين إعادة الاسكان قاصمة الظهر للمسلمين، اذ

السياسات العنصرية الجائرة لم تمنع مسلمي جنوب أفريقيا من السير قدما نحو النضال والكفاح

أجبرت الحكومة العنصرية نحو ٢,٥ مليون مواطن على تغيير مساكنهم خلال فترة الثمانينيات، وتم الاستيلاء على مختلف الأرضي والممتلكات التي تعود للمسلمين، يضاف إلى ذلك أن الدين الإسلامي غير معترف به رسمياً ، ولا يسمح للمسلمين ببناء المساجد والمدارس في المناطق المخصصة لهم حسب قوانين التفرقة العنصرية، وقد تركت هامشاً من حرية للقيام بعض النشاطات الاسلامية ولكنها ترفض التدخل في الشؤون السياسية من جانب المسلمين إلا إذا كانت تأييدا لسياسة التفرقة العنصرية، ولا تعترف الدوائر القانونية والمحاكم بالأحكام الشرعية المتعلقة بالزواج، لذا يضطر المسلم الى تسجيل الزواج في الدوائر المدنية المختصة ليكون معترفا به، والشيء نفسه ينطبق على أحكام الارث وغيرها.

نضال فريد وسط الزحام

لم توقف تلك السياسات العنصرية الجائرة مسلمي جنوب افريقيا عن السير قدما نحو النضال والكفاح، فقد تحركوا داخل المجتمع وعبر مؤسساته المختلفة على الهامش المتاح. حتى وصل عدد المساجد لديهم قبل تصفية نظام الفصل العنصري، أكثر من ٣٠٠ مؤسسة دينية كالمساجد والمدارس، وكانت لاتخلو مدينة متوسطة المساحة من مسجد كبير، ويتسع أكبر مساجد «دربان» إلى خمسة الاف مصل، ويصل عدد المصلين إلى عشرين ألفاً، وتتحمل المنظمات الإسلامية كلفة تلك المؤسسات والمساجد بكاملها من دون أي مساعدة حكومية. وفي مجال تنشئة الأطفال المسلمين التي لم تجد لنفسها مجالاً ضمن نظام التعليم العنصري، فقد تولتها الجمعيات الإسلامية اذ عملت على فتح مدرسة كاملة التجهيز في معظم المناطق التي يسكنها مسلمون، لتقوم بتدريس المعارف الإسلامية للجيل الجديد،ويؤدي الأطفال الدوام إلى ما بعد الظهر، ثم يلتحقون بالمدارس الاسلامية لمدة ساعتين يقضونها في تعلم القرآن وحفظه كما تدرس العربية للأطفال من كبار السن،وتقوم مؤسسات كبيرة عدة بادارة تعليم

تعددت أوجه تحرك وتفاعل المسلمين بين مدخل إنساني إغاثي ودعوي ونوعي نسوي

أطفال المسلمين في جميع جنوب أفريقيا، من أهمها الصندوق الخيري الإسلامي في «جوهانسبرغ»، والمجمع الإسلامي في «كيب تاون»، إضافة إلى تخريج حفظة القرآن وأئمة المساجد، وقد خرج أكثر من ثلاثمئة طالب، الكثير منهم يكمل دراسته في البلاد العربية والإسلامية. وقد حقق مسلمو جنوب أفريقيا نجاحات جزئية حين نجحوا في الضغط على ادارة التعليم المحلي لتدريس العربية في المدارس الرسمية، وهكذا أصبحت أي مدرسة تتحمل مسؤولية تدريس العربية اذا اجتمع من بين طلابها ٢٥ طالبا يطالبون بتعلم لغة القرآن، كما افتتح قسم لتدريس العربية في جامعة «دربان»، ولم يقف الأمر عند ذلك فقد ظهرت الكثير من المعاهد والمؤسسات لتعليم اللغة العربية في أنحاء جنوب أفريقيا، مما عزز من تزايد الشعور بعالمية اللغة العربية بين المسلمين هناك.

مؤسسات رائدة

تعددت أوجه التحرك والتفاعل داخل المجتمع المدني للمسلمين، فبما بين مدخل إنساني إغاثي، ومدخل ديني دعوي صريح ومباشر، وآخر مدخل نوعي نسوي، فقد انطلقت قافلة الخير للجمعية الطبية الإسلامية «Lslamic Medical Associ-ation Of South Africa» التي يقودها أربان مسلمون من الأطباء المحترفين من أبناء جنوب أفريقيا، كترجمة حقيقة لدعوة الإسلام للنشر والسلام ومدّ يد العون إلى جميع شرائح المجتمع غايتهم الوصول إلى الطبقة الفقيرة من الشعب، بغض النظر عن العرق أو الدين أواللون، وأشرفت الجمعية على مشروع الصحة المدرسية في مدارس جنوب أفريقيا الإبتدائية، كما أرسلت وفوداً طبية إلى مناطق الحروب في الدول المجاورة كالصومال وموزمبيق وغيرهما.

وقد عنيت جمعية العلماء في كوازولوناتال «Jamiatl Ulama KZN» بالتركيز على العمل الدعوي والتعليمي للإسلام في دربان تحت رعاية مدرسة حضرة «مولانا الأنصاري»، وبمسائل الإفتاء والتنسيق للزواج الإسلامي، والصلح بين المتنازعين، وطبع كتيبات ومنشورات إسلامية، إضافة للنشاط الاغاثي وتوفير اللحوم الحلال، ومراقبة الهلال حلول شهر رمضان، وتقديم الاستشارات الدينية للجهات الأخرى، وتأتي زعيمة إسلامية «فريدة السيدة شميمة الشيخ» كنموذج إسلامي رائد وناجح في النضال ضد التفرقة العنصرية عبر المؤسسات الدستورية في جنوب أفريقيا من خلال قيادتها لمنظمة المسلمات لحقوق الإنسان، ولا نغفل أن هناك عشرات من المنظمات الإسلامية النشطة التي تضافرت جهودها لمقاومة نظام الفصل العنصري ولانزال عطاءاتها مستمرة حتى اليوم ■

الدكتور محمد رأفت عثمان عضو مجمع فقهاء الشريعة في أميركا في حديث خص به الـ «الوعي الإسلامي»:

مرونة الشريعة الإسلامية جعلها تستوعب كل مستجدات العصر

نجح المسلمون في الولايات المتحدة الأميركية في تأسيس أول مجمع فقهي يضم خمسين عالما من أبرز علماء وفقهاء العالم الإسلامي في محاولة لإيجاد مرجعية شرعية لمسلمي أميركا تختص بالإفتاء في القضايا التي تشغل بال المسلمين في أميركا وفي دول الغرب والرد على ما يثار من شبهات حول الإسلام وقضايا العصر.

وللتعرف إلى المزيد من أهداف المجمع ودوره في خدمة الإسلام والمسلمين في الحفاظ على الهوية الدينية للمسلمين هناك.

التقت «الوعي الإسلامي» الدكتور «محمد رأفت عثمان» العميد السابق لكلية الشريعة والقانون في جامعة الأزهر وعضو مجمع البحوث الإسلامية في الأزهر الشريف الذي تم اختياره عضوا في المجمع الفقهي لفقهاء الشريعة في اميركا.

• بدءاً سألته عن الأسباب التي دعت إلى تأسيس هذ المجمع والأهداف التي يسعى إلى تحقيقها؟

يقول الدكتور «عثمان»: لاشك أن المسلمين الذين يعيشون كأقليات في مجتمعات غير إسلامية يواجهون بعض المشكلات التي تتعلق ببعض جوانب الحياة الدينية لأن لكل مجتمع قضاياه المختلفة وبخاصة مجتمعات الغرب. الأمر الذي دعا بعض علماء المسلمين للتفكير في إيجاد مرجعية شرعية تشكل جهة إفتاء للمسلمين الأميركان يثقون فيها وبعلمائها ويكون من مهامها أيضا الدفاع عن الإسلام في القضايا التي يثيرها الغرب حول الإسلام وخصوصاً أن الإسلام مستهدف من جهات كثيرة في العالم، وكذلك إعداد البحوث الفقهية عن كل ما يتعلق بآمال وآلام الأمة بعامة والأقليات الإسلامية في الولايات المتحدة الأميركية والغرب بخاصة ولذلك جاءت مبادرة إنشاء المجمع الفقهي الذي يضم علماء على أعلى مستوى في العالم الشرعي وانعقد أول مؤتمر تأسيسي له خلال الفترة بين ٢ ـ ٧ أكتوبر ٢٠٠٤م في واشنطن ونص قانون المجمع على أن أعضاءه لا

> الأقليات الإسلامية في حاجة إلى مرجعية شرعية تصدر لها الفتاوى التي تتناسب مع واقعها وظروفها الخاصة

القاهرة:
محمد خليل محمود

يزيدون عن ٥٠ عالماً يتم اختيارهم مدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد يعقدون اجتماعاً كل ستة أشهر للبت في القضايا المطروحة على المجمع الذي قام بانتخاب الدكتور «حسين حامد حسان» أستاذ الشريعة الإسلامية في كلية الحقوق في جامعة القاهرة رئيساً له ونائبين للرئيس هما الدكتور «علي السالوسي» (مصري) والدكتور «وهبة الزحيلي» (سوري) ويتولى الأمانة العامة للمجمع الدكتور «صلاح الصاوي» رئيس الجامعة الإسلامية المفتوحة في أميركا.

● ما أبرز القضايا التي أثيرت أمام مجمع فقهاء الشريعة في أميركا؟

معظمها قضايا تخص المسلمين الذين يعيشون كجاليات إسلامية في الغرب وهي مسائل تدور حول قضايا الأحوال الشخصية وحل الأطعمة وحرمتها والتساؤلات التي تدور حول موقف الإسلام من تجنيس المسلم بجنسية البلد الذي لايدين بالإسلام وما حدود الولاء لتلك البلد؟ وهل يجوز له الاشتراك في جيشها؟ ولذلك فالمجمع ستتوافر فيه مرجعية للمسلم الأميركي وللمسلم غير الأميركي الذي يرغب في التعرف إلى الإسلام، ونحن سنقوم بالافتاء في القضايا التي تشغل بال المجتمع الأميركي والرد على المستشرقين وغيرهم بشأن ما يثار عن الإسلام بأسلوب علمي ودراسات وأبحاث متخصصة. فالمجمع يمثل جهة بحثية علمية وليس جهة وعظ وإرشاد وهي تصدر الفتاوى لحسم القضايا التي تواجه المسلمين في بلاد المهجر وتجد لهم الحلول الشرعية لما يواجهونه من مشكلات عصرية، وهذا يدل على مرونة الشريعة الإسلامية واستيعابها لكل مستجدات العصر. علاوة على ما يناط بالمجمع من مهمة توضيح وشرح مفاهيم الإسلام السمحة للناس في الغرب لأن الحملات المغرضة الموجهة للإسلام في الغرب هدفها تشويه صورة الإسلام والمسلمين في العالم، وبلا شك فإن وراء هذه الحملات عدم فهم دقيق لمبادئ الاسلام السمحة التي تدعو لاحترام حقوق الإنسان وحريات الشعوب، فالإسلام يكرِّم الإنسان بصرف النظر عن لونه أو جنسه أو الدين الذي ينتمي إليه.

● ما حدود التعاون بين مجمع فقهاء الشريعة في أميركا والمجامع الفقهية الأخرى في العالم الإسلامي؟

/من أوليات عمل المجمع التعاون مع المجامع الفقهية الأخرى مثل مجمع الفقه الإسلامي في جدة والمجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث، ومجمع البحوث الإسلامية في الازهر وغيرها من المجامع الفقهية الأخرى في العالم الإسلامي للاستفادة وتبادل البحوث الفقهية والفتاوى من أجل خدمة الإسلام والمسلمين.

● يتهم بعض الغربيين الإسلام بأنه ضد حقوق الإنسان ويدعو إلى العنف وصراع الحضارات.. فما رأيكم في هذا الزعم؟

هذه كلها مزاعم لاتمت للإسلام بصلة يرددها الغربيون عن جهل بمفاهيم الإسلام السمحة أو عن قصد، ومعروف أن حقوق الانسان دافع عنها الإسلام منذ أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان ويوم أن كانت أوروبا تعيش في ظلام العصور الوسطى والظلم الاجتماعي في القرن العاشر الميلادي، فالإسلام قد سبقها إلى ذلك ودعا إلى حريات الشعوب كما دعا لاحترام إنسانية الإنسان والتعامل مع البشر بمعيار إنساني واحد ووقف بشدة ضد كل أشكال العنف والإرهاب والقتل والتدمير الذي نشاهده هنا وهناك .قال الله تعالى: «من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً» المائدة:٣٢.

الإسلام دعا إلى حريات الشعوب كما دعا لاحترام إنسانية الإنسان والتعامل مع البشر بمعيار إنساني واحد

● ما موقف مجمع فقهاء الشريعة من القانون الذي أصدرته السلطات الفرنسية والذي يحظر ارتداء الحجاب في فرنسا؟

مما لاشك فيه أن المجمع يقر حق الدول في التعامل مع شؤونها الداخلية وفق ما تقرره أجهزتها السياسية والقانونية إلا أنه يؤكد ما أكدته جميع المواثيق والأعراف الدولية من احترام لحقوق الإنسان ومن اهمها حرية الإنسان الشخصية وحريته الدينية التي تعني حرية الاعتقاد وحرية ممارسة الشعائر الدينية، وقد أصدر المجمع بيانا أكد فيه أن الحجاب الإسلامي فريضة على المرأة المسلمة متى بلغت الحلم وقد اتفقت على فرضيته جميع المذاهب الإسلامية بلا استثناء وأنه جزء من عبادة الفتاة لربها، شأنه في ذلك شأن الصلاة والزكاة والصوم، وهذه العبادة مفروضة على المرأة المسلمة سواء كانت داخل البلاد الإسلامية أو خارجها والتخلي عنه من كبائر الإثم الذي يعرض المسلمة لغضب الله، كما تضمن البيان أن حجاب المرأة لا يتنافى مع المرأة مع العلمانية الليبرالية التي تدين بها فرنسا ولا يتنافى مع التعايش والاندماج الإيجابي في إطار الوحدة الوطنية التي تجمع بين مختلف الديانات والأعراق فهو تعبير عن التزام ديني وحرية شخصية وليس رمزا ■

نحو أسلوبية للرحمة في الخطاب القرآني

بقلم:
د.فاضل محمد الكبيسي

> للظلمات مصادر مختلفة، منها الشيطان، ومنها النفس، ومنها الطغاة وقادة السوء، بينما يظل النور أحادي المصدر مهما تعددت مجالاته ومستوياته

إن مدلول الوصف الذي نعت به القرآن في القول المأثور: «لا تنقضي عجائبه»(١)، لا يتصور له حقيقة وتحقق إلا إذا شغل الإنسان طاقته التدبُّرية، وانتبه إلى أن التدبّر في القرآن إنما هو خلق وفريضة عليه أن يأتيه كما يأتي سائر الأخلاق والفرائض، وكلما أقبل عليه المقبلون بقلوب متدبِّرة وعقول متأملة، أعطاهم من كنوزه ذخائر لا تنقضي، وسبحان الله الذي رتب الاهتداء إلى أسرار كتابه على حسب طاقة الناس التدبُّرية.

نماذج من الاطرادات الأسلوبية في الخطاب القرآني

لقد يسر الله لي نشر دراسة في موضوع: «الاطرادات الأسلوبية في الخطاب القرآني»(٢)، ضمنتها مجموعة من النماذج تبرز كيف أن الخطاب القرآني يحرص على أن ترد بعض ألفاظه وتراكيبه على نسق واحد مطرد لا يتخلف.

وقد هدى التأمل في مخاطبات القرآن الكريم إلى الوقوف على نماذج أخرى نعرض لها في الفقرات التالية، وقد تم الاقتصار على النماذج التي من شأنها أن ترتفع بالبحث في مخاطبات القرآن إلى مستوى الكشف عن قانون مفاده أن رحمة الله في القرآن لا تنجلي فقط في وصفه لذاته أو ذكره لنعمه، أو مغفرته للمذنبين... وإنما تظهر في المستوى الأسلوبي كذلك، بمعنى أن من خصائص الأسلوب القرآني أنه يجمع ويفرد، ويقدم ويؤخر، ويذكر ويحذف، ويكرر لمقاصد كثيرة من بينها إبراز رحمته الواسعة، وفي الفقرات المقبلة بيان ذلك:

اطرادات الجمع والأفراد

بعض الألفاظ ترد في القرآن الكريم مفردة وجمعاً، في حين يظل بعضها خاضعاً لصيغة واحدة.

. من ذلك لفظتا «الجنة والنار»، فإن الجنة ترد في الاستعمال القرآني مفردة وجمعاً، مثل قوله تعالى: (والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) البقرة:٨٢، وقوله: (إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير) الحج:٢٣، بخلاف لفظ «النار»، فإنه لم يرد في القرآن إلا مفرداً، مثل قوله تعالى: (فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة) البقرة:٢٤، وقوله: (وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار) البقرة:١٦٧.

ولعل من أسرار ذلك أن تتحرك قلوب الناس وعقولهم لإدراك رحمة الله الواسعة. ففي جمع لفظ «الجنة» إيحاء بالتنوع والتعدد والاختلاف، مما يجعل حواس الإنسان غارقة، حقيقة، في ذلك التنوع الذي يضم «ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر»(٣)، وتلك صفات تستدعي الإيمان بنعم الله ورضاه ورحمته التي ينشرها على أصحاب الجنة مما يناسب جو رحمة الله الواسعة.

أما «النار»، فإن إفرادها، على ضوء الخطاب القرآني، يوحي بالأحادية، وفي ذلك الإيحاء تجلٍّ آخر من تجليات رحمة الله، إذ لم يجعل النار إلا واحدة، وذلك يعني أنه ليس الفضل في تعذيب أهل النار، وإنما هو العدل الإلهي الذي قامت عليه السموات والأرض.

. ومن ذلك لفظتا «الظلام والنور»، فإن الأولى وردت في القرآن جمعاً في جميع السياقات، مثل قوله تعالى: (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور) البقرة:٢٥٧، وقوله: (قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور) الرعد:١٦، أما لفظ «النور»، فلم يرد في الاستعمال القرآني إلا مفرداً، مثل قوله تعالى: (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) المائدة:١٥، وقوله: (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون) الصف:٨.

وهذا يشعر بأن للظلمات مصادر مختلفة، منها الشيطان، ومنها النفس، ومنها الطغاة وقادة السوء، بينما يظل النور أحادي المصدر مهما تعددت مجالاته ومستوياته، فهو آيل إلى مصدر واحد وهو نور الله المتمثل في الهداية القرآنية؟ يقول تعالى: (أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين) الزمر:٢٢.

وهذا يعني أن القرآن لم يرد من المؤمنين أن يستنوا بكثرة المصادر و«الأنوار»، أو يتيهوا في مسالك الاختلاف والفرقة حول هذا النور الذي يستحق أن يتبع من بين مجموع «الأنوار»، بل اقتضى عدله

واستدعت رحمته أن يجعله نوراً واحداً، وهو ما يفسر ورود لفظ «النور» مفرداً في الاستعمال القرآني.

والغريب في الأمر أن كثيراً من المسلمين يغفلون عن سر هذا الإفراد، فالقرآن يريد من المؤمنين أن يكونوا على نور الله، وأن يتحدوا على منهاجه. والذي يحدث في أرض الواقع أن أهل الظلمات يتحدون ويندمجون ويتآزرون، مع أن مصادر ظلماتهم متعددة ومتباينة، في حين يختلف أهل الإيمان ويتصارعون ويعمر الشقاق بينهم، فيكون الفشل والتخلف مصيرهم، والخشية كبيرة من أن يرى العالم ذهاب ريحهم، مع أنهم ينتمون إلى نور واحد.

اطراد اقتران المغفرة بالتبعيض في خطاب الكافرين من دون خطاب المؤمنين

على المستوى التركيبي، يقع المتشابه في القرآن كثيراً، وبسبب تلك الكثرة، قد لا يلحظ القارئ للقرآن الفوارق الدقيقة التي توجد بين تركيب وآخر، وقد تدق الفروق لتنحصر في إضافة حرف أو إزالته، أو إيراد اللفظ معرفاً هنا ومنكراً هناك، أو في تقديم لفظ في سياق معين وتأخيره في سياق آخر.

ومن نماذج المتشابه الذي يكشف عن دقة اختيار اللفظ وصياغة التركيب في الخطاب القرآني ما يلاحظ في الآيات التي تضمنت جواباً عن شرط اشترطه الله على الناس، مؤمنهم وكافرهم، ومحوى ذلك الجواب وعد الله لهم بأن يغفر لهم ذنوبهم.

لقد هدى إحصاء تلك الآيات إلى أنه ستة، وهي:

١ ـ (قالت لهم رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم) إبراهيم:١٠.

٢ ـ (يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم) الأحقاف:٣١.

٣ ـ (قال يا قوم إني لكم نذير مبين. ان اعبدوا الله واتقوه وأطيعون. يغفر لكم من ذنوبكم) نوح: ٢ ـ ٤.

٤ ـ (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم) آل عمران:٣١.

٥ ـ (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديدا. يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم) الأحزاب:٧١.

٦ ـ (يأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم. تؤمنون بالله ورسوله

بعض الألفاظ ترد في القرآن الكريم مفردة وجمعا، في حين يظل بعضها خاضعا لصيغة واحدة.

وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون. يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار) الصف: ١٠ ـ ١٢.

وبالتدبر في نصوص تلك الآيات وسياق ورودها، يصل المتدبر إلى استخلاص الملحوظات الذوقية التالية:

ـ وردت الآيات الثلاث الأولى في سياق خطاب الكفار والمكذبين، فقد جاءت الآية الأولى في سياق ذكر إعراض الكفار عن دعوة أنبيائهم وكفرهم برسالاتهم. والآية الثانية واردة في معرض استماع الجن لدعوة محمد صلى الله عليه وسلم، وعودتهم إلى قومهم منذرين، أما الآية الثالثة، ففي سياق دعوة نوح إلى قومه الكافرين.

ـ بخلاف ذلك، فإن الآيات الثلاث الأخيرة واردة في سياق خطاب المؤمنين. فمساق الآية الرابعة متصل بتحذير المؤمنين من اتخاذ الكفار أولياء، وإشعارهم بأن الله عليم بذات الصدور، والآية الخامسة واردة في سياق حض المؤمنين على التقوى وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وألا يكونوا مثل الذين آذوا موسى، وبالنسبة إلى الآية السادسة، فإن مطلعها يدل على أنها خطاب للمؤمنين من أجل معرفة التجارة الرابحة التي يريدها لهم المولى عز وجل.

ـ لقد ظهر، إذاً، وجود اختلاف في جهة الخطاب، إذ إن الآيات الثلاث الأولى تخاطب الكفار والمكذبين، بينما تخاطب الآيات الثلاث الأخيرة المؤمنين، وقد استدعى اختلاف المخاطبين حصول اختلاف دقيق في متعلق المغفرة ومشمولة. فالآيات الثلاث الأولى تجعل المغفرة متعلقة ببعضهم دون الكل. (يغفر لكم من ذنوبكم)، وهذا ما تفيده «من» التبعيضية، بينما تجعل الآيات الأخيرة المغفرة مستغرقة لجميع الذنوب. (يغفر لكم ذنوبكم).

ولم يكن حرف «من» زائداً، وإنما له دلالة

القرآن يريد من المؤمنين أن يكونوا على نور الله، وأن يتحدوا على منهاجه

خاصة في هذا السياق، لأن مغفرة بعض الذنوب يشعر بأن المخاطبين، أي الكفار، لهم ذنوب كثيرة وعظيمة. وأن استجابتهم لنور الإيمان تعكس بمغفرة بعض الذنوب دون بعض، لأن حياتهم في ظل الإيمان واستقامتهم على نهج التقوى كفيلان بأن يجعلاهم متمتعين بمغفرة بقية الذنوب.

أما بالنسبة إلى المؤمنين، فإن جزاء إيمانهم والتزامهم بمقتضيات الإيمان في حياتهم الخاصة والعامة هو أن يغفر لهم الله ذنوبهم جميعاً، مما يجعلهم يشعرون برحمة الله ونعمته، وأن الله ميّزهم عن الكفار، إذ منحهم مشروعية الإحساس بأن ذنوبهم جميعها مغفورة بنص القرآن.

وقد تتبعت أقوال المفسرين في الموضوع، إلى أن عثرت. وأنا أنجز أطروحتي لنيل دكتوراه الدولة في علوم القرآن، في موضوع: «بديع القرآن: دراسة نقدية». على التفاتة «الزمخشري» إلى هذا الاطراد في الاستعمال القرآني، لكنه لم يوسع الكلام فيه بما يشفي.

يقول: «فإن قيل ما معنى التبعيض في قوله: (يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم) إبراهيم:١٠، قلت: ما علمته جاء هكذا إلا في خطاب الكافرين. كقوله: (واتقوه وأطيعون. يغفر لكم من ذنوبكم) نوح: ٣ ـ ٤. وقال في خطاب المؤمنين: (هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم)، إلى أن قال: (يغفر لكم ذنوبكم) الصف: ١٠ ـ ١٢، وغير ذلك مما يقف عليه الاستقراء. وكأن ذلك للتفريق بين الخطابين ولئلا يسوي بين الفريقين في الميعاد».(٤)

والحاصل أن الأمر لا يتعلق بعدم التسوية بين الفريقين في الميعاد فقط، بل يرتبط، أصلاً، بعدم التسوية بين الفريقين، شعورياً، في الحياة الدنيا، إذ إن الحمولة الشعورية والنفسية للتبعيض تتضاءل إزاء الحمولة الشعورية والنفسية للاستغراق والشمول، إضافة إلى أن الشعور بالخوف والحذر مضاعف بالنسبة إلى الفريق الأول، فريق الكافرين، دون فريق المؤمنين المستجيبين لنور الله أصلاً، والله أعلم.

والمتأمل في خطاب القرآن وأسلوبه يلحظ أن هذين البعدين: الاستغراق والتبعيض يتحولان إلى ملمح أسلوبي مطرد في الاستعمال القرآني يدل على وسع رحمة الله وأسبقيتها واستغراقها، وفي هذا السياق، نذكر أن الأسلوب القرآني أسقط حرف «من» عند حديثه عن تكفيره لسيئات المؤمنين، مثل قوله تعالى: (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريماً) النساء:٣١.

وقوله: (إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفّر عنكم سيئاتكم) الأنفال:٢٩، وقوله: (ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ويكفّر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما) الفتح:٥، وغيرها.

وما يوجد بين تلك الآيات أنها وردت في سياق خطاب المؤمنين وحضهم على الامتثال للشروط التي تؤهلهم إلى الحصول على مكافأة تكفير سيئاتهم مثل شرط التقوى واجتناب الكبائر. وقد ناسب ذلك السياق أن تسقط «من» المفيدة للتبعيض والتقليل، لأن من أهداف الخطاب القرآني، في هذه المناسبة، أن يستحث المؤمنين ويشجعهم، وليس هناك حض وتشجيع أكبر من الوعد بتكفير جميع السيئات.

لكن ورد في آية واحدة ذكر «من» المفيدة للتبعيض، وذلك في قوله تعالى: (إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير) البقرة:٢٧١. وهذه المخالفة للقاعدة تدعو إلى تأمل خاص.

لقد سبق لتاج القراء الكرماني(٥)، أن تنبه إلى هذا الملحظ، لكن تعليله له اقتصر على مستوى المناسبة التركيبية، يقول: «قوله: (ويكفر عنكم من سيئاتكم)، في هذه السورة بزيادة «من» موافقة لما بعدها، لأن بعدها ثلاث آيات فيها «من» على التوالي، وهي قوله: (وما تنفقوا من خير) «ثلاث مرات»(٦).

والحقيقة أن المناسبة، هنا، تتجاوز المستوى التركيبي لتتصل أساسا بالمستوى الدلالي مما يعطي لحرف «من» دورا لا يتحقق في حال إسقاطه.

إن سياق الآية (٢٧١) من سورة البقرة يتمثل في توعد القرآن للمؤمنين الذي قد يفعلون فيبطلون صدقاتهم بالمن والأذى، وقد أورد، بين يدي تحذيره لهم، صورة تشبيهية قوية في دلالتها على ضياع الصدقة بالمن والأذى، أو المشوبة بالرياء، يقول تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين)البقرة:٢٦٤، وهي مقابل ذلك، يرسم القرآن صورة إيجابية للمؤمنين الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله.

وبعد ذلك، ينبه القرآن المؤمنين إلى دور الشيطان في إيقاع قلوب الناس في مخافة الفقر فيمتنعون عن الإنفاق في سبيل الله، ثم يبرز كيف أن الإنفاق عمل محمود سواء أكان

من شأن توهم المؤمن أن مجرد إنفاقه يوجب تكفير جميع سيئاته مشعر له بنشوة المغفرة

سراً أم جهراً، مع اعتبار القرآن أن الصدقة الخفية خير لصاحبها.

لقد وردت الآية المذكورة في هذا السياق، وهو سياق متعلق بسلوك مخصوص، وهو سلوك الإنفاق والصدقة، بينما الآيات التي سقط منها حرف «من» وردت في سياق عام، سياق الحض على التقوى واجتناب الكبائر، وبموازنة السياقين، يظهر كيف أن السياق الأخير مسوغ للسياق الأول وزائد عليه، لأن التقوى واجتناب الكبائر أعم من الإنفاق، أي إن الثاني خاص، والأول عام، وبموجب هذا التباين في الطبيعة، ناسب أن تذكر «من» في الآية (٢٧١) من سورة البقرة، وأن تسقط من بقية الآيات التي تشترك معها في المكون الأسلوبي: «تكفير السيئات».

وإذا كان من العدل، نفسياً وواقعياً، أن يترتب على الامتثال إلى شروط التقوى واجتناب الكبائر تكفير السيئات جميعها، فإن من اقتضاءات ذلك العدل أن يترتب على الإنفاق، وهو سلوك مخصوص وجزئي، مجرد تكفير بعض السيئات. وإضافة إلى العدل المتحقق في اختلاف النتيجتين وتباين المكافأتين، فإن من شأن توهم المؤمن أن مجرد إنفاقه يوجب تكفير جميع سيئاته مشعر له بنشوة المغفرة، وقد يدفعه إلى الكسل في بقية الطاعات، فلابد من تدخل أسلوب القرآن ليقضي على تلك البدور النفسية الخبيثة، وليجعل المؤمن حذراً مزوداً باليقظة والوجل. يقول الإمام الطبري: «فإن قال قائل: وما وجه دخول «من» في قوله تعالى: (ونكفر عنكم من سيئاتكم)؟ قيل: وجه دخولها في ذلك بمعنى: ونكفر عنكم من سيئاتكم ما نشاء من تكفيرها وليس جميعها، ليكون العباد على وجل من الله، فلا يتكلوا على وعده ما وليس على الصدقات التي يخفيها المتصدق، فيتجرؤوا على حدوده ومعاصيه»(٧).

المتأمل في خطاب القرآن يلحظ أن الاستغراق والتبعيض يتحولان إلى ملمح أسلوبي مطرد في الاستعمال القرآني

من أسرار الإفراد والجمع في السياق الواحد

ورد لفظ «الخلد» في القرآن بصيغة الفعل والمصدر واسم الفاعل، ويلاحظ أنه حيثما يرد بصيغة اسم الفاعل يتنوع بين الإفراد والتثنية والجمع.

فمن أمثلة وروده مفرداً، قوله تعالى: (مثل الجنة التي وُعِد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميماً فقطع أمعاءهم) محمد:١٥، ومن أمثلة وروده مثنى، قوله تعالى: (فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها) الحشر:١٧، ومن الآيات التي ورد فيها لفظ «خالد» جمعاً، قوله تعالى: (ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون) البقرة:٢٥.

غير أن الأسلوب القرآني حريص على أن تحمل كل صيغة «شحنة» دلالية ووجدانية لا توجد في الصيغ الأخرى بالرغم من اشتقاقها من أصل واحد.

وأبرز مثال على ذلك قوله تعالى: (تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم. ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين) النساء:١٣ ـ ١٤.

فالملاحظ أن اسم الفاعل «خالد» جمع وأفرد في آية واحدة، مع أن الخطاب يقتضي أطراد الإفراد، لأن «من» تحيل، في سياق الآية، على المفرد، والدليل على ذلك أن ضمير «الهاء» المتصل بجواب الشرط يحيل على المفرد في حالي الطاعة والعصيان: «يدخله جنات»، «يدخله ناراً».

ولا شك أن لهذا التنوع الدقيق في سياق واحد أسرار دلالية ونفسية بنعين على قارئ القرآن أن يتدبره ويقلب فيه النظر من حين لآخر.

وقد عثرت على مخطوط(٨) لأبي الفيض حمدون بن الحاج(٩)، قيد فيه تفسيره واستنباطه لمعاني الواردة في الآية المذكورة من سورة النساء، ووجدته قد أشار إلى هذه الملحوظة، واعتمد، في بيان معانيها النفسية والشعورية، على ما أشار إليه الأستاذ الجليل أبوسعيد بن لب(١٠) في جواب عن مسألة جمع «خالدين» أولا وإفرادها «خالدا» ثانيا.

يقول «أبوسعيد بن لب»: سئلت عن قوله تعالى في سورة النساء: (ومن يطع الله)، إلى قوله (خالدين)، و«من يعص الله»، إلى قوله: «خالدا».

فجمع أولاً وأفراد ثانياً، وأجيب بأن الجنة لما كان لأهلها فيها اجتماعات وليست فيها فرقة، جاء قوله «خالدين» اعتباراً بالمعنى الحاصل في الجنة من الاجتماع، ولما كان أهل النار على الضد من هذا، فكل واحد منهم في ثابوت من نار حتى يقول أحدهم ليس في النار إلا هو، جاء قوله: «خالداً فيها» باعتبار هذا المعنى.(١١)

فمن المعاني المتاحة لجمع «خالدين» شعور المؤمن بأن من نعم الله عليه، فوق نعمة إدخاله الجنة وتمتيعه بنعيمها الدائم والمتنوع، أن جمعه بصفوة المؤمنين، يأنس بهم، ويتمتع بمجالستهم ومنادمتهم، فلا يشعر المرء فيها بشعور الوحدة والقنوط، بخلاف الكافر، فيتضاف إلى العذاب المادي البدني عذاب نفسي يتمثل في شعوره بقسوة الوحدة، وكأن النار فارغة إلا منه، وكأن لا أحد يلج جهنم إلى جواره.

وهناك معنى نفسي آخر يصاحب تدبُّر جمع «خالدين» في سياق امتثال المؤمن لطاعة الله ورسوله، وهو أن ذلك الجمع يشعر بكثرة المطيعين والملتزمين بحدود الشرع، فكثيراً ما يشعر المؤمن أنه وحيد في ساحة الالتزام والابتلاء. ولكن لفظ «خالدين» يبعث في نفسه الطمأنينة بأن هناك من هو، مثله، قابض على دينه، مستحضر لرقابة ربه. وقد ألمح الإمام البقاعي(١٢) إلى هذا المعنى بقوله: «وجمع الفائزين بدخول الجنة في قوله «خالدين فيها»، يشير إلى كثرة الواقفين على الحدود، ولأن مناديهم الإخوان من أعلى نعيم الجنان»(١٣)

ولا شك أن هذين المعنيين كفيلان بأن يمنحا روح المؤمن قوة وثقة تجعلانه يسلك طريق الابتلاء في الحياة الدنيا بقلب مطمئن ويقين ثابت.

والحاصل أن تلك القوة رحمة، وذلك الشعور رحمة، والإيحاء إليهما بأسلوب الذكر والحذف والإفراد والجمع والاستغراق والتبعيض هو الآخر مظهر من مظاهر الرحمة المعروضة في الخطاب القرآني، أو هو وسيلة أسلوبية للشعور بها وتذوقها.

الأسلوب القرآني حريص على أن تحمل كل صيغة، شحنة، دلالية ووجدانية لا توجد في الصيغ الأخرى

وإذا أضفنا إلى تلك الأساليب والصيغ أسلوب أول آية افتتح بها القرآن الكريم: «بسم الله الرحمن الرحيم»، وبحثنا في أسرار انتقاء صفة الرحمة من جموع صفات الذات العلية، وقمنا بإحصاء موارد ذكر صفة الرحمة والمغفرة في الخطاب القرآني، ومقارنتها بموارد ذكر صفة «شديد العقاب» و«شديد العذاب»، فإن النتيجة البارزة هي أن الرحمة روح تسري في خطاب القرآن ليس على المستوى الدلالي فقط، وإنما على المستوى الأسلوبي بالدرجة الأولى.

ويمكن أن يستحضر، في سياق ذلك البحث والإحصاء، كيف أن لفظ «الرحمة» كتب، في الرسم القرآني، بتاء مبسوطة على الشكل التالي «الرحمت»، وذلك من أجل الدلالة، إشارياً، إلى انبساط رحمة الله وانفتاحها وتجاوزها لمختلف أشكال الحدود والربط والانغلاق، وهي ذلك لفت لإحساس المسلمين بأن يتحولوا، في واقع الحياة، إلى نماذج تعكس أسلوبية الرحمة وجمالياتها في الخطاب القرآني، ويكونوا آيات تمثل أسلوبية الرحمة وجمالياتها في الحياة ■

•• الهوامش ••

١ ـ هذا الوصف طرف من حديث رواه الترمذي في جامعه، «كتاب ثواب القرآن، (باب ما جاء في فضل القرآن)، وقال: «هذا لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإسناده مجهول، وفي الحارث مقال» ج ١١/ ٣٠.

وأورده البغوي في «شرح السنة»، حديث رقم: ١١٨١، ج٤/ ٤٢٨، وقال: «محققاً الشرح «المارث هو ابن الأعور الهمداني صاحب علي، كان فقيهاً فرضياً، وثقه ابن معين والنسائي، وأحمد بن صالح، وابن أبي داود، وتكلم فيه الشعبي، وابن الديني، وأبوزرعة والدارقطني وغيرهم.. والجمهور على توهينه، وتعقبه الحافظ في «التهذيب» بقوله: «لم يحتج به النسائي، وإنما أخرج له في «السنن» حديثاً واحداً مقروناً بابن ميسرة، وآخر في «اليوم والليلة».

وقال الحافظ ابن كثير في «فضائل القرآن»: وقنصارى القول أن يكون من كلام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وقد وهم بعضهم في رفعه، وهو كلام حسن صحيح.

٢ ـ انظر: محمد إقبال عروي، «اطرادات أسلوبية في الخطاب القرآني»، دار الأمان، الرباط، ط١، ١٩٩٦م

٣ ـ رواه البخاري في صحيحه، باب ما جاء في صفة الجنة، حديث رقم: ٣٠٧٢، ج٣ ص ١١٨٤، ومسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها، حديث رقم: ٢٨٢٤، ج٤ ص ٢١٧١، والترمذي في جامعه، باب سورة السجدة، ج٥ ص٣٤٦، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

٤ ـ الزمخشري، «الكشاف»، ج٢، ص٣٦٩

٥ ـ هو محمود بن حمزة بن نصر الكرماني، عاش في حدود الخمسمائة، وتوفي بعدها، لم يرجع عن بلده «كرمان» مما قد يفسر جهل مصنفي الطبقات بتاريخ ولادته ووفاته وأسماء شيوخه.

من تصانيفه: «لباب التفسير وعجائب التأويل» أشار إليه السيوطي في «تناسق الدرر»، و«الإيجاز في النحو» و«البرهان في توجيه متشابه القرآن». انظر ترجمته في «معجم الأدباء» ج١٩ ص١٢٥، و«بغية الوعاة»، ج٢ ص٢٧٧.

٦ ـ الكرماني «البرهان في توجيه متشابه القرآن»، تحقيق: عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ ١٩٨٦م، ص١٣.

٧ ـ الطبري «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»، ج٣، ص٩١، وبهذا الشأن، يسقط تأويل بعض نحاة البصرة من أن «من» زائدة، انظر المرجع نفسه.

٨ ـ الخطوط بعنوان «تقييد على آية «تلك حدود الله» للشيخ أبي الفيض سيدي حمدون بن الحاج، ضمن مجموع يحمل رقم (١٣٤٨م) بالخزانة العامة في الرباط.

٩ ـ أبوالفيض حمدون بن عبدالرحمن الشهير بابن الحاج، ولد سنة ١١٧٤هـ، أخذ عن الشيخ الطيب بن كيران والتاودي والبناني واليازغي، وجمع ولقي أعلاماً، وأخذ عنه أبناء محمد الطالب ومحمد والشيخ عبدالقادر الكوهن، توفي سنة ١٢٣٢هـ. له مصنفات كثيرة منها حاشية على تفسير أبي السعود ومختصر السعد ومنظومة في السيرة وأرجوزة في المنطق وأخرى في علم الكلام، ومختصرة في علم العروض، ونظم مقدمة ابن حجر وشرحها في كتابه «نفحة المسك الداري لقارئ صحيح البخاري».

وقد أفرد له ابنه محمد الطالب ترجمة طويلة في كتابه «رياض الورد فيما انتهى إليه هذا الجوهر الفرد» حققه د.جعفر بن الحاج السلمي الأستاذ في كلية الآداب في تطوان.

ولأبي الفيض ديوان شعري بعنوان «التوافح العالية في الأمداح السليمانية»، حققه د.أحمد العراقي الأستاذ في كلية الآداب، ظهر الجهاز في فاس.

وله تقييدات وحواشي في التفسير، عملنا على تحقيقها برفقة الباحث الموريتاني الأستاذ «يوسف بن محمد السعيد» وهي: إن شاء الله، في طريقها إلى النشر ضمن سلسلة «الملقة الإفريقية للتحقيق».

انظر ترجمته في «شجرة النور الزكية»، ص ٣٧٩ ـ ٣٨٠، و«رياض الورد...» بتحقيق الأستاذ جعفر بن الحاج السلمي.

١٠ ـ أبوسعيد فرج بن قاسم بن لب التغلبي الغرناطي، ولد سنة ٧٠١هـ، وأبي الخطابة والإقناء في غرناطة، أخذ عنه الشاطبي وابن سراج والإمام الحفار ولسان الدين بن الخطيب ومحمد بن جزي، وأكثر المواقف من النقل عنه في «شرح المختصر»، توفي سنة ٧٨٢هـ.

انظر ترجمته في «شجرة النور الزكية»، ص٢٣٠، و«الإعلام» ج٥ ص١٤٠، و«موسوعة أعلام المغرب» ج٢ ص٦٩١

١١ ـ سيدي حمدون بن الحاج: «تقييد على آية «تلك حدود الله»» (مخ)، ص٢٢١.

١٢ ـ أبوالحسن برهان الدين إبراهيم بن عمر بن علي بن أبي بكر البقاعي، أصله من البقاع في سورية، ولد سنة ٨٠٩هـ، وسكن دمشق، ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة، وتوفي في دمشق سنة ٨٨٥هـ. قرأ على علماء أجلاء منهم التاج بن بهاء والجزري والشقي الحصني والتاج الفرايضي والحافظ ابن حجر.

له مصنفات كثيرة منها: «عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والأقران»، و«الناحة في علمي الحساب والمساحة»، غير أن أهم مصنفاته هو: «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور» الذي قال فيه الشوكاني: «ومن أمعن النظر في كتاب المترجم له في التفسير، الذي جمعه من المناسبة بين الآي والسور، علم أنه من أوعية العلم المفرطين في الذكاء، الجامعين بين علمي المعقول والمنقول»، وله ديوان شعر سماه «إشعار الراعي بأشعار البقاعي»، كان بينه وبين معاصره السخاوي انحراف، ظهرت آثاره في ترجمة هذا الأخير له في كتابه «الضوء اللامع».

انظر ترجمته في «البدر الطالع» ج١ ص٦٨ ـ ٦٩، و«الضوء اللامع» ج١ ص١٠١، وشذرات الذهب ج٧ ص٢٢٩، و«الأعلام» ج١ ص٦٠

١٣ ـ البقاعي «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور» ج٥ ص٢١٤

السراج المنير

من وحي السيرة النبوية العطرة

"وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً"

سورة الأحزاب - الآية ٤٦

للشاعر
الدكتور حسن فتح الباب

زهت الأرض والسماء جميعاً ... يوم ميلاد خاتم الأنبياء
وانجلى الأفق عن جبين صباح ... المعي مُعطّر الأنداء
يغمر الكائنات بشراً وأمناً ... وسلاماً بوجهه الوضاء
بعد ليل جهم الدياجي بهيم ... لا يُرى فيه بارق من ضياء
جثمت فيه عصبة من قريش ... فوق أنفاس قومها الأسراء
كم بغت كم طغت وأعلت صروحاً ... من ضلال وفتنة نكراء
فأراد الرحمن أن يهب الخلق ... بشيراً بنصرة الضعفاء
ونذيراً بالويل للمنكرين الحق ... والبر مضرمي البغضاء
يوم ميلاد أحمد سيد الخلق ... تداعت قواعد الأشقياء
ماد فوق الرُغام إيوان كسرى ... بعد أن كان راسخاً في البناء
أطفأت شعلة المجوس رياحٌ ... فهوى المشركون في الظلماء
واعترت رجفة أباطرة الرومان، ... شلت سواعد السفهاء
وتنادت بطاح مكة قد جاء ... إلينا بالحق داعي السماء
ولد النور يوم مولد طه ... وهمى الغيث بالسنا والسناء
إنه المصطفى فؤاداً وفكراً ... ومعين الفضائل العصماء
نزل الوحي بالبيان عليه ... وهو يدعو رب الورى في حراء
فدعا قومه إلى الحق حتى ... لا يبوءوا بخسرهم والعماء
فأبوا شرعة الإله سبيلا ... لنجاة وعصمة من بلاء
واهتدى منهم رجال قليل ... لم يبالوا بما لقوا من عناء
ها هو الصاحب الوفي ... أبوبكر يلبي الداعي الكريم الدعاء
وعلي زين الشباب نقاء ... وانطلاقاً إلى ذرى العلياء
والصفيُّ النقيُّ عثمان ذو ... النورين فخر الكرام والرحماء
وبلال يوحد الله رباً ... ناصراً للعبيد والفقراء
فيلاقي من العذاب صنوفاً ... بيديّ معتد من الجهلاء
يرتضي حمله الحجارة والأغلال ... تحت الهجير في الرمضاء
رافضاً ردة إلى الشرك من ... بعد تحرير روحه من شقاء
وبلاء لآل ياسر من قوم ... غلاظ الأكباد أقسى بلاء
والنبي المبعوث بالحق يدعو ... صحبه للصمود في البأساء
جلّ من ألهم الرسول اصطباراً ... واحتمالاً لشرة وعداء

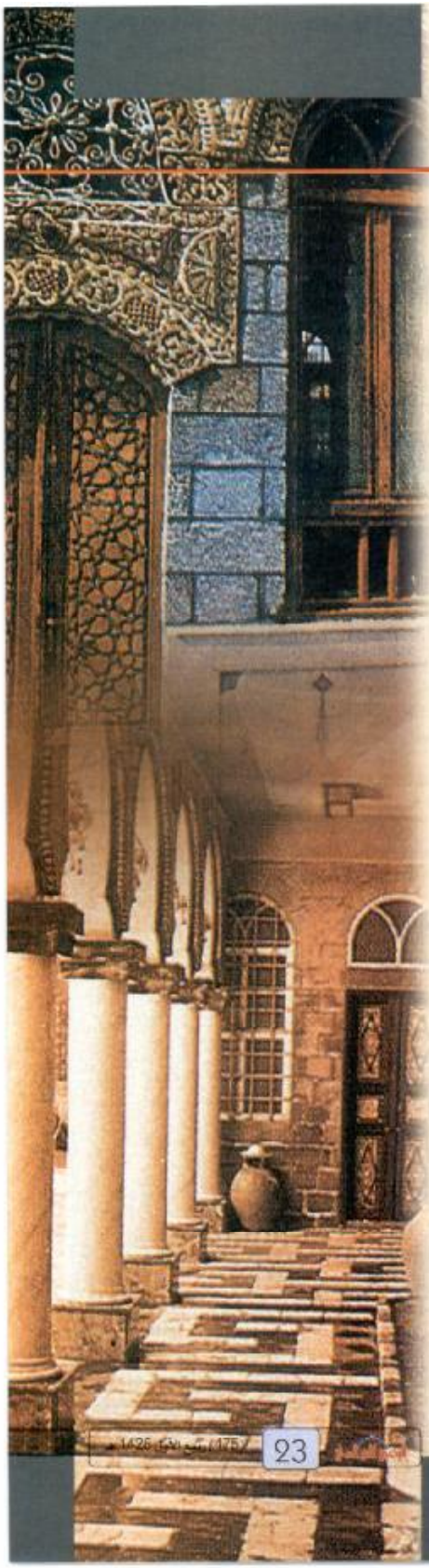

صاغه ذا حجى حصيف ورأي ... ثاقب كالشهاب في الظلماء
حين ضاق الحصار حول رسول ... الله والصابرين في الضراء
أذن الله للنبي بأن يتـ ... ـرك القرى إلى الصحراء
قاصداً يثرب الكرام الصناديد ... أولي العزم والنهى والوفاء
إنها هجرة إلى الله زلفى ... كي يعز الإسلام بالنصراء
ويذل الذي طغى عاتى الهامة ... بعد الغرور والخيلاء
ويشيد الألى استقاموا بناء ... للهدى والعدالة العصماء
ودنت ساعة الفراق فكاد الدمع ... يهمي من خاتم الأنبياء
وهو يولي جبينه الكعبة الغراء ... في زجوة من الأعداء
جمع الشرك شمله واستقر الرأي ... أن يقتلوا رسول السماء
وأحاطوا بداره ليلة الهجرة ... بين السيوف والظلماء
خرج المصطفى وألقى ترابا ... في وجوه سوداء كالغبراء
فعموا عنه لم يروا منه وجها ... بدد الدجن مشرقا كذكاء
حين لاح الصباح هبوا ثقالاً ... ليقوموا بالضلة الشنعاء
فإذا في الفراش يغفو علي ... مثل سيف في غمده وضّاء
ليس مثل الفداء حاد لمجد ... والحضارات تبتنى بالفداء
ومضى الصاحبان سيد خلق ... الله طراً والمرتضى ذو الولاء
ليس مثل الصديق من يحفظ العهد ... أميناً في صبحه والمساء
ولجا مخبأ تراءى قصيا ... وخفيا عن أعين الرقباء
غار ثور وياله من وقاء ... مُوغل في مجاهل البيداء
ضم خير الدعاة فضلاً وعدلاً ... ورفيق السراء والضراء
وأتت تنسج الخيوط عليه ... عنكبوت سبحان رب السماء
وبنت عشها على بابه الموصد ... قمرية من الصحراء
فرأى المشركون أن يتركوا الغار ... على حاله رهين خواء
خاب مسعى الأولى افتروا وأضلوا ... قومهم مغرقين في الشحناء
واستضاءت ربوع يثرب لما ... لاح نور النبوة العصماء
وكب الصاحبين سر قلوبنا ... لأسود الحمى وأهل الصفاء
ناصروا الله والرسول وكانوا ... جنده في ملاحم الهيجاء
يوم بدر خاضوا الوغى لم يبالوا ... بالذي نالهم من البرحاء
ليس مثل الأنصار في السلم ... والحرب رجال لبوا أعز نداء
ليس مثل المهاجرين كماة ... جاهدوا رافعي لواء الفداء
فتحوا مكة وعادوا إليها ... حرروها من عصبة السفهاء
أيها المسلمون قد حان عود ... منكم للشريعة الغراء
فأقرأوا سيرة النبي بعين ... لم يشبها القذى وفكر مضاء
تجدوا حلّ معضلات حياة ... أفسدتها مكائد الغرماء
انصروا الله تنصروا واستقيموا ... وتنادوا لشرعة الأتقياء
لا تخافوا عدوكم فهو يدري ... أن فيكم فرسان يوم اللقاء
إنما العاقلون من يستبينون ... السنا في الدياجر الدهماء
ويقومون للبناء جموعا ... حرّة في تضامن وإخاء
ولكم في الرسول أسوة خير ... وفلاح ونهضة للعلاء

كيف يرى بعض أدباء الغرب نبينا ﷺ

بقلم: إبراهيم نويري

المسلمون في مشرق الأرض ومغربها يؤمنون إيماناً جازماً لا تشوبه شائبة ولا يخرم ألقه شك، بأن شخصية نبينا محمد بن عبدالله صلوات الله وسلامه عليه إنما هي أجل وأعظم شخصية درجت على ظهر الثرى، وأعظم شخصية يزغ ضياؤها على دنيا الناس فعرفها لتاريخ الإنساني واحتفظ لها في سجلاته بصفحة ناصعة متلألئة لا مفر أبداً من الرجوع إليها والاستمداد منها والاهتداء بهديها والاقتباس بشمائلها.

إن اسم محمد بن عبدالله كان ولا يزال وسيظل دائماً وأبداً يمثل بحق نداء النجدة لكل المظلومين والحيارى والمهمومين، وسيبقى قلبه الطاهر الشريف مرفأ لراحة المتعبين المكدودين من أبناء البشرية ممن تاهت بهم السبل وتفرقت بهم المسالك والدروب فلم يهتدوا بعد إلى معرفة هذا المرفأ الآمن الحاني الذي يمدهم بالطمأنينة ويشحن أفئدتهم بالهدى والخير والبر والإحسان، ويؤهل عزائمهم ويصقلها كي تواجه صعوبات الحياة وأوهاقها المختلفة.

فهل ما نضفيه نحن المسلمين على هذه الشخصية الفذة وهذا النبي الإنسان من خصال وسمات ومعالم وما تخفق به قلوبنا نحوه من توقير وتبجيل، وما يثوي في أعماق أفئدتنا تجاه شخصه ورسالته وسيرته من حب وهيام وتعلق وانتماء، هو أمر خاص بنا وحدنا من منطلق ديننا ومبعث إيماننا بالرسالة العظمى التي بلغها هذا النبي الإنسان عن ربه بكل صدق وأمانة؟ أم أن هناك من يلتقي معنا ويشاركنا الكثير من هذه المشاعر الفياضة والأحاسيس الغامرة النبيلة؟

إن أي مطلع على التراث الإنساني الفكري والأدبي والفلسفي ونحوه يقع بصره على الكثير من آراء ومقولات عدد هائل من المنصفين ممن قالوا كلمات مشرقة منصفة في إمام الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه، ولا شك أن المسلم الصادق المحب لنبيه لا يسعه إلا أن يحتفي ويقدر هؤلاء الناس الذين صدرت عنهم تلك الكلمات والشهادات... أولاً لأن الإسلام نفسه أمرنا برد الحسنى وعدم إنكار المسالك الراشدة لأهل الفضل من الخلائق... وثانياً لأن هؤلاء الناس ترفعوا عن التعصب المقيت الذي يتمثله أو يدعو له لفيف من أتباع «بطرس الناسك» في الغرب النصراني، فجاءت كلماتهم تلك

> وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً
>
> سورة الأحزاب - الآية ٤٦

نبي الإسلام

في حديث كتب البراهمة والزرادشتية والصابئة (١)

بقلم: د. جمال الحسيني أبوفرحة - مدرس علم الكلام والمذاهب والأديان - جامعة قناة السويس

لا شك أن أثر محمد صلى الله عليه وسلم كان على البشرية كبيراً حتى إن «مايكل هارت» الكاتب المسيحي الأميركي قد وضع محمداً - صلى الله عليه وسلم - على رأس المئة الخالدين في تاريخ البشرية من حيث تأثيرهم في التاريخ، بصرف النظر عن كون هذا التأثير إيجابياً أم سلبياً(٢)، ومن ثم فشخص مثل محمد صلى الله عليه وسلم لا يكفي التبشير العام به - في كتب الأنبياء - إن كان صادقاً كما يكفي التحذير العام منه إن كان كاذباً، بل لابد من تسميته وتفصيل صفته حتى يعرفه أهل الكتاب (كما يعرفون أبناءهم) البقرة:١٤٦. بل حتى يعرفه العالم أجمع ما دام أعلن أنه يحمل رسالة لجميع العالم ونجح في بثها بين جميع شعوبه وما دام الله «ليس إنه نشويش»(٣).

وهو ما حدث بالفعل فاسم الرسول العربي «أحمد» مكتوب بلفظه في «اسما فيدا» Sama Vida من كتب البراهمة، فقد ورد في الفقرات من السادسة إلى الثامنة من الجزء الثاني: أن «أحمد تلقى الشريعة من ربه وهي مملوءة من الحكمة وقد قبس منه النور كما يقبس من

معبرة عن احترامهم المجرد لضمائرهم ولحقائق التاريخ.

ومن أبرز هؤلاء الأدباء العالميين الكبار ممن وقفوا مشدوهين أمام شخصية صاحب الرسالة العظمى معجبين ومقدرين الأديب الإنجليزي الشهير «برنارد شو» مؤلف كتاب «المسيح ليس مسيحياً» فقد أثر عنه شدة إعجابه بهذا النبي الإنسان المتواضع الذي كان يرقع ثوبه ويخصف نعله ويحلب شاته ويشارك أزواجه شؤون البيت ويفضل أن يقوم بنفسه على أعماله ورعاية ما في ذمته من تكاليف وواجبات وبرامج... ومن هذا المنطلق نجد «شو» يقول: «لو حكم هذا العالم رجل مثل «محمد» صلى الله عليه وسلم لقدم له الحلول لمشكلاته بل لفتح كل مستغلق من شؤونه وفي وقت قريب».

أما رمز الأدب الألماني الشاعر الكبير «غوته» فبلغ به العجب أقصاه وهو يقرأ القرآن الكريم، الكتاب الخالد الذي يمثل الخلاصة الأخيرة للوحي الإلهي وختام النبوات الربانية، وكان هذا الأديب يتحدث عن بعض شمائل الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ومما لفت نظره بقوة في هذه الشمائل كيف كان يسير في الأسواق؟، وكيف كان يمشي المجالس مذكراً برسالة ربه؟، وكيف كان يعيش بين الناس كواحد منهم بلا أبهة ولا صولجان؟. وهو أمر مغاير تماماً لمسالك ملوك أوروبا. وكيف نجح هذا النبي الإنسان في تغيير الحياة البدوية البسيطة في جزيرة العرب؟ وكيف وحد القبائل التي كثيراً ما نشب القتال بينها من أجل سباق للخيل أو أبيات من الشعر، تضعنت هجاء أو وعيداً، ومن شعر «غوته» المأثور في تمجيد هذا النبي الإنسان قوله: «بخطوة قائد ثابت.. وتحت وطأة قدمه.. نبت في الوادي زهور.. وتحيا من أنفاسه زهور.. ولكن لا يصده وإد ظليل..». وقد ألف «غوته» أيضاً ملحمة شعرية في سيرة ودعوة النبي صلى الله عليه وسلم، عرض فيها للكثير من مراحل حياته وجهاده في سبيل توطيد أركان الرسالة التي كلف بتبليغها.

ومن بين الأدباء العالميين الذين عبَّروا عن تأثرهم بشخص ورسالة النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم أديب روسيا الكبير «ليون تولستوي» فقد ألف كتابه «حكم النبي محمد» ترجمة لهذا التأثر الذي استولى على نفسه... ومما قاله «تولستوي» ودوَّنه بقلمه: «لا ريب أن النبي محمداً من كبار الرجال المصلحين الذين خدموا الهيئة الاجتماعية خدمة جليلة، ويكفيه فخراً أنه هدى أمة برمتها إلى نور الحق وجعلها تجنح للسلام... ونكف عن سفك الدماء، وفتح لها طريق الرقي والتقدم، وهذا عمل عظيم لا يقوم به إلا رجل أوتي إرادة وحكمة وعلماً.. إن رجلاً مثله جدير بالاحترام والإجلال».

ولعله من المناسب أن أختم هذه المراجعة العطرة بما قرره المؤلف الأميركي «مايكل هارت» في كتابه «المئة: تقويم لأعظم الناس أثراً في التاريخ»، حيث جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم، أول هؤلاء المئة الأكثر تأثيراً في تاريخ البشرية منذ عُرفت الحياة وعُرف التاريخ... فنقرأ له قوله: «لقد اخترت محمداً في أول هذه القائمة ولابد أن يدهش كثيرون لهذا الاختيار، ولكن محمداً صلى الله عليه وسلم هو الإنسان الوحيد في التاريخ الذي نجح نجاحاً مطلقاً ومتناسقاً على المستوى الديني والدنيوي معاً... فهذا الامتزاج بين الدين والدنيا هو الذي جعلني أؤمن بأن محمداً هو أعظم الشخصيات أثراً في تاريخ الإنسانية كلها».

وليس من شك في كون قائمة أصحاب تلك الشهادات والاعترافات طويلة، فمنهم مثلاً «فولتير» و«زيغريد هونكه» و«رينيه جينو» و«آن ماري ديلكامير»، و«سير جيونوجا»، وآخرون، ونحن نحتفي ونسعد كلما كشر هؤلاء الأدباء والكتاب من ذوي الضمائر الصافية.. ويطل ما قاله «حسان بن ثابت» رضي الله عنه في نبينا صلوات الله وسلامه عليه أفضل ما يُردد في هذا المقام:

خلقت مبرءاً من كل عيب
كأنك قد خلقت كما تشاء
فأجمل منك لم ترقط عيني
وأفضل منك لم تلد النساء

الشمس»(٤).

وكذلك في كتب «زرادشت» التي اشتهرت باسم الكتب المجوسية نجد في كتاب «زند افستا» Zend Avesta نبوءة عن رسول يوصف بأنه رحمة للعالمين، ويتصدى له عدو يسمى بالفارسية القديمة «أبا لهب» ويدعو إلى إله واحد من لم يكن له كفواً أحد ولا ضريع ولا قريع ولا صاحب ولا صاحبة ولا أب ولا أم ولا ولد ولا مسكن ولا جسد ولا شكل ولا لون ولا رائحة ولا أول ولا آخر»(٥)

والإشارة هنا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم واضحة، فهو الذي وصفه القرآن بأنه (رحمة للعالمين) الأنبياء:١٠٧، وهو الذي نزلت عليه سورة الصمد متضمنة تلك المعاني المشار إليها في البشارة، وكان من أعدى أعدائه عمه «أبولهب» الذي نزلت فيه سورة المسد.

وفي الكتب الزرادشتية كذلك: «إن أمة زرادشت حين ينبذون دينهم يتضعضعون وينهض رجل في بلاد العرب يهزم أتباعه فارس، ويخضع الفرس المتكبرين، وبعد عبادة النار في هياكلهم يولون وجوههم نحو كعبة إبراهيم التي ستكون قد تطهرت من الأصنام، ويومئذ يصبحون وهم أتباع للنبي رحمة للعالمين وسادة لفارس... وإن نبيهم ليكون فصيحاً يتحدث بالمعجزات»(٦).

ونبوءة خلافة العرب لملوك الفرس قد وردت كذلك في كتاب الصابئة المقدسة «الكنزه ربه» في الكتاب الثامن عشر كما ذكر في هذا الكتاب نفسه أن ملك العرب المسمى «سيهولدايو» أي: تالي الأنبياء أو خاتمهم، سيخرج في زمن ملك للفرس يسمى «أزدجر» وهو ما كان بالنسبة لرسولنا صلى الله عليه وسلم.(٧)

هذا قليل من كثير لا يتسع المقام إلا للتمثيل له. فصدق الله العظيم القائل في كتابه الكريم: (ويقول الذين كفروا لست مرسلاً قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب) الرعد:٤٣ ■

•• الهوامش ••

١ ـ وهذه الكتب رجح بعض العلماء أن لها أصلاً سماوياً ولكنها حُرفت.

٢ ـ انظر: مايكل هارت: الخالدون مئة أعظمهم محمد صلى الله عليه وسلم، ترجمة انيس منصور، الزهراء للإعلام العربي، ط٧، ١٩٨٦م.

٣ ـ رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ١٤: ٣٢.

٤ ـ انظر: عباس محمود العقاد: مطلع النور أو طوالع البعثة المحمدية، كتاب الهلال، دار الهلال ١٩٦٨م، ص١٥.

٥ ـ انظر: المصدر السابق ص١٦.

٦ ـ انظر: عباس محمود العقاد: المصدر السابق، ص ١٧.

٧ ـ انظر: هشام محمد طلبة: محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الترجوم والتلمود وغيرها من كتب أهل الكتاب وأصحاب الديانات، النهار للطبع والنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٩م، ص٤٢.

شخصية الرسول ﷺ
في عيون الشعراء العرب النصارى

مما لا شك فيه أن القائد العربي الفذ الرسول صلى الله عليه وسلم لا يحتاج إلى شهادات الآخرين، ولكن هذه الشخصية المميزة جذبت آراء المفكرين والسياسيين والفلاسفة، وإن كان هؤلاء الغربيون قد أنصفوا في أقوالهم يدفعهم ضميرهم الحي إلى قول الحقيقة، ولن نستعرض أسماء هؤلاء وإنما اكتفينا بعدد من الشعراء العرب النصارى الذين كانوا ومازالوا يتعايشون مع العرب المسلمين، وقد لمسوا منهم المودة والإخاء وحسن المعاملة، ولهم ما لغيرهم من حقوق وواجبات حتى إن بطون الكتب تزخر بالكثير من العرب النصارى الذين استلموا مناصب عالية في ظل الإسلام وكانوا أمناء لهذه الرسالة، لأنهم عرب ولأنهم يعرفون الإسلام جيداً وما حفلت به الآيات القرآنية التي تجسد الإخاء الديني، فالرسول صلى الله عليه وسلم يجسد الإنسانية في أحاديثه وقد انتشرت هذه الأحاديث في الغرب والشرق في كل المعمورة وهل هناك أسمى من قوله: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»؟ وتجلت إنسانيته النبيلة السامية في قوله وفعله وحروبه وحياته.

وكما يقال «الأقربون أولى بالمعروف» ولا شك أن النصارى هم الأقرب إلى العرب المسلمين، ومن الطبيعي أن يبرزوا مشاعر الوفاء والتقدير والإعجاب بالرسول صلى الله عليه وسلم.

> وداعياً
> إلى الله بإذنه
> وسراجاً منيراً
>
> سورة الأحزاب - الآية ٤٦

بقلم:
جاك صبري شماس

فالشاعر المتوري «عبدالله يوركي حلاق» مؤسس مجلة «الضاد» في «حلب»، كانت مجلته ومازالت تفيض بآلاء المحبة والتقدير والفخر بالعروبة والإسلام، والشاعر في قصيدته «قبس من الصحراء» يشيد بالرسول صلى الله عليه وسلم الذي حمل لواء الديانة الإسلامية ونقل العرب من غياهب الجهل والتخلف إلى فضاء العلم والنهضة، وتكللت أفعاله بالمجد والسمو والرفعة والإباء، وهو يحطم أوثان الشر والفساد والكفر، ولا ينسى الشاعر من إبراز التضامن والإخاء والألفة:

بعث الشريعة من غياهب رمسها
فرعى الحقوق وفتح الأذهانا
أمحمد والمجد نسج.. يمينه
مجدت في تعليمك... الأديانا
ولأنه داس الجهالة وانتضى
سيف الجهاد، وحطم الأوثانا
فلقد ربينا في ظلال عروبة
عرياء تشرق عزة وأمانا
ما نحن إلا أخوة نسعى إلى
إسعاد أمتنا وصون حمانا

ومن شعراء المهجر الجنوبي الشاعر «جورج صيدح» الذي يمدح النبي ويشيد بمواقفه السامية ومنجزاته النبيلة الشامخة وتكريمه للشهادة التي مأواها الجنة، وتصديه لكل من يحاول المس من عظمة الدين الإسلامي:

يا من سريت على البرا
ق وجزت أشواط العنان
عرج على القدس الشريـ
ـف ففيه أقداس تهان
ماذا دهاهم هل عصو
ك فأصبح الغازي جبان
ونذرت للشهداء جنا
ت، وخيرات حسان

والشاعر «إلياس فرحات» شاعر المهجر الجنوبي يفتخر بمناقب الرسول صلى الله عليه وسلم،

ويفضله في نشر الديانة، وتقدير الشعوب لهذا اللواء الذي حمله وغرسه شامخاً:

غمر الأرض بأنوار النبوة
كوكب لم تدرك الشمس علوه
لم يكد يلمع حتى أصبحت
ترقب الدنيا ومن فيها دنوه

والناقد الشاعر اللبناني «مارون عبود» الذي عرض الصور المشرقة للقرآن الكريم، ومكانته الطاهرة عند الشعوب، وانتصار العربية وأنصهارها في بوتقة إسلامية. وأثر الرسول صلى الله عليه وسلم في حمل هذه المنارة التي بددت دياجير الشرك، ويظهر قوة الإيمان عند النبي العظيم:

لولا كتابك ما رأينا معجزا
في أمة مرصوصة البنيان
حملت إلى الأقطار من صحرائها
قبس الهدى ومطارف العمران
هاد يصور لي كأن قوامه
متجسد من عنصر الإيمان

والشاعر المعروف بجموح الخيال، وصدق العاطفة وتوقدها، وهو «محبوب الخوري الشرتوني» المغترب في «المكسيك»، وصاحب قصيدة «قالوا تحبُ العرب» يدلي الشاعر بشهادته وهويته وانتمائه وعشقه للعروبة، والإشادة بإمام البشرية وقيادته وحكمته في قوله:

قالوا: تحب العرب قلت: أحبهم
يقضي الجوار علي والأرحام
قالوا: لقد بخلوا عليك أجبتهم
أهلي وإن بخلوا علي كرام
ومحمد بطل البرية كلها
هو للأعارب أجمعين إمام

والشاعر اللبناني «خليل مطران» الذي عاش في مصر بعدّ مآثر الرسول صلى الله عليه وسلم، وما عاناه من أجل توطيد الدين الإسلامي، ونقل الناس من الشرك إلى رسالة التوحيد وما تتضمنه هذه الرسالة من عدل وإيمان ونقاء يقول في قصيدته «رأس السنة الهجرية»:

عانى محمد ما عانى بهجرته
لمأرب في سبيل الله محمود
وكم غزاة وكم حرب تجشمها
حتى يعود بتمكين وتأييد
صعبان راضهما: توحيد معشرهم
وأخذهم بعد إشراك بتوحيد
وبدؤه الحكم بالشورى يتم به
ما شاءه الله من عدل ومن جود

والشاعر اللبناني المهجري «رشيد سليم الخوري» المعروف بلقب الشاعر «القروي» ملأت سمعته

الشخصية المميزة للرسول الكريم ﷺ جذبت آراء المفكرين والسياسيين والفلاسفة

الشاعر اللبناني «مارون عبود» عرض بشعره الصور المشرقة للقرآن الكريم، ومكانته الطاهرة عند الشعوب، وانتصار العربية وأنصهارها في بوتقة إسلامية واحدة

الآفاق وهو يتغنّى بالعروبة، ويعتز بالرسول صلى الله عليه وسلم ويعدد مزاياه، ومواقفه العصماء، ومن قصيدته «عيد البرية» نذكر بعض الأبيات منها:

يا فاتح الأرض ميداناً لقوته
صارت بلادك ميداناً لكل قوي
يا قوم هذا مسيحي... يذكركم
لا ينهض الشرق إلا حبنا الأخوي
فإن ذكرتم رسول الله تكرمة
فبلغوه سلام الشاعر القروي

ويطلُّ من «الجزيرة السورية» من محافظة الحسكة الشاعر «جاك صبري شماس» الذي تشهد معظم دواوينه الشعرية، ومقالاته على محبته وولائه للعروبة وإشادته بالدين الإسلامي وافتخاره بالقائد العربي العظيم الرسول صلى الله عليه وسلم، الذي دانت له الدنيا بأقوامها، وذلك في قصيدته: «أوراق اعتمادي» يقتطف بعض أبياتها:

إني مسيحي أجل محمدا
وأجل ضادا مهده الإسلام
وأجل أصحاب الرسول وأهله
حيث الصحابة صفوة ومقام
كحلت شعري بالعروبة والهوى
ولأجل «طه» تفخر الأقلام
أودعت روحي في هيام محمد
دانت له الأعراب والأعجام

وما أحسب أننا قد عرضنا إلا الجزء اليسير من قائمة الشعراء العرب النصارى الذين تفانوا في سبيل عروبتهم، وأخلصوا لفارس هذه الأمة الرسول صلى الله عليه وسلم وجسّدوا في أدبهم ومقالاتهم وقصائدهم عظمة الدين الإسلامي الذي اتشح بالحب والإخاء والتسامح ■

على هامش السيرة

منهج الأخلاق الإسلامية

سلاح المسلم في مواجهة التيّارات المعاصرة

يتعرض المسلم في عالمنا المعاصر لتيارات معاصرة جارفة، يتمثل بعضها في خطر العولمة وقبضة الشركات المتعددة الجنسيات، والغزو الفكري والثقافي، والاستعمار النفسي والمادي، هذا فضلاً عن الأزمة الأخلاقية التي يستشري سُمُّها في أوصال العالم الإسلامي، ويتفاقم خطرها يوماً بعد يوم.

السُبُل الكفيلة بمواجهة التحديات المعاصرة

وبعض المسلمين اليوم يبحثون عن السبل الكفيلة لمواجهة هذه التحديات والتيارات المعاصرة، في مذاهب شرقية، وأخرى غربية، على حين أن منهج الأخلاق النبوية هو العلاج الناجع والسلاح الفاعل لهذه التيارات المعاصرة، وحري بنا ونحن نحتفل هذه الأيام بذكرى المولد النبوي الشريف أن نقف أمام منهج الأخلاق النبوية الشريفة، لنتشرَّب من معينه ما يُعيننا على تخطي العقبات الراهنة ومواجهة التحديات المعاصرة في عالم لا يحترم إلا الأقوياء وأول ما يجب أن يتعرف إليه المسلم، كيف كان خُلق النبي، صلى الله عليه وسلم؟

كان خُلُقه، صلى الله عليه وسلم، القرآن

لقد كان خُلق النبي، صلى الله عليه وسلم، القرآن، بل هو قرآن يمشي على الأرض، وقد مدح ربّ العزة خلقه، صلى الله عليه وسلم، فقال: (وإنك لعلى خُلق عظيم) القلم:٤. وقالت السيدة خديجة - رضي الله عنها - تصف خُلقه، صلى الله عليه وسلم، في بدء نزول الوحي عليه: «إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الدهر» (أخرجه البخاري).

أبرز معالم منهج الأخلاق النبوية

١ . الصدق والأمانة:

فالصدق والأمانة صفتان من أهم صفات الأنبياء، حتى لقد لقبته قريش في الجاهليَّة بالصادق الأمين، وعلى الرُّغم من عداوة قريش له بعد البعثة النبوية، فقد كانوا يتركون ودائعهم عنده في مكة لعلمهم أنها في يد أمينة، وقد اعترف له أعداؤه بهاتين الصفتين، فقد روى الشيخان بسنديهما عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أنه صعد جبل الصفا بمكة عندما أمره ربه بتبليغ الدعوة وقال: «يا معشر قريش، لو أخبرتكم أن وراء هذا الوادي خيلاً تريد الإغارة عليكم أكنتم مصدِّقي»؟ قالوا: ما جرَّبنا عليك كذباً.

وها هو عدوُّ الله أبوجهل، لعنه الله - يقول للنبي، صلى الله عليه وسلم: إنا لا نُكذِّب ما جئت به، فنزل قوله تعالى: (قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يُكذِّبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) الأنعام:٣٣.

والصدق والأمانة صفتان ضروريتان لتبليغ الدعوة الإسلامية، ولذا فإن الناس كانوا يُسارعون إلى الإيمان بهذه الدعوة لعلمهم بصدق النبي، صلى الله عليه وسلم، وأمانته في التبليغ عن ربه، ومن كفر بها منهم فإنما يكفر بها عناداً مع علمه بأنها الحق.

وهي هذا نبراس لكل مسلم داع يرجو لدعوته قبولاً ونجاحاً، ولكل مجتمع يريد لمبادئه أن تنتشر بين العالم، ولكل أولي أمر يريدون لأتباعهم ورعيتهم أن يمتثلوا لأوامرهم وأن يستتب الأمن والطمأنينة بين الرعية، فلا دِين لمن لا أمانة له، ومن كذب على الناس حتماً سيكذب على الله، والصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة، أما الكذب فخيانة وهو يهدي إلى الفجور والنار.

٢ . الرحمة

والرحمة خُلق ملازم للنبي، صلى الله عليه وسلم، فقد قال الله - سبحانه - في حقه، صلى الله عليه وسلم: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) الأنبياء:١٠٧، ولعله لم يُستعمل لفظ الرحمة في حق نبي من الأنبياء إلا النبي محمد، صلى الله عليه وسلم.

وقد عمَّت رحمته، صلى الله عليه وسلم، جميع

> وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً
>
> سورة الأحزاب - الآية ٤٦

بقلم:
د. ماهر عباس جلال
أستاذ في جامعة القاهرة

المخلوقات حتى الحيوان والجماد، فهو يحب الفقير، ويرفق بالمسكين، وبتعاليمه السامية الرحيمة جعل من الوحوش أناساً، ومن الذئاب رعاة، ومن العبيد ملوكاً، ومن الملوك إخواناً ناصحين، ومن الجبابرة رحماء مترفقين.

ومن كمال رحمته، صلى الله عليه وسلم، أنه كان يدعو لمن يكون هناك مظنة الإساءة إليه من أمته، مع أنه، صلى الله عليه وسلم، مُنزّه عن مثل هذه الإساءة ويقول: «أيُّما رجل سببته أو لعنته فاجعل ذلك له زكاة، ورحمة، وصلاة، وطهوراً، وقربة بها إليك يوم القيامة» والمجتمع الإسلامي اليوم في حاجة ماسّة إلى التراحُم وإشاعة الأمن والطمأنينة بين شعوبه، لتتكاتف جميع جهود أبنائه لبناء صرح الحضارة الإسلامية، ومواجهة كل التحديات والتيارات الهدّامة المعاصرة، والتغلب على الأزمات المتلاحقة التي تحْدق بهم.

٣ ـ العدل

فالنبي، صلى الله عليه وسلم، أعدل الناس بشهادة أعدائه، وقد عرفت عنه هذه الصفة في الجاهلية والإسلام حتى إن كانت قريش كانت تحتكم إليه، فعن الربيع بن خيثم قال: كان يحتكم إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في الجاهلية قبل الإسلام، وقد تحاكموا إليه عندما تنازعت القبائل العربية بصدد رفع الحجر الأسود لإعادته إلى مكانه عند بناء الكعبة قبل الإسلام، ونزلوا عند حكمه وموقف آخر يدل على مطلق عدله، صلى الله عليه وسلم، وذلك حينما سرقت فاطمة بن الأسود المخزومية، وأراد أسامة بن زيد أن يشفع لها عند الرسول، فغضب الرسول، وقال كلمة لا تزال ترن على مسمع التاريخ الإنساني: «أتشفع في حد من حدود الله؟! وايمُ الله، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعتُ يدها» (رواه البخاري في صحيحه عن السيدة عائشة، كتاب الحدود، باب: كراهية الشفاعة في الحد إذا رُفع إلى السلطان).

جميع المسلمين أمام عدالة القانون السماوي سواء

فالرسول، صلى الله عليه وسلم، يُقر هنا مبدأ العدالة النزيهة الصادقة وهو أن العدل ينبغي أن يشمل جميع المسلمين، عامتهم وخاصتهم على السواء دون تفرقة، وأنه ينبغي أن يبدأ كل مسؤول أو داعية وولي أمر بأهل بيته وأقاربه أولاً، فهم أولى أن يخضعوا لعدالة القانون الإلهي دون أي محاباة أو مجاملة، حينئذ يسود الأمن، وتشيع الألفة والطمأنينة في قلوب المسلمين، ويذهب عن قلوبهم الحقد والضغينة، لأن الجميع أمام عدالة القانون السماوي سواء.

٤ ـ العفو والإحسان

كما كان خُلقه، صلى الله عليه وسلم، العفو عند المقدرة، والإحسان إلى من أساء إليه، انطلاقاً من التوجيه الإلهي الكريم: (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) الأعراف:١٩٩، وقوله سبحانه: (ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) فصّلت:٣٤.

وقد ضرب الرسول، صلى الله عليه وسلم، أعظم المثل في العفو والإحسان حين عفا عن أهل قريش قومه في فتح مكة قائلا: «اذهبوا فأنتم الطُلقاء».

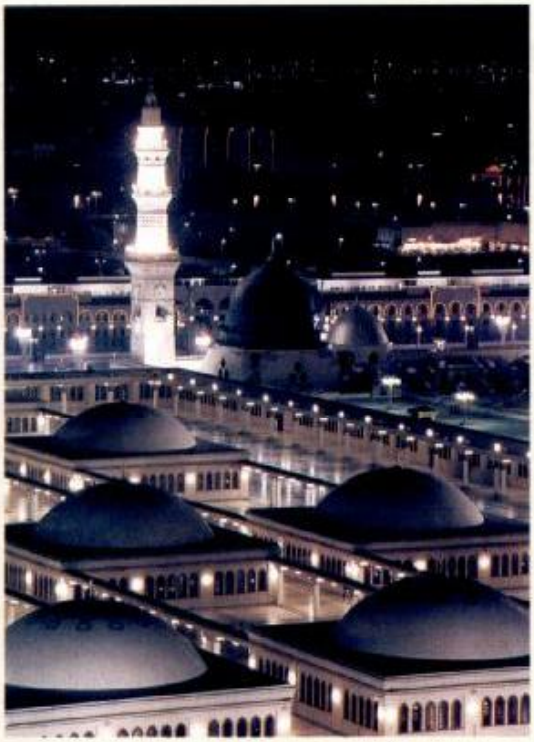

ضرب الرسول، صلى الله عليه وسلم، أعظم المثل في العفو والإحسان حين عفا عن أهل قريش عندما دخل مكة فاتحاً

من هنا نتعلم أن المسلم كريم النفس، سمح الأخلاق، يعفو عن عدوه عند المقدرة عليه إذا رأى أن العفو أنجع الأساليب في معالجة نفس عدوّه وتقريبه إلى الإسلام، أما إخوانه المسلمون فهم أحق بالعفو، بل الإحسان إليهم ونسيان إساءتهم إليه مهما بلغت من قسوة، لأن المسلمين بينهم كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحُمّى.

ثم إن المسلم ذو نفس أبيَّة مُترفّعة، لا تحقد على من آذاها أو نالها بشر إذا أسلم ذلك المعتدي، بل تتجاوز عن سيئاته وتعفو عنه.

بهذا المنهج الأخلاقي النبوي يُمكن للمسلم أن يتبصّر طريقه وسط ظلمات التيارات المعاصرة الحالكة، وأن يثبت أمام رياح التحديات والأزمات الراهنة الطاحنة، فلن يصلح آخر الزمان إلا بما صلُح أوّله ■

السيرة النبوية في دراسات المستشرقين الفرنسيين

1 2

تعتبر الأعمال التي خلّفها المستشرقون الفرنسيون في حقل السيرة النبوية كثيرة ومتعددة ومتنوعة، ولعل أهمية هذا الاهتمام تكمن في أنه قديم قدم الاستشراق الفرنسي عينه، بل يمكن القول: إن الاهتمام بسيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم قد سار جنباً إلى جنب مع الاهتمام بالقرآن الكريم تأليفاً وترجمة.

بيد أنه لابد من التذكير بأن الغرب قد اتخذ بوجه عام طيلة الفترة الواقعة بين القرنين الثامن والسابع عشر الميلاديين أي على مدى ألف عام تقريباً موقفاً عدائياً حيال الإسلام ولم تبدأ علامات التحول التدريجي في الظهور في الأفق إلا مع نهاية القرن السابع عشر، فالمواقف المعادية ضد الإسلام لم تكن تسمح بأي نظرة موضوعية بعيدة عن التحيز.

وإذا كانت قد ظهرت منذ الحروب الصليبية كتابات عن الإسلام وترجمات لمعاني القرآن الكريم في أوروبا، فإن هدف ناشريها من ممثلي الكنيسة المسيحية لم يكن هو التعريف بالإسلام ونبيه، بل محاربته والطعن فيه والتهجم على الرسول صلى الله عليه وسلم وتشويه سيرته وشخصيته.

> وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً
>
> سورة الأحزاب - الآية ٤٦

بقلم: د. حسن عزوزي
رئيس تحرير مجلة كلية الشريعة. فاس

وفي نهاية القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر، وفي الوقت عينه الذي ظهر فيه كتاب «بايل» (Bayle) «المعجم التاريخي» نشر المستشرق «برتملي دبرييلو» (Berthelmy d'Herbelot) موسوعته الضخمة الشهيرة «المكتبة الشرقية»(١)، وعلى الرغم من غزارة المعلومات والأفكار التي تقدمها هذه الموسوعة عن الإسلام وبلدان الشرق العربي، إلا أنها اتسمت بدورها في عدم الإنصاف والموضوعية حيال النبي محمد صلى الله عليه وسلم وسيرته.

ولعل أفضل من يقربنا من الصورة المشوهة التي كان ينظر بها إلى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم هو المستشرق الفرنسي «أميل درمنغهم» في كتابه «حياة محمد» حيث جاء فيه: «لما نشبت الحرب بين الإسلام والمسيحية اتسعت هوّة سوء الفهم وازدادت حدتها، ويجب أن يعترف الإنسان بأن الغربيين كانوا السباقين إلى أشد الخلاف، ولم يحارب الكتاب والشعراء مسلمي الأندلس إلا بأسخف المثالب، فقد زعموا أن محمداً لص نياق وزعموا أنه متهالك على اللهو، وزعموا أنه شاعر، وأنه رئيس عصابة، بل زعموا أنه قس روماني مغيظ محنق لأنه لم ينتخب لكرسي البابوية، وحسبه بعضهم إلهاً زائفاً.

وإن «جبير دنوجن» (ت١١٢٤م) نفسه - وهو رجل جد - ليفقد توازنه فيذكر أن محمداً مات في نوبة سكر بيّن، وأن جسده وجد ملقى على كومة من الروث.(٢)

وذهبت أغنية «رولان» (la chanson de Roland)(٣) إلى تصوير فرسان «شارلمان» وهم يحطمون الأوثان الإسلامية ويزعمون أن مسلمي الأندلس يعبدون ثالوثاً مكوناً من: «ترفاجان» (Tervagan) و«ماهوم» (Mahom) و«ابولون» (Appolon) . وقد

ظلت حياة الأحقاد والخرافات قوية متشبثة بالحياة، فقد وُصفَ محمد بأنه دجال والإسلام بأنه مجموعة الهرطقات كلها وأنه من عمل الشيطان. ووصفوا المسلمين بأنهم وحوش، والقرآن بأنه نسيج من السخافات، وقد كانوا يعتذرون عن الحديث الجد في أمر هذا مبلغ سخافته».(٤)

بعد عصر النهضة الفرنسية كانت هناك يقظة فكرية وتنويرية متميزة، وكان هنالك حرص نسبي على تقصي الحقائق وخصوصاً من لدن أولئك المستشرقين الذين تحللوا من الأديان وثاروا عليها بعدما تم فصل الكنيسة عن الدولة، حيث استطاع هؤلاء دراسة الإسلام ونبيه دراسة أقرب إلى الواقع والحقائق التاريخية، والحاصل أن المستشرقين الفرنسيين ينقسمون في نظرتهم إلى الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ثلاثة أقسام:

. فئة معتدلة تظهر . إلى حد ما . عطفاً على الإسلام وتسعى إلى فهم السيرة النبوية من خلال المصادر العربية المعتمدة وتقع أحياناً في أخطاء فتنصف حيناً وتسيء أخرى.

. فئة مغالية ومتعصبة ترمي الرسول عليه الصلاة والسلام بأقبح الصفات وأفدع النعوت.

. فئة قليلة ندبت نفسها لقول الحقيقة بموضوعية وتجرد، وقد تخطئ عن سوء فهم.

اهتمام الفرنسيين بالسيرة النبوية انطلاقاً من خلفياتهم الدينية والأيديولوجية

إذا كان المستشرقون الفرنسيون الذين تخلوا عن دياناتهم قد اعتبروا في كثير من الأحيان أقرب الفئات الاستشراقية إنصافاً واقتراباً من الحقيقة والواقع، فما ذلك إلا لكونهم لم يندفعوا بدافع من الحقد الديني . الكنسي منه على وجه الخصوص . إلى الطعن في الإسلام ونبيه وتشويه وتحريف الحقائق الناصعة، وإذا كان الكثير من الباحثين المسلمين يشيدون بكتاب «حضارة العرب» للمستشرق الفرنسي «جوستان لوبون» (G.Lebon) نظراً لما تضمنه من إشادة بالإسلام ورسالته فلأن السبب في ذلك هو أن الرجل لم يؤمن بالنصرانية أو غيرها من الأديان، وبالتالي فقد سعى إلى فهم الإسلام ورسالة نبيه في حدود ما أتاحته له ظروف البحث والدراسة.

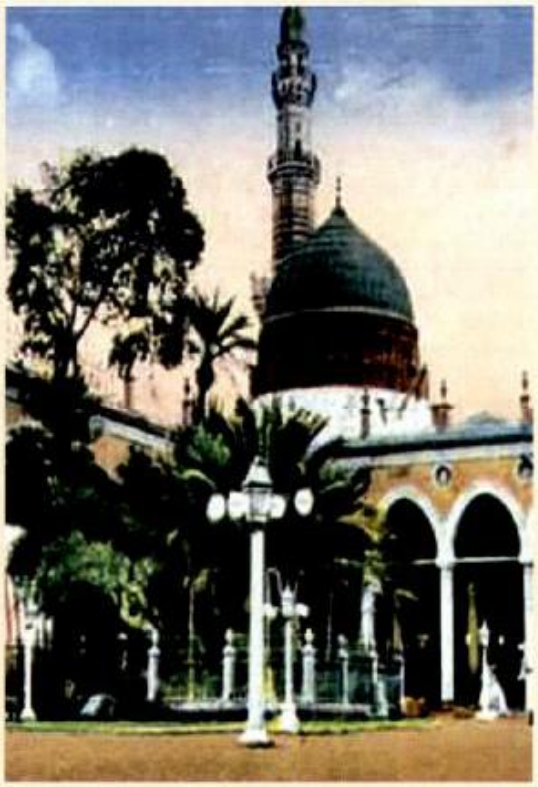

الخلفية الدينية للمستشرق لها دورها في توجيه الكتابة والبحث عن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم

إن الخلفية الدينية للمستشرق لها دورها في توجيه الكتابة والبحث عن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، فالمسيحي المقتنع بدينه يصعب عليه أن يتحدث عن الجوانب التي لها صلة بالغيب والوحي المحمدي في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم. فثمة جدار فاصل يقف بين المستشرق وبين فهم معطيات السيرة النبوية ونسيجها العام.

ويقول المستشرق الشهير «هاملتون جب»: «إن العقل الغربي الحديث يعسر عليه بوجه خاص أن يقوم بمحاولة استكناه طبيعة المواقف الدينية لدى أناس تختلف نظرتهم إلى الكون اختلافاً بعيداً عن نظرة الغربي، ولذا أصبحت أحكامنا الدينية . نحن الغربيين . شديدة الاختلال».(٥)

إذاً فالواضح أن المستشرق بين أن يكون علمانياً لا يؤمن بالغيب وبين أن يكون نصرانياً أو يهودياً لا يؤمن بصدق الرسالة التي أعقبت النصرانية لا يمكنه أن ينضح دراسة موضوعية عن السيرة النبوية. فالخلفية الدينية أو الأيديولوجية لها أثرها البالغ في توجيه المواقف وتحديد التوجهات، وفيما يلي محاولة تقريبية وتصنيفية لأبرز خلفيات المستشرقين الفرنسيين في دراسة السيرة النبوية.

الخلفية النصرانية

في الوقت الذي ينظر فيه المسلمون إلى السيد المسيح وبقية الأنبياء نظرة احترام وتقدير. يؤمنون بما أنزل إليهم ويرفعونهم إلى مقام العفة والطهر، نجد النصارى على

العكس من ذلك، يقفون موقفاً عدائياً من الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو الموقف الذي يتسم بالتكذيب لنبوته وتشويه شخصيته واتهامه بأقذع الأوصاف والنعوت ومختلف أنواع الشتم والتجريح البذيء، وأسباب هذه المواقف العدائية تعود بالأساس إلى الامتعاض وعدم تقبل ما جاء به الإسلام من فكرة نسخ الدين الجديد لباقي الديانات، فضلاً عن شعور النصارى الجارف بأن الإسلام قد أوقف الإنسانية عن التوجه إلى النصرانية وحال دون انتشارها.

والمستشرقون الفرنسيون ذوو الخلفية النصرانية المتشددة الذين اهتموا بدراسة السيرة النبوية كثر، لكن اشتهر منهم بعض ممن كان لهم دور بالغ في تشويه صورة كيان السيرة النبوية النقي البهي، يأتي على رأس هؤلاء المستشرق والقس الفرنسي الجنسية البلجيكي المولد «هنري لامنس» (Henri Lammens) (١٨٦٢ - ١٩٣٧م)، استقر في لبنان وكان من أوائل علماء الجامعة اليسوعية في بيروت، له آراء متحاملة على الإسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم لفظها بعض المستشرقين(٦) قبل غيرهم من المسلمين، ويبدو أحياناً شتاماً لعاناً وليس باحثاً جاداً، فيصف الرسول صلى الله عليه وسلم بأبشع الأوصاف وأقبح ما يمكن أن يظهره الحقد والكراهية حتى لكأننا نسمع أسلوب رهبان القرون الوسطى الذين لم يكن في جعبتهم سوى السب والشتم.

كما انتقص من أمهات المؤمنين وبخاصة «عائشة» رضي الله عنها التي اتهمها بالتآمر لاستخلاف أبيها مبرراً دعواه بروايات ترمي إلى عكس ما يرمي إليه ساعياً إلى لي أعناقها وتحريف مضامينها لبلوغ النتائج التي يهدف من وراءها إلى التأكيد على أن عائشة رضي الله عنها أرادت أن تمكن لأبيها بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم لمصلحة أبيها، وبينما ينتقص «لامنس» من أعلام المسلمين، نجده يذكر المرتدين والمنافقين في صورة أحرار عمالقة وطنيين، وينتصر لبني أمية ضد بني هاشم، وقد أثار عليه حفيظة الفرنسي «كازانوفا» ووصفه بالتطرف في كتابه «محمد ونهاية العالم»، قائلاً: يحق لنا أن نعجب أشد العجب من كاهن كاثوليكي مثل الأب «لامنس» يتطوع للدفاع عن أولئك الطغاة الدنيويين ويسخر من الدين مكرراً به وخدعوه»(٧). وكلاهما أي «لامنس» و«كازانوفا» منحرفان في تعصبهما، وقد رد عليهما الفرنسي المسلم «ناصر الدين دينيه» في كتابه «الشرق في نظر الغرب».(٨)

بعد عصر النهضة الفرنسية كانت هناك يقظة فكرية وتنويرية متميزة

والواقع أن اهتمام «لامنس» بالسيرة النبوية في مختلف جوانبها لم يفد البحث العلمي في شيء(٩)، فإذا كان الباحثون المسلمون لا يمكنهم الوثوق بكتابات هذا الرجل أو الاعتماد عليها، فإن المستشرقين بدورهم نبهوا على خطورة نتائج الاعتماد على كتابات «لامنس» الذي ذهب بعضهم إلى القول إنها تشوه صورة المستشرقين الجادين في أبحاثهم ودراساتهم.

يقول عنه المستشرق الفرنسي «مكسيم رودنسون»: «لقد كان متعصباً وحقوداً على الإسلام ونبيه وعلى عرب الصحراء، حريصاً على نقل أفكار «إنياس جولدزيهر» في حق الإسلام ودفع إلى أقصى حد متطرف تحليله النقدي للسيرة والسنة النبوية، ويستطرد «رودنسون» قائلاً: «بيد أن مبالغة «لامنس» في نقد السيرة وتحطيم أصولها ومرتكزاتها كان له أكبر الأثر في إعادة النظر من لدن المستشرقين في مصادرهم، حيث بدأ عهد جديد في بحث السيرة يعتمد الأصول العربية للسيرة».(١٠)

فئة قليلة ندبت نفسها لقول الحقيقة بموضوعية وتجرد، وقد تخطئ عن سوء فهم

ومن المستشرقين الفرنسيين الذين سعوا من خلال تشبعهم بالخلفية الدينية النصرانية إلى القول بدعوى تأثير النصرانية في الإسلام «كارادوفو» Carradevaux صاحب كتاب «مفكرو الإسلام الشهير» إلى القول بدعوى تأثير النصرانية في الإسلام، والذي أسندت إليه كتابة عدد من المواد المرتبطة بالسيرة النبوية في دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية في طبعتها الأولى، وقد عرف هذا الرجل من خلال اهتمامه بأحداث ومعطيات السيرة النبوية لأنه كان يسعى إلى التقريب بين الإسلام والنصرانية ليس لبيان ما بينهما من صلات أحياناً، بل لإثبات أثر النصرانية في الإسلام والتركيز على دعوة أخذ الإسلام من التراث المسيحي.

وهذا «كازانوفا» Casanova الفرنسي لم يكن بعيداً عن التأثر بالخلية اللاهوتية عندما قرر الفكرة الأساسية التي زعم أنها سيطرت على الرسول صلى الله عليه وسلم وهي أن العالم لن يستمر بعد وفاته وأن الساعة قد تقوم قبل موته أو بعده مباشرة ولذلك لم يعين من يخلفه من المسلمين(١١) معتبراً أن هذا الاعتقاد مسيحي محض ■

•• الهوامش ••

١ - Bibliotheque orientale - Paris

٢ - هنا يعجز القلم عن الاستمرار في سرد تفاهات وسخافات الغربيين في العصور الوسطى كما ذكرها «اميل درمنغهم»: Emile Dermangham: la vie de Mohomet Paris 1950. (p135)

٣ - قصيدة غنائية فرنسية ظهرت في القرون الوسطى زمن الحرب الصليبية الأولى وعدلت مرات كثيرة، انظر كتاب «اليكسي جرافنسكي» السابق بالذكر ص ٧٦

٤ - E, Dermenghum: Opcit P 140.

٥ - هاملتون جب دراسات في حضارة الإسلام: ترجمة إحسان عباس ورفاقه، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٦٤، ص ٢٣٥

٦ - من ذلك ما قاله المستشرق الفرنسي «لوي ماسينيون» L. Massignon في حقه «ما كان سيبقى لامنس من الأناجيل لو طبق عليه منهجه النقدي الذي مارسه على القرآن.

٧ - Casanova: Mahomet et la fin du monde - Paris - 1912 p.58.

٨ - E Dinet L'orient vu par l'occident paris

٩ - من المؤسف حقاً أن يكون تحرير مواد كثيرة في دائرة المعارف الإسلامية في طبعتها الأولى قد أسند إلى «لامنس».

١٠ - M Rodinson: Bilan des études mohammadiennes p 173

١١ - د.حسن عزوزي. مدخل إلى دراسة علوم القرآن والتفسير طبعة فاس الأولى ١٩٩٨م ص ٠

كيف يكون رحمة للعالمين وفيهم الكفار والمشركون؟!

وداعياً
إلى الله بإذنه
وسراجاً منيراً

سورة الأحزاب - الآية ٤٦

بقلم:
عبدالرحمن قرة حمود

قال محدثي: كيف يكون الرسول، صلى الله عليه وسلم، رحمة للعالمين، وهو نبي المسلمين، ومن الناس كفار ومشركون، وأهل كتاب، ومعتقدون بديانات مختلفة أخرى؟!.

قلت: إنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ رسول الله إلى الثقلين «الإنس والجن» كافة، والمسلمون منهم لم يُسمُّوا بالمسلمين إلا بعد أن آمنوا به وصدَّقوه واتبعوا النور الذي أنزل معه.

لقد سمَّاه الله سبحانه وتعالى بشيراً ونذيراً، هو بشير بسعادة الدارين لمن آمن به وصدَّقه، ونذير بعذاب أليم، لمن لم يؤمن به وكذبه، فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى»، قيل: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى» (رواه البخاري).

قال: فكيف يكون رحمة لمن توعدهم بالعذاب الأليم وسوء المصير من غير المسلمين، ومن العاصين؟!

قلت: إنه ينذرهم ويحذرهم، ولا شك أن في ذلك رحمة لهم فإن هم امتثلوا الفرصة نجوا وفازوا، وإن أضاعوها خسروا وهلكوا.

كما أن الرحمة لا تقتصر على هذا، بل هي أكبر وأوسع من ذلك، لأن منها كف أذى المؤمنين عنهم، وأمرهم بالإحسان إليهم ما لم يعتبروا.

قال: كيف؟

قلت: قال الله تعالى للمؤمنين: (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن) العنكبوت:٤٦. وقال سبحانه: (وجادلهم بالتي هي أحسن) النحل:١٢٥، وقال عز وجل: (قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله) الجاثية:١٤.

قال: فإذا اعتدوا؟

قلت: إن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، حين آذاه قومه وبعث الله إليه ملك الجبال، فسلم عليه ثم قال: يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني الله إليك لتأمرني بأمرك، فما شئت: إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين «جبلان محيطان بمكة».

فقال النبي، صلى الله عليه وسلم: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً» متفق عليه.

وكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: «اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون»، وروى مسلم قول رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا».

وكان من وصيته، صلى الله عليه وسلم، لأصحابه في الحرب قوله: «لا تقتلوا امرأة ولا طفلا ولا شيخاً ولا راهباً في صومعته، ولا تقطعوا شجرة»، بل إنه، صلى الله عليه وسلم، حين نصره الله على الذين عادوه وآذوه وأخرجوه وأصحابه من بلده، لم ينتقم منهم بل قال لهم: اذهبوا فأنتم الطلقاء.

ولم تقتصر رحمته، صلى الله عليه وسلم، على الناس، بل تعدتهم لتشمل الحيوان. فمن ذلك قوله: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحدَّ أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته» رواه مسلم.

وقال صلى الله عليه وسلم: «عذبت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتها وسقتها إذ هي حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض» متفق عليه.

ورأى، صلى الله عليه وسلم، حماراً قد وسم في وجهه فقال: «لعن الله الذي وسمه» وفي رواية لمسلم أيضاً، نهى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، عن الضرب في الوجه «والوسم في الوجه».

وعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: كنا مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في سفر، فانطلق لحاجته فرأينا «حمَّرة» معها فرخان فأخذنا فرخيها، فجاءت «الحمَّرة» تعرش، فجاء النبي، صلى الله عليه وسلم، فقال: «من فجع هذه بولدها؟ ردُّوا ولدها إليها»، ورأى قرية نمل قد حرقناها فقال: «من حرق هذه؟» قلنا: نحن.

قال: «إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار» رواه أبوداود.

وعن أنس ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: «نهى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أن تصبر البهائم» متفق عليه، «أي تحبس للقتل».

أفلا يكون، صلى الله عليه وسلم، بعد هذا وهو فيض من فيض، رحمة للعالمين؟!.

قال: بلى.

قلت: الحمد لله الذي جعلنا من أمته، ونسأله أن يتم علينا بإقامة شريعته، ويتوفانا مسلمين.

قال: آمين ■

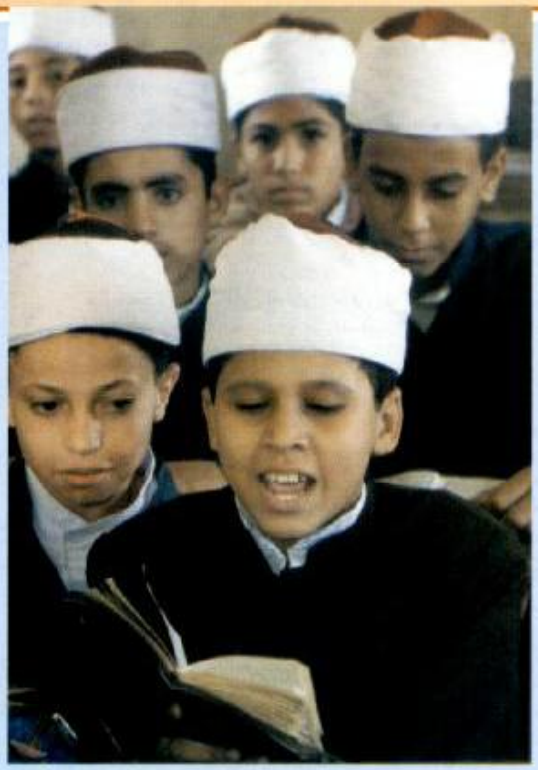

منهجيات الإصلاح والتجديد الإسلامي

بقلم: شاكر عبدالقادر عبدالمقصود
باحث وكاتب مصري

1 2

> الدعوة الإسلامية تقوم على أسس ودعائم بنائية تنطلق من منطلقات تصورية نحو غايات وأهداف معيارية

تعد العلاقة بين الإصلاح والتجديد من وجوه عدة علاقة تلازم وتداخل معاً، فهما بمثابة القدمين اللذين يؤمنان تقدم الأمة وبقاءها مواكبة لحركة الأمم من حولها، والعلاقة بينهما هي العلاقة ذاتها بين النظر والعمل أو بين النظرية والتطبيق، وهي علاقة تكيف وتواءم مستمر لحاجات متجددة ومستمرة أيضاً والصلاح والإصلاح كمنهجين ونهجين متلازمين أيضاً «سواء على مستوى الإنسان الفرد أو الأسرة أو في بيئة محلية أو مجتمع أو أمة...»، يؤطران بدورهما للصلاحية والإصلاحية شرط للثقة أو المصداقية التي هي بدورها شرط للشرعية أو المشروعية «بأي مفهوم وعلى أي مستوى إدراكي لها» وكل منها ينتقض ما يليه غيابه أو تواريه إذ لا شرعية بلا مصداقية ولا مصداقية من دون صلاحية، كما أنه لا صلاحية من دون إصلاح وهو ما يعني أن الصلاح والإصلاح «شرطان متلازمان» بداية وضرورة وركائز بناء ينتهي إلى مشروعية أو حتى مبرر الوجود سواء أكانت نظرتنا وتحليلنا على مستوى جزئي أم كلي خاص أم عام وهو مغزى الدعاء المأثور: «نسأل الله أن يولي من يُصلِح ومن يَصْلُحُ أيضاً»، ولا يمكن تصور قيام إصلاح أو تجديد من دون وجود منهج يكفل الوصول الآمن لغاية محددة فإذا ما نظرنا إلى الدعوة الإسلامية وجدنا أنها تقوم على أسس ودعائم بنائية تنطلق من منطلقات تصورية نحو غايات وأهداف معيارية أو قياسية وفقاً لآليات واستراتيجيات حركية ذات طابع عملي وواقعي تتوخى من خلالها الوصول إلى المنطلقات والأسس التصورية نحو الغايات والأهداف المثلى المعيارية والقياسية في حدود الإمكان والظرف التاريخي والحضاري في بيئة معينة، وانطلاقاً من هذا الفهم يكون لدينا ثلاثة مستويات تفاعلية متكاملة تمثل كل منها مدخلاً للأخرى ودعامة لها وهي:

١. المنطلقات التصورية «الأسس الفكرية أو البناء العقدي الكلي أو العام».

٢. الآليات أو الاستراتيجيات العملية «المستوى الحركي أو الواقعي».

٣. الأهداف المثلى المتوخاة: المعيارية أو القياسية «المستوى النموذجي أو المعياري المستهدف» على أن هذا التصور يعد تصوراً تخطيطياً عاماً لأي أيديولوجيا أو حتى فلسفة وعقيدة أخرى ومنبع الخطأ الحركي في السلوك الفكري والتنظيمي للجماعات الإسلامية بعامة وبعض المشروعات الإصلاحية بخاصة غياب مستويين إدراكيين يحكمان وينظمان جوهر العلاقة النسبية

بين المدركات الكلية والظرف أو الحالة الخاصة المعنية.

مرة أخرى على مستوى فردي أو جمعي جزئي أو كلي....» وهما:

أ ـ مستوى الإمكان أو القدرة الفعلية: وهو ما يمثل الفجوة بين الواقع والمثال، وكلما زادت هذه الفجوة كلما لزم جهد وحكمة أكبر في المعالجة ووقت أطول حتى نحصل على الثمار المرجوة ومن جهة أخرى، فإن هذه المسافة والفجوة ليست ثابتة ولكنها قد تتسع في أمور أو أماكن أو ظروف معينة وتضيق وتلتئم في أحوال أخرى والنظرة الصائبة والجادة في المعالجة الإصلاحية يجب أن تكون عامة وشمولية وليست جزئية وإن جاءت المعالجة العملية على أرض الواقع جزئية وخاصة بحال بلد أو بيئة محلية أو قضية معينة، ولكن لابد أن يكون ذلك في إطار كلي وإن لزم أن تكون الحركة أو الفعل على مستوى جزئي.

ب ـ الظرف التاريخي والحضاري: هذا الجانب هو الخاص بإدراك العلاقات النسبية بين الذات والآخر، أما المستوى السابق فهو العلاقات والمستويات النسبية بين الذات والموضوع وبدهي أن كليهما متلازمان فنحن لا نعيش في الفراغ «سواء أكان فكرياً أم مادياً»، ولكننا نتحرك في إطار محدد بالشرعية والتصورات الإسلامية من جهة، وفي ظل علاقات حضارية وثقافية بالعالم المحيط من جهة أخرى.

وهذان المستويان يشيران إلى مستويين حركيين إصلاح وصلاح على المستوى العقدي مقارنة بالسلف الصالح للأمة:

أ ـ إصلاح وصلاح حضاري مقارنة بالأمم الأخرى.

ب ـ في كلا الجانبين أو المستويين يلزمنا إدراك ما يمكن تسميته «فقه التدرج أو المراحل الاستراتيجية».

وتتمثل خطورة وأهمية المستوى الحركي أو الواقعي كمستوى بيني في كونه يقف كمرتكز ومحور بين النظرية والتطبيق من جهة وبين الذات والموضوع من جهة ثانية، وبين الذات أو الأنا والآخر من جهة أخرى، وهذا الوضع يعطي المستوى الحركي التنظيمي دور الريادة والسبق في صحة أو خطأ الحكم المبدئي الأولي للآخر «الخارجي» على جماعة أو منظمة أو ثقافة أو عقيدة ما وهو ما يمتد بطبيعة الحال ليصبح حكماً على التصور والمثل والأهداف جميعاً من خلال الممارسة

المستوى الحركي على خطورته وأهميته يعكس إشكالية منهجية

الواقعية لتمثل بدورها محكاً وبعداً مرجعياً يعكس إشكالية مزدوجة للحكم سواء الحكم الداخلي على أسس واضحة من المعرفة بجوهر البناء الفكري أو العقدي الإسلامي وتوجهاته السامية، وقد يأتي هذا الحكم من المؤمنين أو غير المؤمنين العالمين بهذا الجوهر، إذ إن العلم به هو المحك هنا وليس الانتماء الأسمى أو الشكلي كما أن هناك الحكم الخارجي من خلال مظاهر سلوكية وأنماط تفاعلية أو انفعالية بخطأ نهج أو سلوك معين يمتد لينسحب بحيث يصبح بدوره حكماً عاماً على خطأ العقيدة ذاتها . منطلقاتها وأهدافها جميعاً . وهو كما ينبني على الجهل ينبني على التجاهل، وكما قد يكون خارجياً فقد يكون ذا طابع داخلي شكلياً، كما في حال العلمانيين وأمثالهم الذين يتجاوزون الحكم للإسقاط الحكمي المسبق بإرجاع كل خطأ أو فشل أو إخفاق لأصل العقيدة أو السنة أو غيرهما، بحيث تصبح قراءة التاريخ والحضارة الإسلامية وفقاً للرؤية العلمانية بين حدين، إما أن يكون الإخفاق ظاهراً أو يكون مضمراً، بحيث نجد أن التاريخ الإسلامي يمثل منحدراً متباطئاً أو متسارعاً، ولكنه هابط في جميع الأحوال، وبذلك يتم دائماً إفراغ مستمر لكل مضمون بالتفوق أو التمايز اللذين قد يشعر بهما المسلم إزاء حدث أو ظرف تاريخي أو حضاري أو تصور فكري أو أي ملمح أو شعور بتميز في أي شيء.

على أن المستوى الحركي على خطورته وأهميته يعكس إشكالية منهجية، فالحركة كما لا تتم في الفراغ، فإنها لا تنطلق من العدم وهو الأساس ذاته الذي ينطلق منه الآخر في الحكم على المسلم من خلال سلوكه، إذ السلوك ينطلق من قناعة أو تصور وهو هنا

لابد من السعي لتفكيك العلاقات وتحليل المفاهيم لمستوياتها الأولية

يفترض ضمناً أن كل مسلم في سلوكه يتحرك وفقاً لما يأمر به الإسلام ذاته وهذه نقطة مشكلة أيضاً فمن جهة إذا كان هذا صحيحاً «تلازم السلوك والتصور أو النهج والمنهج» فإن هذا يقود إلى حكم في غير صالح الإسلام انطلاقاً من حال المسلمين كما نعرفه، وإن كان هذا التلازم غير قائم فهذا يعني أن الإسلام غير مؤثر في حياة المسلمين، فهل يعبر المسلمون عن الإسلام أم لا يعبرون عنه؟ ولكن هذا الطرح بذاته مفترض إذ على المستوى المقابل، هل يعبر المسيحيون من خلال سلوكهم عن المسيحية أو اليهود عن اليهودية؟

ولكي نصل إلى إجابة مرضية لابد من السعي لتفكيك العلاقات وتحليل المفاهيم لمستوياتها الأولية وهي المعالجة الوحيدة الممكنة للرد التحليلي الجاد والعميق أيضاً.

يمثل هذا الدور المحوري والحدي جوهر التحدي للمسلمين بكل فئاتهم ومستوياتهم «سواء كانوا أفراداً أو جماعات، منظمات أو دولاً»، لا لكونه دوراً مزدوجاً يقف عليه الحكم بصحة أو خطأ العقيدة الإسلامية بأكملها، كما أسلفنا، ولكن لكونه يمثل الأساس التمهيدي الفكري والنفسي لتحكم المنحاز مع أو ضد ليس الفكرة والعقيدة والتصور، بل معتنقيها أيضاً، فإذا كان الإسلام دين دموي عدائي فلا شك أنه لا مفر من محاربته واجتثاثه إن أمكن ذلك، وهي رغبة أثيرة لدى قطاع عريض في الغرب يدعمها ظرف حضاري وتاريخي وسياسي واقتصادي وعلمي إلخ...

لا شك أنه غير موات ويحتاج إلى حنكة ودهاء في التفاعل على المستويات كافة، وعلى سبيل المثال فإن أحداث الحادي عشر من سبتمبر ورغم أن العقد السابق لها هو عقد دموي بكل المقاييس للمسلمين في جميع أنحاء العالم من البلقان إلى الشيشان إلى كشمير إلى السودان إلخ... فإن هذا ليس تبريراً بالطبع، فإن النهج الثأري والرد على الحدث جاء ليبتلع مقدرات العالم الإسلامي وبعض دوله كرد غير متكافئ لقوة غير متكافئة وهو ما يعني أن تكريس النهج الثأري «إذا ما كان هناك مجال للثأر» سيكون وبالاً على الأقليات الإسلامية في الغرب وحتى الدول المستقلة، المستقلة!!، وهو ما يضع الجميع أمام مسؤولية فكرية وأخلاقية وحضارية ودينية خطيرة فمن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، وللحديث بقية إن شاء الله تعالى ■

الغلو في الدين
وأثره السلبي على حياة الفرد والمجتمع

1 2

يقول الله تعالى في محكمة كتابه: (قل يأهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل) المائدة:٧٧.

نص من وحي ربنا الكريم يحذر المسلم من أمر فشا وظهر، وعمّ وانتشر، وهو الغلو والإفراط أو اتباع غير الحق، وهو آفة مندرجة ضمن سنن الله في خلقه وقدره في عباده منذ خلق آدم - عليه السلام - إلى أن تقوم الساعة.

فالإنسان مع بعثة الأنبياء لم يخرج عن طرق ثلاث في التعامل مع دعوتهم: فمن الناس من يتبع ومنهم من يفرط ويغفل، ومنهم من يتجاوز ويغالي.

وقد اصطلح الوحيان - كتاب ربنا وسنة نبينا - على هذه الآفة بمجموعة من الأسماء والمصطلحات منها: الإفراط والغلو والتنطع والتشدد وغيرها.

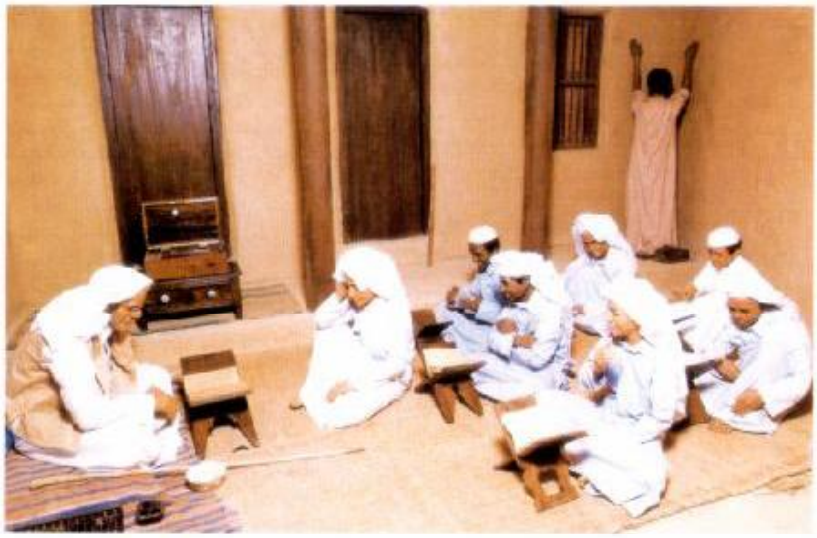

أحد أسباب الغلو ضيق الأفق في التفكير الديني وسوء التأويل والناس يتفاوتون في مواهبهم وفهمهم وقدراتهم

بقلم: د. أحمد العمراني
أبويحيى

وهي مما يقتضي الحذر، ولن يتم ذلك إلا بمعرفتها ومعرفة ما ينبني عليها، وذلك بإلقاء بعض الضوء على مفهومها، وبيان بعض أسبابها وآثارها ليظهر، لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، علاجها ودواءها.

فماذا نعني بالإفراط، أو باصطلاح الوحيين القرآني والحديثي والغلو والتشدد والتنطع.

١. حول تحديد المفهوم

الإفراط والزيادة والغلو والتشدد والتنطع

والتعمق، مصطلحات بعضها من بعض تصب كلها في تجاوز الحد والإفراط فيه.(١)، ومخالفة مقاصد الشريعة وروحها المتميزة بالسماحة واليسر. قال تعالى: (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) البقرة:١٨٥، والمتميزة برفع الحرج لقوله تعالى: (وما جعل عليكم في الدين من حرج) الحج:٧٨، هكل من شادَّ الدين غلب كما في الحديث: «الدين يسر ولن يشادَّ الدين أحد إلا غلبه»(٢)، وفي رواية: «عليكم هدياً قاصداً، فإنه من يشادَّ هذا الدين يغلبه».(٣)

كما تحدثت نصوص كثيرة عن التبشير والتيسير وعدم التعسير والتنفير منها قوله صلى الله عليه وسلم في رواية «يسّروا ولا تعسّروا وبشّروا ولا تنفروا»(٤)، وفي لفظ آخر: «يسّروا ولا تعسّروا وسكّنوا ولا تنفّروا»(٥)، وبيّن للمسلمين بأن الدين متين والإيغال فيه ينبغي أن يكون برفق فقال: «إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق».(٦)

وفي لفظ آخر قال: «إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق، ولا تكرهوا عبادة الله إلى عباده، فإن المنبت لا يقطع سفراً، ولا يستبقي ظهراً».(٧) وبأنه «ذلول لا يركب إلا ذلولاً».(٨)

وأمر بالتوسط في الأعمال فقال(٩): «العلم أفضل من العمل، وخير الأعمال أوساطها ودين الله بين القاسي والغالي، والحسنة بين السيئتين لا ينالها إلا بالله، وشر السير الحقحقة».(١٠)

- كما بيّن سماحة الشريعة قولاً وفعلاً حيث روت عائشة فقالت: وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذقني على منكبه لأنظر زهن الحبشة حتى كنت التي مللت وانصرفت عنهم قالت: وقال يومئذ: لتعلم يهود أن في ديننا فسحة، أي أرسلت بحنيفية سمحة».(١١)، وقال صلى الله عليه وسلم: «أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة».(١٢)

وهو ما ذهب إليه السلف الصالح حيث روي عن الحسن قال: «إن دين الله وضع دون الغلو وفوق التقصير».(١٣) كما روي عن «علي بن أبي طالب» رضي الله عنه قوله: «خير الناس هذا النمط الأوسط يلحق بهم التالي ويرجع إليهم الغالي».(١٤)

والغلو شرٌ كله أي لا خير في قليله ولا في كثيره، وهو ضلال مبين كما روي عن حذيفة

بيّن الرسول صلى الله عليه وسلم بأن الدين متين والإيغال فيه يجب أن يكون برفق

قال: يا معشر القراء استقيموا فقد سبقتم سبقاً بعيداً فإن أخذتم يميناً وشمالاً، لقد ضللتم ضلالاً بعيداً».(١٥)

- والغلو مفرّق بين الجماعة، ومشوّه للدين الحنيف.

وقد فقه السلف الصالح خطورة هذه الآفة فحذروا منها حيث يروى عن ابن مسعود أنه قال: «عليكم بالعلم قبل أن يقبض، وقبضه أن يذهب بأصحابه، عليكم بالعلم فإن أحدكم لا يدري متى يفتقر إليه أو يفتقر إلى ما عنده، إنكم ستجدون أقواماً يزعمون أنهم أعوانكم إلى كتاب الله وقد نبذوه وراء ظهورهم، فعليكم بالعلم وإياكم والتبدع وإياكم والتنطع وإياكم والتعمق وعليكم بالعتيق».(١٦)

٢ - الأسباب الموقعة في الغلو

ووقوع هذه الآفة في المجتمعات أمر ذكره التاريخ وذكرته التشريعات السماوية وشاهدته وتشاهده الأعين البشرية. كما عانت من مشكلاته الإنسانية ومازالت تعاني منه حتى اليوم. وله أسباب يتعلق بعضها بسلوك بعض الأفراد، كما يتعلق بعضها الآخر بتصرفات المجتمع ككل.

ومن بين هذه الأسباب ما يلي:

١ - ضيق أفق التفكير الديني وسوء التأويل فالناس يتفاوتون في صورهم وأشكالهم، وهم أشد اختلافاً في مواهبهم وقدراتهم وميولهم وطبائعهم.

وقد كان لهذا التفاوت تأثير كبير في اختلاف العلماء، فمنهم من كان ذا قدرة عظيمة على الحفظ والفهم، ومنهم من هو أكثر في الحفظ أكثر من الفقه، وآخرون

التفاوت في العلم والفقه وقع بين الأنبياء كما هو بين العلماء

فقههم أجود من الحفظ، وقد ضرب الله لنا مثلاً في كتابه لهذا النوع من التفاوت في العقل والحفظ، فقال: (أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها) الرعد:١٧.

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: «أنزل من السماء ماء» أي: مطراً «فسالت أودية بقدرها» أي أخذ كل واد بحسبه فهذا كبير وسع كثيراً من الماء، وهذا صغير وسع بقدره، وهو إشارة إلى القلوب وتفاوتها، فمنها ما يسع علماً كثيراً، ومنها ما لا يتسع لكثير من العلوم، بل يضيق عليها».(١٧)

وزاد الرسول صلى الله عليه وسلم بيان هذا التفاوت في حديثه الرائع حيث قال: «إن مثل ما بعثني الله من الهدى والعلم، كمثل غيث أصاب أرضاً، فكان منها طائفة قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله به الناس، فشربوا ورعوا وسقوا وزرعوا، وأصاب طائفة أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك ماء، ولا تنبت كلأ. فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعه الله بما بعثني به، فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به».(١٨) فالهدى والعلم كالمطر، والناس كالأرض.

فالقسم الأول من الأرض مضروب للمؤمنين العلماء الفقهاء، الذين يستفيدون من علمهم وينفعون الناس، والقسم الثاني: مضروب للمؤمنين المهتدين الحفظة للدين وفقههم قليل.

والقسم الثالث: مضروب للذين رفضوا الهدى والعلم وقد ثبت في حديث آخر أنه قال: «رب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه».(١٩)

وقد وقع التفاوت في العلم والفقه بين العلماء الكبار، بل وقع أيضاً بين الأنبياء، قال تعالى: (وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين. ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكماً وعلماً) الأنبياء:٧٨ ، ٧٩، وخلاصة ما قاله أهل العلم أن نبي الله داود قضى لأصحاب بستان رعته أغنام قوم ليلاً في وقت نضج عناقيده وثماره، فأفسدته وأذهبت ثمره، فقضى بالغنم لأصحاب البستان، فلما علم سليمان قال: لو كان الأمر لي لقضيت بغير هذا، فدعاه داود لما علم بقوله، وقال له: كيف تقضي؟ فقال:

أدفع الغنم إلى صاحب الحرث، فيكون له أولادها وألبانها وسلاؤها ومنافعها، ويبذر أصحاب الغنم لأهل الحرث مثل حرثهم، فإذا بلغ الحرث الذي كان عليه أخذه أصحاب الحرث وردوا الغنم إلى أصحابها».(٢٠)

. ومن الأمثلة الموضحة لهذا السبب، ما وقع لبعض الطوائف «الحرورية» من سوء فهم لمجموعة من النصوص الشرعية، أدى بهم إلى سوء السلوك وغريب الأحكام، ما جعل ابن عباس يتعامل مع هذا الأمر بالحكمة والحوار والمجادلة بالتي هي أحسن ليصل إلى المطلوب المتمثل في حسن الإفهام والاقناع والتصحيح.

. فعن ابن عباس قال: لما اعتزلت الحرورية قلت لـ«علي»: يا أمير المؤمنين أبرد عني الصلاة لعلي آتي هؤلاء القوم فأكلمهم، قال: إني أتخوفهم عليك، قال: قلت كلا إن شاء الله، فلبست أحسن ما أقدر عليه من هذه اليمانية، ثم دخلت عليهم وهم قائلون في نحر الظهيرة، فدخلت على قوم لم أر قوماً قط أشد اجتهاداً منهم، أيديهم كأنها ثفن إبل، وجوههم مقلية من آثار السجود، قال: فدخلت: فقالوا: مرحباً بك يابن عباس ما جاء بك؟ قال: جئت أحدثكم على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل الوحي، وهم أعلم بتأويله، فقال بعضهم لا تحدثوه، وقال بعضهم لنحدثه قال: قلت: أخبروني ما تنقمون على ابن عم رسول الله وختنه، وأول من آمن به وأصحاب رسول الله معه؟ قالوا: ننقم عليه ثلاثاً، قلت: وما هن؟ قالوا: أولاهن أنه حكم الرجال في دين الله وقد قال الله عز وجل: (إن الحكم إلا لله) الأنعام:٥٧، قال: قلت وماذا؟ قال: قالوا: قاتل ولم يسب ولم يغنم لئن كانوا كفاراً لقد حلت له أموالهم، وإن كانوا مؤمنين لقد حرمت عليه دماؤهم، قال: قلت: وماذا؟ قال: قلت: وماذا؟ قالوا؟ قالوا: ومحا نفسه عن أمير المؤمنين، فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين، فقال: أرأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله المحكم، وحدثتكم من سنة نبيكم صلى الله عليه وسلم ما لا تنكرون أترجعون؟ قالوا: نعم، قال: قلت: أما قولكم إنه حكم الرجال في دين الله فإنه يقول: (يأيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثل ما

دين الله فسيح وفقهه مرن شامل لكل الأشخاص والأمكنة والأزمنة

قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم) المائدة:٩٥، وقال في المرأة وزوجها: (وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها) النساء:٣٥. أنشدكم الله، فأحكم الرجال في حقن دمائهم وأنفسهم وصلاح ذات بينهم أحق أم في أرنب ثمنها ربع درهم؟ فقالوا: اللهم في حقن دمائهم وصلاح ذات بينهم، قال: أخرجت من هذه؟ قالوا: اللهم نعم، قال: وأما قولكم إنه قاتل ولم يسب ولم يغنم؟ أتسبون أمكم ثم تستحلون منها ما تستحلون من غيرها؟ فقد كفرتم، وإن زعمتم أنها ليست بأمكم فقد كفرتم وخرجتم من الإسلام، إن الله عز وجل يقول: (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم) الأحزاب:٦، فأنتم تتردون بين ضلالتين فاختاروا أيهما شئتم، أخرجت من هذه؟ قالوا: اللهم نعم، قال: وأما قولكم محا نفسه من أمير المؤمنين فإن رسول الله دعا قريشاً يوم الحديبية على أن يكتب بينه وبينهم فقال: اكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله، فقالوا، والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب «محمد بن عبدالله»، قال: والله إني لرسول الله، وإن كذبتموني أكتب يا «علي»، «محمد بن عبدالله»، فرسول الله كان أفضل من «علي» أخرجت من هذه قالوا: اللهم نعم، فرجع منهم عشرون ألفاً وبقي أربعة آلاف فقتلوا».(٢١)

ومن القضايا البارزة التي أثارت فتنة كبرى في زمن العباسيين قضية خلق القرآن، حيث عُذب فيها أناس وسُجن آخرون منهم الإمام «أحمد»، وقد حاول رضي الله عنه

الإمام «أحمد» حاول بحوار وفكره أن يدحض حجج المعتزلة في حوار جميل مقنع مع «المعتصم»

بحواره وفكره أن يدحض حجج المعتزلة في حوار جميل مقنع مع «المعتصم»، حيث قبض «المعتصم» على الامام «أحمد» وسجنه، ثم استدعاه وسأله كيف كنت يا «أحمد» في سجنك البارحة؟ فقال: بخير والحمد لله، إلا أني رأيت يا أمير المؤمنين في محبسك أمراً عجباً، قال له: وما رأيت؟ قال: قمت في نصف الليل فتوضأت للصلاة وصليت ركعتين فقرأت في ركعة «الحمد لله، وقل أعوذ برب الناس»، وفي الثانية «الحمد لله وقل أعوذ برب الفلق»، ثم جلست وتشهدت وسلمت ثم قمت فكبّرت وقرأت «الحمد لله» وأردت أن أقرأ «قل هو الله أحد»، فلم أقدر، ثم اجتهدت أن أقرأ غير ذلك من القرآن فلم أقدر، فمددت عيني في زاوية فإذا القرآن مسجى ميتاً مغسلته وكفنته وصليت عليه ودفنته فقال له: ويلك يا «أحمد» والقرآن يموت؟، فقال له «أحمد»: فأنت كذا تقول إنه مخلوق، وكل مخلوق يموت، فقال المعتصم: قهرنا «أحمد».(٢٢)

٢. قلة الفقه أو ضعف الفقه بالتنزيل

ونعني بذلك قلة العلم عند من وقع في هذه الآفة، فدين الله فسيح، وفقهه مرن، شامل لكل الأشخاص والأمكنة والأزمنة، وكثيرة هي العلوم التي ينبغي لمن يطلب فهم كتاب الله الاطلاع عليها، مراد الله لا يفهمه كل من هب ودب، نعم روي عن ابن عباس «أن القرآن على أربعة أنحاء، قسم استأثر الله بعلمه، وقسم يعلمه العلماء، وقسم يعلمه أهل اللغة، وقسم لا يعذر أحد بجهله وهو قسم الحلال والحرام».(٢٣)

فكم من متجرئ على كتاب الله لا يفهم سبب النزول ولا الناسخ والمنسوخ ولا العام والخاص ولا المطلق والمقيد، بل إن كثيراً من الناس يجهلون الأمر المشروع المسنون الذي جاء به الشارع من خلال ما أنزل من نصوص قرآنية أو تبين بالنصوص الحديثية، حيث كان هذا النقص المعرفي من أكبر الأدواء التي أصابت بعض الفرق الكلامية كالخوارج ومن يؤمن بفكرهم في كل الأزمنة، فإن اختلافهم ووقوفهم ضد الصحابة كان بسبب قلة زادهم المعرفي وجهلهم أيضاً بدلالة النصوص وبأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد وصفهم الرسول صلى الله عليه وسلم: «يقرأون القرآن لا يجاوز

حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية». (٢٤)

وفي رواية مسلم وصف دقيق لسلوكهم وأفعالهم وما يلزمهم من مواجهة، حيث روي عن أبي «سعيد الخدري» قال: بعث «علي» رضي الله عنه وهو باليمن بذهبية في ثربتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أربعة نفر «الأقرع بن حابس الحنظلي وعيينة بن بدر الفزاري وعلقمة بن علاثة العامري»، ثم أحد بني كلاب و«زيد الخير الطائي»، ثم أحد بني نبهان، قال فغضبت قريش فقالوا: أتعطي صناديد نجد وتدعنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني إنما فعلت ذلك لأتالفهم فجاء رجل كث اللحية مشرف الوجنتين، غائر العينين ناتئ الجبين محلوق الرأس فقال اتق الله يا محمد، قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن يطع الله إن عصيته أيأمنني على أهل الأرض ولا تأمنوني، قال ثم أدبر الرجل، فاستأذن رجل من القوم في قتله يرون أنه «خالد بن الوليد»، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن من ضئضئ هذا قوماً يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد». (٢٥)

هذا واحد من رواد التدين السطحي، رجل كث اللحية، محلوق الرأس، مشمر الإزار، وهو ظنئ أي أصل فئات يتبعون سنته يتلون كتاب الله رطباً أي سهلا لكثرة حفظهم، ولكنهم إذا لاحت لهم شهوة من شهوات الدنيا تجردوا من الذوق والأخلاق، وقفزوا عليها ومرقوا من الدين. وهي ظاهرة مكرورة، حيث يبرز من يشعل المعارك حول الأشكال والمظاهر، ومن يفتعل الورع حول الخروج والدخول ومن إذا صلى بجانبك شغلك عن صلاتك.

٣. ضعف الفهم لفقه التغيير

كثير من الناس عندما يقرأون للإسلام، ويستمعون لبعض نصوص الشريعة، يؤمنون بها أشد الإيمان، فيبحثون عن تمثلها في أنفسهم وواقعهم، لكنهم يصادفون واقعاً آخر، واقعاً يعارضهم في أفهامهم، ويعارضهم في تصرفاتهم، فيرغبون في

من يطلب فهم كتاب الله عليه أن يطلع على كثير من العلوم لأن مراد الله لا يفهمه كل من هب ودب

التغيير ويسعون له من دون فهم لأوليات هذا التغيير.

كل الناس يقرأون حديث النبي الأمين: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان». (٢٦)

ولكن لا يعرفون كيف يغيرون ولا كيف يتعاملون مع النصوص الشرعية وتنزيلها، فتغيير المنكر يقتضي شروطاً ما أحوج المسلم أن يفقهها ومنها:

١ ـ أن يكون المنكر متفقاً على إنكاره: لشبوته بالكتاب أو السنة، بحيث لا يكون إنكاره محل خلاف بين أهل العلم الموثوق بهم من ذوي الاختصاص والتقوى، فإذا كان محل اجتهاد واختلاف فليس مما يجب على الأمة تغييره.

وكل ما أدى إلى منكر محقق هو نفسه منكر يجب تغييره، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ليكن أمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر غير منكر». وقال: «يؤمر بالمعروف بحيث لا يتضمن الأمر بالمعروف فوات أكثر منه أو حصول منكر فوقه، وينهى عن المنكر بحيث لا يتضمن النهي عن المنكر حصول أنكر منه أو فوات معروف أرجح منه». (٢٧)

٢ ـ أن يكون المنكر موجوداً متيقناً: ولذلك قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «من رأى منكم منكراً».

٣ ـ أن يكون المنكر بواحاً ظاهراً: لا يحتاج اليقين بعلمه إلى تفتيش وتجسس وسواء في هذا أن يكون ظهوره بذاته أم بما اقترن به من صوت أو لون أو رائحة، فكل منكر دلت عليه آياته ولوازمه هو من المنكر الظاهر الذي يجب تغييره.

المنكر الظاهر الذي لا يحتاج إلى يقين هو ما دلت عليه آيات الله ولوازمه وهذا يجب تغييره

عن أبي برزة الأسلمي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإن من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته». (٢٨)

قال «عبدالرحمن بن عوف»: حرست ليلة مع «عمر بن الخطاب» بالمدينة إذ تبين لنا سراج في بيت بابه مجاف على قوم لهم أصوات مرتفعة ولغط، فقال «عمر»: هذا بيت «ربيعة بن أمية بن خلف»، وهو الآن شرب فما ترى؟ قال: أرى أنا قد أتينا ما نهى الله عنه، قال تعالى: «ولا تجسسوا» (الحجرات:١٢) وقد تجسسنا، فانصرف عمر وتركهم». (٢٩)

وقال أبو قلابة: (حدث «عمر بن الخطاب» أن «أبا محجن الثقفي» يشرب الخمر مع أصحاب له في بيته، فانطلق «عمر» حتى دخل عليه، فإذا ليس عنده إلا رجل، فقال «أبومحجن»: إن هذا لا يحل لك، قد نهاك الله عن التجسس، فخرج عمر وتركه). (٣٠)

وثمة منكرات لها الأثر السلبي الأكبر على الأمة من غيرها، كإشاعة الفتنة لتقويض هيبة السلطان المسلم، أو الخروج عليه، وكمنكر استراق أسرار الدولة لنقلها للعدو، وكمنكر التآمر على إفساد اقتصاد الأمة وثقافتها وعقيدتها وصحة أبنائها، والتآمر على إشاعة الفاحشة في الأمة، وغيرها...

وليصح التغيير يقتضي ذلك توافر بعض الشروط ومنها:

أ ـ أن يكون التغيير إيماناً واحتساباً وابتغاء لمرضاة الله عز وجل، وليس تغييراً لعصبية قومية أو لغوية أو حزبية أو تحقيقاً لهوى في النفس أو موافقة لما تحب، فإذا كان كذلك فهو منكر وجب تغييره.

أما التغيير الذي هو عبادة فإنما هو الخالص لوجه الله تعالى لا يبتغي به غيره: «... من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه». (٣١)

ب ـ أن يكون التغيير موافقاً هدي الكتاب والسنة ذلك أن كل عمل صالح أساسه أمران: إخلاص النية، وموافقة الشرع، لهذا قال «سعيد بن جبير»: «لا يقبل قول وعمل إلا بنية، ولا يقبل قول وعمل ونية إلا بما يوافق السنة». (٣٢)

وهذا يستوجب معرفة أسباب المنكر المراد تغييره معرفة كاشفة، ومعرفة آثاره العاجلة والآجلة في الأمة، ومعرفة ما يحيط بوجود المنكر وانتشاره في الأمة من ملابسات وما يعيد على بقائه أو تجدده أو إغراء الناس بالانشغال به أو التلبس والتردي فيه، أو السكوت على أهله، أو إجلالهم أو الخوف من تغييره أو إنكاره.

ويستوجب معرفة ما يترتب على تغييره بأي سبيل من آثار إيجابية أو سلبية، والموازنة بين هذه الآثار كيما يحسن اختيار المنهج والزمان والمكان والمقدار الذي هو أنفع للأمة عند تغييره.

فالقصور في معرفة شيء من ذلك تكون فادحة. وإتقان معرفته تعين على حسن القيام به.

ج - أن يسلك بالتغيير منهج التدرج والحكمة والحلم والرفق ليكون ذلك أنجع وأنجح.

- عن أنس بن مالك قال: بينما نحن في المسجد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مهمه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تزرموه دعوه» فتركوه حتى بال ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاه فقال له: «إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر إنما هي لذكر الله عز وجل والصلاة وقراءة القرآن» أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأمر رجلاً من القوم فجاء بدلو من ماء فشنه عليه».(٣٣)

عند تغيير المنكر يحسن اختيار المنهج والزمان والمكان والمقدار الأنفع للأمة

- وعن «عائشة» قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجدر أمن البيت هو قال نعم. قلت فلم لم يدخلوه في البيت قال: «إن قومك قصرت بهم النفقة قلت فما شأن بابه مرتفعاً قال فعل ذلك قومك ليدخلوا من شاؤوا ويمنعوا من شاؤوا ولو أن قومك حديث عهدهم في الجاهلية فأخاف أن تنكر قلوبهم لنظرت أن أدخل الجدر في البيت وأن ألزق بابه بالأرض».(٣٤)

- وقد قام لأم المؤمنين «عائشة» رضي الله عنها حين غضبت من قولة اليهود له صلى الله عليه وسلم: «السام عليكم، فقالت: وعليكم السام واللعنة، قالت: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مهلاً يا «عائشة» إن الله يحب الرفق في الأمر كله، فقلت: يا رسول الله، وقد يدخل في الرفق والحكمة في هذا، ألا يكون ذلك في مواجهة ومصارحة في ملأ من الناس، فإنها حينذاك تشهير لا تذكير، قال الشافعي: «من وعظ أخاه سراً فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه».(٣٥)

لم يسمح صلى الله عليه وسلم لصحابته أن يرهبوا الأعرابي الذي بال في المسجد

وقد جعل الله عقوبة من عيّر أخاه بذنب أن يقع فيه حيث قال صلى الله عليه وسلم: «من عيّر أخاه بذنب لم يمت حتى يعمله»، أي من ذنب قد تاب منه.(٣٦)

وخصوصاً إذا لم يكن من المجاهرين، فإن كان كذلك فقد وجب تغيير منكره ودفعه علانية، وفضح أمره وأفاعيله وصنائعه والأرجاف وإشاعة الفاحشة والسوء فإن الله تعالى حرم المجاهرين عفوه، فقد أخرج البخاري عن سالم بن عبدالله قال سمعت أبا هريرة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «كل أمتي معافى إلا المجاهرين، وإن من المجانة أن يعمل الرجل بالليل عملاً، ثم يصبح وقد ستره الله، فيقول يا فلان عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه».(٣٧) ■

•• الهوامش ••

١ . لسان العرب مادة غلا
٢ . صحيح البخاري رقم: ٢٩، و٥٦٢٣، و٦٤٦٣، و٧٣٣٥.
٣ . صحيح ابن خزيمة ج: ٢/١٩٩، ومسند أحمد رقم: ٩٨٨٩، ورقم: ٢٣١١٥، ورقم: ٢٣٢٠٥.
٤ . صحيح البخاري كتاب العلم باب ١١ رقم: ٦٩.
٥ . صحيح مسلم كتاب الجهاد والسير باب ٣ رقم: ٤٦٣٦.
٦ . مسند أحمد ١٣١١٨، وتفسير الدر المنثور للسيوطي: ١/٤٦٥.
٧ . شعب الإيمان للبيهقي ٣/٤٠٣.
٨ . المقتحمة تعني التعب من السير، أو تحمل الغاية على ما لا تطيقه، فيض القدير: ٤/٢٨٦.
٩ . صحيح البخاري باب الدين يسر رقم: ٣٨.
١٠ . صحيح البخاري، ومسند أحمد ٢١١٣، وأيضاً بنحوه انظر الأدب المفرد: ١/١٠٨، والهيثمي في مجمع الزوائد: ١/٢١٤، والطبراني في الأوسط ٧/٣٢٩.
١١ . كتاب الزهد لابن أبي عاصم: ١/٢٨٢، وكتاب تواتر الأصول في أحاديث الرسول: ١/١٦٧.
١٢ . مصنف ابن أبي شيبة: رقم الأثر: ٢٤٤٩٨.
١٣ . صحيح البخاري كتاب الاعتصام بالكتاب باب ٢ رم: ٧٢٨٢.
١٤ . سنن الدارمي باب من هاب الفتيا وكره التنطع والتبدع: ج: ١/٦٦.
١٥ . تفسير ابن كثير: ٤/٨١.
١٦ . صحيح البخاري رم ٧٩، وصحيح مسلم رقم ٦٠٩٣.
١٧ . سنن أبي داود رقم الحديث ٣٦٦٠، وسنن ابن ماجه: رم ٣٠٥٨، وسنن الترمذي رقم: ٣٦٦٦، وسنن الدارمي: ١/٨٦، وصحيح ابن حبان رقم: ٦٦ و٦٩، ومسند أحم رقم: ١٣٤١٨.
١٨ . تفسير ابن كثير: ٤/٥٧٨.
١٩ . المستدرك على الصحيحين للحاكم ٢/١٦٤ / ٢٦٥٦، وصححه الذهبي، وأخرجه أبونعيم في الحلية: ٣/٣١٨، وعبدالرزاق: ١٠/١٥٧، و١٠/١٦٠، وابن أبي شيبة: ٧/٥٥١ / ٣٧٨٧٣ والسيوطي في الدر المنثور: ٢/٥٢٧.
٢٠ . طبقات الحنابلة: ١/٣٦٤.
٢١ . صحيح البخاري كتاب الدعوات باب ١ رقم: ٦٣٠٤.
٢٢ . الإتقان للسيوطي: ٢/٩ و٤/١٨٠.
٢٣ . صحيح البخاري رقم: ٧٤٣٢، وصحيح مسلم كتاب الزكاة باب ٤٧، رقم: ٢٤٩٦، ٢٥١١.
٢٤ . صحيح مسلم كتاب الزكاة باب ٤٧ رقم ٢٤٩٩.
٢٥ . صحيح مسلم كتاب الإيمان: ٧٨ ج: ١/١٩.
٢٦ . الحسبة في الإسلام: ٦٤ ، ٦٨.
٢٧ . سنن أبي داود رقم: ٤٨٨٠، ومسند أحمد رقم: ١٩٨٧٦.
٢٨ . الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٣٣٢/١٦.
٢٩ . الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٣٣٢/١٦.
٣٠ . صحيح مسلم كتاب الزهد رقم: ٧٦٦٥.
٣١ . الحسبة في الإسلام: ١٢
٣٢ . صحيح مسلم كتاب الطهارة باب ٣٠ رقم: ٦٨٧.
٣٣ . صحيح مسلم كتاب الحج باب ٧٠ رقم ٣٢١٣
٣٤ . صحيح البخاري كتاب الأدب رقم ٢٥٩٤/٧٨
٣٥ . شرح النووي لصحيح مسلم: ٢٤١/١.
٣٦ . صحيح الترمذي كتاب القيامة، رقم الحديث: ٢٥١٠
٣٧ . صحيح البخاري كتاب الأدب باب ٦٠ رقم: ٦٠٦٩

المنهجية الأصولية

مفهومها، أهميتها، بعض مقتضيات تجديدها

> عظمة الدولة وقوتها لا يمكن تحققها من دون الاعتماد على المرجعية الدينية الإسلامية مما يستدعي الاستعانة بآليات قواعد علم أصول الفقه الميسرة

بقلم: أ. عبدالله المودن

نشير في البدء إلى عدد من الملاحظات نمهد بها إلى ما نريد بحثه في هذا المقام وإثباته، ونخص بالذكر ما يلي:

- الارتباط الوثيق بين الشريعة الإسلامية والعلوم الشرعية بعامة وعلمي الفقه وعلم أصول الفقه بخاصة.

- ضرورة تجاوز العوائق وحل الإشكالات التي تحول دون تطبيق الشريعة الإسلامية التي من بينها ما يتعلق بوضعية علمي الفقه وأصول الفقه، وما يطبعهما من جمود ونزعة تقليدية وتكرار - استنساخ.

- أهمة العناية بعلم أصول الفقه أولاً، ثم بالفقه ثانياً. أقول إن علم أصول الفقه باعتباره علماً منهجياً من دونه لا يمكن للفقيه ممارسة عمله في استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية عناية تتجاوز ما يطبع أغلب «الدراسات» من تكرار ما قيل منذ القرن الثاني الهجري، وعرض المادة المعرفية من أجل العرض ذاته، أو العناية بحياة العلماء وعصورهم وشيوخهم من أجل العرض كذلك وتجاوز المنحى الاستهلاكي الذي ينوه بالعلم وبجهود العلماء من دون العمل على بحث ما انتهوا إليه وتوظيفه والاستفادة منه في حل المعضلات التي تحول دون تطبيق الشريعة الإسلامية.

للإسهام في تحقيق جزء يسير من ذلك، نبحث مفهوم المنهجية الأصولية ونبيّن أهميتها وما تحمله من إمكانات لحل بعض عوائق تطبيق الشريعة الإسلامية، لنختم الموضوع بإبراز بعض مقتضيات تجديد هذه المنهجية.

١ - المنهجية الأصولية: المفهوم والأهمية

يقصد بالمنهجية الأصولية باعتبارها متعلق علم أصول الفقه «السبل النظرية والمسالك الإجرائية التي يسلكها الفقيه في ممارسته الفقهية»(١). فهي تتعلق بعلم منهجي هو علم أصول الفقه، ما يقتضي تعريفه، وقبل

القيام بذلك لابد من تعريف علم الفقه، لأن الفقيه هو المعني بمباحث علم أصول الفقه ونتائجه، ولأنه من دون فهم معناه لا يمكن فهم معنى الأول. يقول «العلامة الغزالي»: «اعلم أنك لا تفهم معنى أصول الفقه ما لم تعرف معنى الفقه»(٢). فالفقه إذن عبارة عن العلم بالأحكام الشرعية الثابتة لأفعال المكلفين خاصة(٣). فهو إذن علم يهتم بأفعال المكلفين من حيث التفصيل وبيان الحكم الشرعي المتضمن لإرادة الله تعالى المتعلقة بها. «هذا الفعل واجب والآخر محرَّم...» وإذا فهمت هذا. كما قال «العلامة الغزالي». فافهم أن أصول الفقه عبارة عن أدلة هذه الأحكام وعن معرفة وجوه دلالتها على الأحكام من حيث الجملة لا من حيث التفصيل(٤). فبالإضافة إلى ارتكازه على معرفة أدلة الأحكام إجمالاً وكيفية استفادة الأحكام منها، فهناك من العلماء من يضيف «معرفة وبيان حال المستفيد»(٥). بل منهم من يعتبر «القواعد التي يتوصل بها إلى استنباط الأحكام من أدلتها التفصيلية»(٦). ومن دون الدخول في تفاصيل هذه التعريفات... نقوم بشرح ما ورد فيها لنستخرج منها بعض مظاهر المنحى المنهجي في علم أصول الفقه، التي منها:

. إذا كان موضوع علم أصول الفقه بناء على ما هو راجح من أقوال العلماء، هو الأدلة الإجمالية من الكتاب والسنّة والإجماع والقياس.. فقد اعتبرت عنايته بها إجمالية لأنه يهتم فيها بأمور كلية هي قواعد: «كما في بعض التعريفات» تنضوي تحتها أمور جزئية «أفعال المكلفين وما يقع، أو سيقع من وقائع».

. اهتمامه بالأدلة من حيث إثبات الأحكام الكلية بها، ومعنى الحيثية هنا البحث عن الأدلة من جهة ما يعرض لها من الأحكام الكلية كالوجوب والندب.. ليتوصل بذلك إلى معرفة كيفية استنباط الأحكام من أدلتها التفصيلية. التوصل القريب المبني على القواعد المنهجية الأصولية. وبذلك يتضح غلبة المنحى المنهجي في مباحث هذا العلم وأهدافه، فمن بين أهدافه المركزية تمكين الفقيه من منهجية وآليات شرعية تمكنه من استنباط الأحكام المتعلقة بأفعال المكلفين، فيساير الفقيه. التشريع. حياة الأفراد والمجتمع، كما تعصمه من الأخطاء في الاستنباط ومعرفة إرادة الله سبحانه المتعلقة بأفعال الإنسان. فلا يقدم دليلاً يأتي في المرتبة الثانية أو الثالثة على الدليل الأول، ولا يصرف لفظاً عن معناه الحقيقي إلى معناه المجازي من دون الاستدلال بأدلة وقرائن الصرف والتأويل.. وعليه فالمنحى المنهجي في مباحث علم أصول الفقه ونتائجه واضحة مما ذكرناه.

. اهتمامه بضبط كيفية استنباط الأحكام من أدلتها التفصيلية وعلى رأسها الكتاب والسنّة النبوية الشريفة، فكان السؤال: كيف البيان من أولى الأسئلة التي اهتم بها الأصوليون وعلى رأسهم مؤسسه «الإمام الشافعي» رضي الله عنه في كتابه «الرسالة». فقام ببيان أدلة الأحكام وترتيبها الشرعي من جهة، كما استخرج القواعد اللغوية وغير اللغوية الميسّرة لاستنباط الأحكام.

. حصر الأدلة المعتبرة شرعاً المتفق عليها وبيان المختلف فيها وبيان المختار منها تبعاً للمذهب الفقهي والأصولي للعالم وترتيبها وفق نسق وسلم ترتيبي منهجي محكم (الكتاب السنّة الإجماع القياس) يلزم الفقيه اتباعه في كل عملية استنباطه للأحكام تتوخى لنفسها الشرعية والدقة المنهجية.

. ضبط قواعد «التعارض والترجيح» بين الأدلة نفسها وداخل الدليل الواحد كدلالات ألفاظ النصوص القرآنية والحديثية الظنية الدلالة وأنواع القياس... وغير ذلك مما اهتم به علماء أصول الفقه وضبطوه.

على أن الفقيه في حاجة كبيرة إلى ذلك، فمن دونه تتعطل الممارسة الفقهية وتسقط في التكرار، وتتأخر عن مسايرة مستجدات الواقع المعيش «الذي يتطور بسرعة، وهذا ما تنبّه إليه علماء أصول الفقه قديماً منذ أيام «الإمام الشافعي» رضي الله عنه، المتوفى سنة ٢٠٤هـ، الذي أسس هذا العلم في صورة مجردة، فاهتم بصياغة القواعد الكلية التي تنضوي تحتها الجزئيات، كما قام بترتيب الأدلة الشرعية التي تستنبط منها الأحكام.. يقول العلامة «الكرابيسي»: «ما كنا ندري ما الكتاب ولا السنّة ولا الإجماع حتى سمعنا «الشافعي» يقول الكتاب والسنة والإجماع»(٨). وقال «أبوثور»: «لما قدم علينا «الشافعي» دخل علينا أن الله قد يذكر العام ويريد به الخاص، ويذكر الخاص ويريد به العام، فكان يقول: العام وكنا لا نعرف هذه الأشياء»(٩). على أن مراده بقوله لا نعرف هذه الأشياء، إنما هو

تحتاج الأمة إلى تحكيم شرع الله لتتجاوز أسباب تفكيك وحدتها

القلوب إذا تداعت إلى أهواء الباطل والميل إلى الدنيا حصل التنافس ونشأ الخلاف

الجانب النظري التقعيدي لا الجانب العملي. التطبيقي الذي كان المسلمون متمكنين منه وممارسين له منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم. ومن دون الدخول في بيان عوامل ما قام به «الإمام الشافعي» رضي الله عنه ومقتضياته من ضبط للمنهجية الأصولية والممارسة الفقهية فلا يخرجان عمّا هو معتبر شرعاً من جهة، ولا يتأخران عن مسايرة مستجدات واقع الأمة الإسلامية بخاصة والبشرية بعامة، فنشير إلى أن الأمة في حاجة إلى ذلك الضبط والتقعيد والتجديد الشرعيين والعلميين، ومن مقتضيات مثل ذلك التجديد المطلوب وتجلياته الممكنة نذكر ما يلي:

٢. مقتضيات تجديد المنهجية الأصولية وبعض تجلياته الممكنة:

٢ . ١ . بعض مقتضيات التجديد:

نقصد بمقتضيات التجديد، الدواعي الموضوعية والذاتية التي تستدعي تجديد المنهجية الأصولية التي منها:

١ . الدواعي الموضوعية

إذا تأملنا المجتمعات الإسلامية وحال أفرادها، نجد أن تجديد هذه المنهجية مطلب لا يمكن إغفاله وتجاوزه. فالأمة في حاجة إلى تحكيم شرع الله تعالى لتتجاوز أسباب تفكيك وحدتها من جهة، ولتأخذ بأسباب قوتها وصمودها أمام التحديات الداخلية «التنمية الروحية والفكرية. التنمية الاقتصادية. العدالة الاجتماعية. الوحدة السياسية» يقول العلامة «ابن خلدون» في هذا الصدد: «جمع القلوب وتآليفها، إنما يكون بمعونة الله في دينه» قال تعالى: (لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم) الأنفال:٦٣، وسره أن القلوب إذا تداعت إلى أهواء الباطل والميل إلى الدنيا، حصل التنافس ونشأ الخلاف، وإذا انصرفت إلى الحق ورفضت الدنيا وأقبلت على الله، اتحدت وجهتها، فذهب التنافس وقلّ الخلاف وحسن التعاون والتعاضد، واتسع نطاق الكلمة إلى ذلك، فعظمت الدولة»(١٠).

يتضح مما سبق أن عظمة الدولة وقوتها لا يمكن تحققها من دون الاعتماد على المرجعية الدينية الإسلامية على وجه التحديد: عقيدة وشريعة، اعتماداً يستدعي الاستعانة بآليات وقواعد علم أصول الفقه الميسرة لحسن الاعتماد والتحكيم بعيداً عن كل تأويل سيء، أو استدلال فاسد خارجين عن إرادة الحق سبحانه ومؤدين إلى الخلاف والتشتت كما انتهى إلى ذلك العلامة ابن خلدون.

ب . الدوافع الذاتية

برجوعنا إلى ما يؤلف في علم أصول الفقه يلاحظ غلبة «المراجع المدرسية» التي تختلط في

معظمها المفاهيم والتعريفات بعضها ببعض، فلا تتميز فيها مناهج علماء أصول الفقه ومدارسهم ونظرياتهم. فمنهج المتكلمين الذين هم على منهج «الإمام الشافعي» رضي الله عنه في التأليف مختلف عن منهج الحنفية، وهذا غير واضح فيما يؤلف حديثاً، كما أن اختيار المصطلحات والتعريفات وتقسيمات الألفاظ والدلالات أيضاً يخضع لنوعية وأسس، بل لخلفيات «التشريعية والعقلية معاً» المدرسة والنظرية المأخوذ بها، كما في تعريف الحكم الشرعي والجهات الشرعية مثلاً. فنذكر النظرية الجزائية: «الثواب / العقاب»، والنظرية الأخلاقية: «المدح / الذم» والنظرية العقلية: «التحسين / التقبيح العقليان»، والنظرية المقاصدية: «المصلحة / المفسدة»... فحينما لا تكون هذه المناهج وهذه النظريات واضحة في ذهن «الباحث» المؤلف يقع الخلط، وبالتالي اللبس فيما يكتبه وينسبه إلى علماء سابقين كانوا واضحين فيما يختارونه ويكتبونه، فيلجأ القارئ إلى الحفظ من غير فهم واستيعاب، مما يحول دون الاستثمار المطلوب للنتائج بحوثهم وثمارها التي نحن في أمسّ الحاجة إليها للتمكن من تطبيق الشريعة الإسلامية وتجاوز معوقات ذلك، وهذا ينطبق على من له حظ من العلوم الشرعية وأدوات البحث، أما بالنسبة لعامة الناس ممن ينتشب بحق «الانتصار للشريعة الإسلامية»، فالغالب هو «سوء» الاعتماد على المصادر التشريعية أو على أحدها، فأغلب من يجعل لنفسه حق الفتوى ومعرفة الأحكام وبيان المتعلق منها بأفعال الناس. وما أكثر هؤلاء. يقع في ذلك، فيعتمد على الكتاب والسنة فقط بدعوى أنه «سني» دون إدراك منه لمعنى السنة وللمقتضيات الشرعية للانتساب إلى السنة النبوية الشريفة وللمنهجية الشرعية في الاستدلال بها التي أوضح الأصوليون أسسها وقواعدها، بل منهم من يعتمد على السنة فقط، وفي السنة النبوية لا يميز بين صحيحها وحسنها وضعيفها، ولا يأخذ بمقاييس الترجيح والتقديم بين الأدلة الشرعية في أثناء الوقوف على تعارضها الظاهري «بين السنة النبوية وبين القياس»، أو بين أنواع الدليل الواحد «بين أنواع السنة النبوية مثلاً: المتواتر. الشهير. خبر الآحاد أو بين أنواع القياس...»، كما لا يهتم

علماء أصول الفقه في عصرنا مدعوون للعناية أكثر بالمصادر التشريعية المتفق عليها

بالأدلة الشرعية الأخرى، فلا يعرف معناها ولا يقف على درجة قيمتها الاستدلالية داخل النسق الأصولي بعامة وداخل النسق المذهبي الواحد بخاصة «كالاستحسان والمصالح المرسلة وسد الذرائع والاستصحاب وغيرها»... فكل هذا وغيره ينتج منه سوء تحكيم شرع الله والابتعاد عنه فيحصل عكس ما هو مراد، ولهذا سنبين بعض إمكانات التجديد للمنهجية والخطاب الأصوليين.

٢ - ٢ - بعض إمكانات التجديد في المنهجية الأصولية

نذكر من هذه الإمكانات ما يلي:

- على مستوى مصادر التشريع: فعلماء أصول الفقه في عصرنا، وفي كل عصر، مدعوون للعناية أكثر بالمصادر التشريعية المتفق عليها، ونقصد هنا الكتاب والسنة النبوية الشريفة بخاصة، والإجماع والقياس بعامة عناية تقوم على إبراز كل إمكانات الاعتماد عليها في معرفة الحكم الشرعي لما يستجد في حياة المسلمين «أنواعها. دلالتها...» بلغة وأسلوب بسيطين بعيداً عن لغة الرموز أو الاختصار أو الخلط والعمل على ذكر كل شيء، فيلتبس الأمر على المتلقي... كما أنهم مدعوون أيضاً إلى الوقوف كثيراً عند المصادر الأخرى غير المتفق عليها التي نجدها موزعة بين مجموعة من المذاهب الفقهية والأصول الفقهية «كالاستحسان عند الحنفية مثلاً، والاستصلاح وسد الذرائع عند المالكية، والاستصحاب عند الحزمية...»، فيجمعونها ويرتبونها في سلم استدلالي شرعي يجمع بين الاختيارات - الأصول - فقهية الممكن، ويبينون أحوالها وضوابط الاعتماد عليها، مع التمثيل لذلك بأمثلة من واقع المسلمين: أمة وأفراداً.

- على مستوى قواعد الاستدلال ومناهجه: نخص بالذكر هنا القواعد اللغوية «أصناف الدلالات في النصوص الشرعية: الكتاب والحديث النبوي الشريف، ودلالات صيغتي الأمر والنهي...» والقواعد المرتبطة بمقاصد الشريعة الإسلامية التي ترتبط بالأحكام الشرعية... لأنه بذلك ستنضبط قواعد تيسر دفع التعارض الظاهري داخل الدليل الواحد وبين الأدلة المتعددة، كما ستنضبط قواعد الترجيح فيأخذ بما هو معتبر شرعاً وهو أقوى. كما ستتيسر مسالك الاجتهاد لمعرفة الأحكام المتعلقة بالوقائع التي لا نص في حكمها...

- على مستوى التأليف في علم أصول الفقه: يمكن التجديد على هذا المستوى أيضاً وبخاصة على مستوى اللغة المستعملة في المؤلفات الأصولية والأسلوب المعتمد فيها... فتتحرر من التكرار والخلط بين المفاهيم المتعددة والمتباينة تبعاً لتعدد المدارس الأصولية واختلافها. كما يمكن ذلك على مستوى الارتباط بواقع الأمة «فتختار الأمثلة التمثيلية من واقعنا المعيش لا من واقع المسلمين في العصور السابقة»، وبالتحديات الداخلية والخارجية التي تواجهها الأمة الإسلامية والإنسان المسلم، فتكون مصادر الشريعة الإسلامية وأصولها المعتبرة شرعاً هي المنبع الأصيل لما يضبط وينظم أحوال المجتمع والأفراد في كل تقلباتها / لا القوانين الوضعية كما هو حال أغلب الدول العربية والإسلامية رغم أن الدول الغربية نفسها مثل فرنسا وغيرها استفادت من الشريعة الإسلامية في أثناء صياغة قوانينها.

تلك بعض إمكانات التجديد في المنهجية والخطاب الأصوليين، لا شك أن هناك إمكانات أخرى تنتظر انتباهاً وجهداً كبيرين من الباحثين والمهتمين الغيورين لتعميق البحث والنظر السديد فيها والكشف عنها، لأنه من دون ذلك التجديد سيبقى علم الفقه والممارسة الفقهية على التقليد والشرح والاختصار وشرح المختصرات... فيزداد تعطيل الشريعة تعمقاً وترسخاً، وتكبر الهوة بينها وبين الواقع، فتزداد التبعية للآخر... فتتعطل آلية الاجتهاد واستنباط الأحكام لما وقع ويقع، أو ما سيقع مستقبلاً كما كان علماء الأمة بعامة والحنفية بخاصة يفعلون حينما كان علمي الفقه وأصوله في قمة نضجهما وازدهارهما ■

•• الهوامش ••

١ - د. حمو النقاري: المنهجية الأصولية والمنطق اليوناني - ط١ - سلسلة بدايات - ١٤١١هـ - ١٩٩١م، ص٨.
٢ - العلامة أبوحامد الغزالي المستصفى في علم أصول الفقه - دار الفكر - ج١ - ص٤، ٥.
٣ - المصدر نفسه: ج١ ص٥.
٤ - المصدر نفسه: ج١ ص٥.
٥ - العلامة فخرالدين الرازي: المعالم في علم أصول الفقه - تحقيق وتعليق عادل عبدالموجود وعلي عوض - دار عالم المعرفة - القاهرة - ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م - ص٨.
٦ - المصدر نفسه ص٩.
٧ - المصدر نفسه ص١٠.
٨ - د. عبدالحليم الجندي: الإمام الشافعي ناصر السنة - دار المعارف - ص١٤٥.
٩ - المرجع نفسه: ص١٤٥.
١٠ - العلامة ابن خلدون: المقدمة - تحقيق علي عبدالواحد وافي - دار النهضة - القاهرة - ج١ ص١٢٤.

مفهوم «الإرهاب» في القرآن الكريم
مقاربة لدراسة دلالة المصطلح القرآني

أ.د. أحمد عيساوي

أستاذ الدعوة والفكر الإسلامي المعاصر. كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية . جامعة باتنة . الجزائر

> التدافع المصطلحي بين الثقافتين العربية الإسلامية والغربية الوثنية يمهد لتغييبها الكلي من الواقع الفكري والثقافي العربي والإسلامي

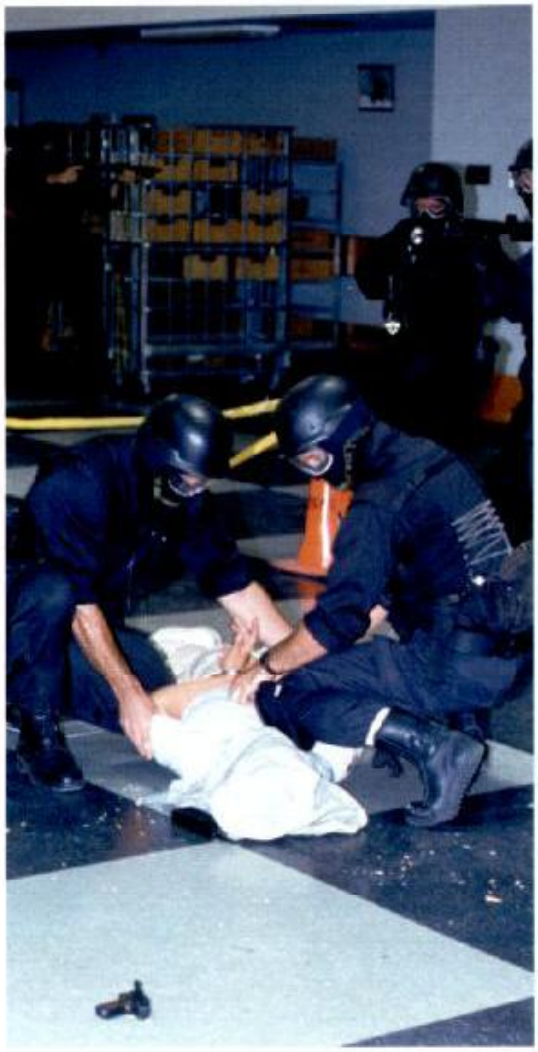

التدافع المصطلحي

تنوعت أشكال الاتصال والتدافع الحضاري بين الحضارتين العربية الإسلامية والغربية الوثنية خلال قرون تدافعهما، وأخذتا في تدافعاتهما الحضارية تلك جملة من التمظهرات المختلفة، حتمت في نهاية المطاف وفي أواخر العصر الحديث إلى إعجاب وافتتان الكثير من المفكرين والمثقفين العرب والمسلمين بها، وبخاصة الذين درسوا في الجامعات الغربية.(١)

كما أدى إعجابهم إلى إدخال الكثير من المصطلحات الفكرية والأدبية والعلمية من الثقافة الغربية إلى الأدبيات الفكرية والثقافية العربية والإسلامية، وإحلالها موازية لمثيلاتها في حقل الأدبيات الفكرية والثقافية الإسلامية. وبذلك فقد وفرت لها فرصة التمكين الثنائي مع المصطلحات المحلية، ما أدى إلى حصول نوع من التوأمة بينهما في سياقات وأنساق متوازية. وحلت مصطلحات (الوطن والقطر) محل (دار الإسلام)، و(العالم الأوروبي ثم الغربي) محل (دار الكفر المحاربون أو المسالمون أو دار الحرب والكفر)، و(المواطن) محل (المسلم أو المؤمن)، و(الشعب) محل (الرعية)، و(البرلمان) محل (مجلس الشورى)، و(الثورة والانتفاضة) محل (الجهاد).. وهكذا تمت عملية التجاور المصطلحي.

ثم تلتها مرحلة تخلي الفكر العربي والإسلامي عن كثير من مصطلحاته بحلول المصطلحات الغربية الوافدة محلها، فنشأت بعد مرحلة التوأمة مرحلة الثنائيات، مؤدية إلى وجود ثنائيات في عالم الفكر والثقافة من مثل (الأصالة والمعاصرة)، و(العروبة والإسلام)، و(الدين والعلمانية)، و(الوطنية والقومية). لتليها مرحلة التخلي الكلي عن المصطلحات الإسلامية، ثم التبني الكلي للمصطلحات الوافدة أو الغازية، ومعها غيّب المصطلح القرآني والنبوي السلفي الأصيل وغيره من مصطلحات الحضارة العربية الإسلامية.

والمتتبع لعملية التدافع المصطلحي بين الثقافتين العربية الإسلامية والغربية الوثنية . تمهيدا لعملية تغييبها الكلي من الواقع الفكري والثقافي العربي الإسلامي . يجد أنها قد مرت بالمراحل الأربعة التالية:

١ . مرحلة الوفود والقبول للتعايش مع المصطلحات الإسلامية.

٢ . مرحلة توأمة المصطلحات الإسلامية مع مثيلاتها الوافدة من الثقافة الغربية.

٣ . مرحلة الثنائية المصطلحية بينهما.

٤ . مرحلة التخلي النهائي عن المصطلحات العربية والإسلامية، وحلول المصطلحات الغربية مواطن السيادة والسيطرة.(٢)

خطورة المعركة المصطلحية

ولم تعد المعركة المصطلحية التي قادها رواد العلمنة والتغريب في الفكر العربي والإسلامي الحديث والمعاصر تمس صميم المصطلحات الفكرية والثقافية والفنية والأدبية فحسب، بل تعدتها لتخلط على المسلمين الكثير من ثباتهم المصطلحي، وتزعزع وحدة تصورهم الفكري، وتضرب صميم عقيدتهم(٣)، وتبلبل عليهم سائر أمور دينهم، فراجت المصطلحات التالية في أدبيات الكتابة الدينية والسياسية الإسلامية وغيرها من مثل: (الإسلام الراديكالي الثوري، والإسلام السياسي، والإسلام المتعصب المتشدد، والإسلام المعتدل، والسلفي التقليدي المحافظ، والمتحرر، والإسلام الشعبي الجماهيري، والإسلام السلطوي..).(٤)

ثم انتقلت المعركة المصطلحية إلى ميدان آخر غير عالم الأدبيات الفكرية والثقافية

المعركة المصطلحية في العالم العربي قادها رواد العلمنة والتغريب في الفكر الغربي والإسلامي الحديث والمعاصر

والفنية والأدبية.. إلى عالم الواقع العربي الإسلامي، لتصف المسلمين والدول المسلمة والجماعات المسلمة بسيول من المصطلحات، المشتتة لوحدتهم، والممزقة لصفهم وبنيانهم الإسلامي المرصوص، فهذه: (جماعة أصولية محافظة، جماعة إسلامية متشددة، وجماعة صوفية، وجماعة سلفية تقليدية، وجماعة ثورية، فارهابية، فدموية، فاجرامية، فعنصرية..).(٥)

وقد توسعت المعركة المصطلحية لتزيل من أدبيات الفكر والمفكرين كل تعامل بالمصطلحات القرآنية، تمهيدا لإزالتها من الواقع التربوي والتعليمي والإعلامي والثقافي والفكري والأدبي والفني للمسلمين، حتى غدا استعمال المصطلح القرآني يشكل عائقا كبيرا للباحث المسلم في تعاملاته الفكرية والثقافية المختلفة، حتى بين المشتغلين والمنشغلين بقضايا الفكر العربي والإسلامي، وصار ملزما بالاستطراد خلال نشاطه الفكري لشرح وإيضاح الكثير من مصطلحاته.

وبناء على ما سبق ستسعى هذه الدراسة . إن شاء الله . إلى فهم وتأصيل وبلورة المصطلح القرآني من خلال بناء «مدلول الإرهاب» اللغوي، ومحاولة تعميمه بين عموم المثقفين المسلمين على أقل تقدير.(٦)

مفهوم الإرهاب لغة

تشير معاجم اللغة العربية(٧) إلى أن كلمة «رَهِبَ» «رَهَبَ» بفتح الراء، وكسر الهاء وفتحها، وفتح الباء، إلى معنى «خاف وخشي» . ومصدرها «الرَّهَبُ» و«الرهب» هو: «الخوف، والرعب، والخشية، والفزع». يقال: «أرهبه، واسترهبه» أي: «أخافه». ويقال: «ترهّبه» أي: توعده». و«الترهّب» هو: «التعبد»، واسم الفاعل منها الراهب. و«الراهب» هو: «العابد المتنسك من عباد النصارى». وسموا كذلك لكثرة ترهبهم وخوفهم وخشيتهم من الله، وجمعه «رهبان». وقد ورد في الأثر في وصف الصحابة رضوان الله عليهم: «رهبان بالليل، فرسان بالنهار».

و«الرهبان»: هم عباد النصارى المترهبون على طريق سموه «الرهبانية»، وقد ورد قوله عليه الصلاة والسلام: «لا زمام ولا حزام ولا رهبانية في الإسلام». وقد ورد في الأثر قول نبينا محمد عليه الصلاة والسلام: «عليكم بالجهاد فإنه رهبانية أمتي».

ومن خلال هذه المقاربة اللغوية للفظة الإرهاب نتبين أنه هو: الإخافة، والإفزاع، والإرعاب.(٨)

لفظة إرهاب في القرآن الكريم . هيأتها ودلالاتها النحوية:

ورد في القرآن الكريم ذكر لفظ «الرَهَبَ» أو أحد مشتقاته اثنتي عشرة مرة في عشر سور قرآنية، هي: «البقرة، المائدة، الأعراف . ذكرت فيها مرتين . ، الأنفال، التوبة . ذكرت فيها مرتين . ، النحل، القصص، الأنبياء، الحديد، الحشر ».

وقد وردت في الهيئات اللغوية والصرفية التالية:

١ . وردت لفظة «الرهب» . في سورة البقرة في الآية رقم (٤٠) في قوله تعالى: (يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي اوف بعهدكم وإياي فارهبون) . بصيغة فعل الأمر المطلق.

٢ . وردت لفظة «الرهب» في سورة المائدة في الآية رقم (٨٢) في قوله تعالى: (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين امنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون)، بصيغة اسم الفاعل الجمع.

٣ . وردت لفظة «الرهب» في سورة الأعراف في الآية رقم (١١٦) في قوله تعالى: (قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاؤوا بسحر عظيم) . بصيغة فعل الماضي المزيد الذي يفيد المطاوعة.

٤ . وردت لفظة «الرهب» . في سورة

يجب فهم وبلورة المصطلح القرآني من خلال بناء مدلول الإرهاب ومحاولة تعميمه بين عموم المثقفين المسلمين

الأعراف في الآية رقم (١٥٤) في قوله تعالى: (ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون) . بصيغة فعل المضارع من الأفعال الخمسة.

٥ . وردت لفظة «الرهب» . في سورة الأنفال في الآية رقم (٦٠) في قوله تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون) . بصيغة فعل المضارع من الأفعال الخمسة المبني للمجهول.

٦ . وردت لفظة «الرهب» . في سورة التوبة في الآية رقم (٣١) في قوله تعالى: (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون). وفي قوله تعالى في الآية رقم (٣٤): (يأيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم) التوبة: ٣٤) . بصيغة اسم الفاعل وهي صفة جمع لراهب.

٧ . وردت لفظة «الرهب» . في سورة النحل في الآية رقم (٥١) في قوله تعالى: (وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فإياي فارهبون) . بصيغة فعل الأمر المطلق.

٨ . وردت لفظة «الرهب» . في سورة الأنبياء في الآية رقم (٩٠) في قوله تعالى: (فاستجبنا له ووهبنا له يحي وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين) . بصيغة المصدر الأصلي للكلمة.

٩ . وردت لفظة «الرهب» . في سورة القصص في الآية رقم (٣٢) في قوله تعالى: (اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم إليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك إلى فرعون وملئه إنهم كانوا فاسقين) . بصيغة المصدر الأصلي المعرف للكلمة.

١٠ . وردت لفظة «الرهب» . في سورة الحديد في الآية رقم (٢٧) في قوله تعالى: (ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى

وصف القرآن حقيقة يهود الخفية وما انطوت عليه نفوسهم من خبث وكيد وتدمير حتى يحذرهم المسلمون

ابن مريم وآتيناه الإنجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون)، مصدر صناعي مؤنث.

١١ . وردت لفظة «الرهب» . في سورة الحشر في الآية رقم (١٣) في قوله تعالى: (لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون) . اسم مصدر دال على الهيئة.(٩)

معنى إرهاب في القرآن الكريم

ولعل استقراءنا لبعض التفاسير القرآنية نتبين من خلالها بعض معاني لفظة «الرهب» ففي قوله تعالى في سورة البقرة (يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون) البقرة: ٤٠، جاء الحديث فيها عن بني إسرائيل، وذلك من عناية الله سبحانه وتعالى لكشف حقيقة اليهود الخفية، وإظهار ما انطوت عليه نفوسهم الشريرة من خبث وكيد ومكر وتدمير.. كي يحذرهم المسلمون وعامة المستقبلين لهذا الخطاب السماوي المعجز.

فقد دعا الله سبحانه وتعالى البشر . وخص بني إسرائيل . إلى توحيده الخالص وعبادته لوحده من دون غيره، وأقام لدعوته الحجج والبراهين، ثم ذكر بني إسرائيل بالنعم التي أنعمها عليهم وعلى آبائهم وأجدادهم من قبل، وتفنن في مخاطبتهم بكل أساليب الخطاب، إلى أن وصل بهم إلى تقريعهم للرهبة والخوف منه . فهذه الآية

آيات الرهبنة في القرآن نزلت بخصوص اليهود المعاندين والمكابرين تدعوهم للخوف من الله

نزلت بخصوص اليهود المعاندين والمكابرين تدعوهم للخوف والرهبة من الله تعالى.(١٠)

وقد ورد البناء اللغوي للفظة نفسها «الرهب . فارهبون .» في سورة النحل في الآية ٥١ قوله تعالى: (وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فإياي فارهبون)، لتذكير الناس بضرورة إفراد الله سبحانه وتعالى بالطاعة والعبادة له وحده، والخشية والخوف منه سبحانه وتعالى دون سواه، ولفظة الرهب «فارهبون» كصفة منسوبة لله سبحانه وتعالى اقترنت بأسّ هذا الدين، وهو أسّ الإيمان والتوحيد، وقد ذكرت منسوبة لله تعالى في أثناء توجيهها للكفار والمعاندين عموما، ولبني إسرائيل خصوصا، بهدف تربية حس وشعور الخوف والرهبة في قلوبهم من الله تعالى.

ففي الآيتين الكريمتين اقترنتا بمسألة التوحيد وخصت عموم الكفار والمنافقين والمعاندين، وعنت بوجه أخص بني إسرائيل، الذين يسعون اليوم عن طريق وسائلهم العديدة لإبعادها عن أنفسهم وإلصاقها بالمسلمين.

كما وردت لفظة «الرهب . استرهبوهم .» في سورة الأعراف في الآية ١١٦ قوله تعالى: (قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاؤوا بسحر عظيم)، متضمنة حال الرهب التي صنعها السحرة ليسترهبوا أعين العامة بسحرهم وخيالاتهم، ومن خلال البناء الصرفي للفعل لزيادة المطاوعة في صناعة حال الرهبة الوهمية في نفوس العامة.

وفي هذا الصدد قال الإمام ابن عاشور: «... والاسترهاب: طلب الرهب أي الخوف، وذلك أنهم عززوا تخيلات السحر بأمور أخرى تثير خوف الناظرين، لتزداد تمكن التخيلات من قلوبهم، وتلك الأمور أهوال وأفعال توهم أنه سيقع شيء مخيف، كأن يقولوا للناس: خذوا حذركم وحاذروا، ولا تقتربوا، وسيقع شيء عظيم، وسيحضر كبير السحرة، ونحو ذلك من التمويهات والخزعبلات والصياح والتعجب.

ولك أن تجعل السين والتاء في «استرهبوهم» للتأكيد أي: أرهبوهم رهبا شديدا، كما يقال استكبر واستجاب».(١١)

ويتبين من خلال لفظ «استرهبوهم» التصاقها بالسحرة والمشعوذين والكذب

والتخييلات.

وقد وردت اللفظة بصيغة الفعل المضارع من الأفعال الخمسة المبني للمعلوم في سورة الأعراف في الآية ١٥٤ قوله تعالى: (ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون) موسى عليه الصلاة والسلام، وخصص الرهبة لله وحده عندما تقدم لفظ الجلالة «الله» تخصيصا، وهو مفعول به مقدم جر هنا بحرف الجر لتقدمه.(١٢)

والرهبة هنا دلت على الخشية من الله تعالى، والتصقت بفئة المؤمنين من قوم النبي موسى عليه الصلاة والسلام، فصار هناك راهب، ومرهوب، وأمر مرهوب منه، وهو الخوف من بطش وأخذ الله تعالى.

كما وردت اللفظة - في سورة الأنفال في الآية ٦٠ قوله تعالى: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لاتعلمونهم الله يعلمهم وماتنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون) - بصيغة فعل المضارع من الأفعال الخمسة المبني للمجهول، لأن التخويف والإفزاع هنا منصب على طوائف متعددة من أعداء الله ودينه، من اليهود والمشركين وغيرهم، وعليه فالإرهاب هنا حق مشروع من المولى تبارك وتعالى للمسلمين ليوقفوا خطر أعدائهم من المناوئين والمحاربين لله ولرسوله، وليس للمسالمين من الأمم الأخرى.

فالترهيب هنا للأعداء حق شرعي إلهي منحه لعباده المسلمين زمن الحرب، لإرهاب أعداء الله، ممن يقعدون للمسلمين كل مرصد بهدف إيذائهم وتخضيد شوكتهم. وهو حقهم الديني المشروع للدفاع عن أنفسهم وعرضهم ومالهم وأوطانهم.(١٣)

وفي هذا الصدد قال الإمام ابن عاشور: (وجملة «ترهبون به عدو الله وعدوكم» هم المشركون، فكان تعريضهم بالإضافة لأنها أخصر طريق لتعريضهم، ولما تتضمنه من وجه قتالهم وإرهابهم، ومن ذمهم، أن كانوا أعداء ربهم، ومن تحريض المسلمين على قتالهم، إذ عُدوا أعداء لهم، فهم أعداء الله لأنهم أعداء توحيده، وهم أعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهم صارحوه بالعداوة، وهم أعداء المسلمين لأن المسلمين أولياء دين الله والقائمون به وأنصاره..

حال الرهب التي حصلت ليهود بني النضير نشأت من جبلتهم الجبانة لا من استكانتهم للدعة وحياة العبودية

والإرهاب جعل الآخر راهبا أي خائفا، فإن العدو إذا علم استعداد عدوه لقتاله خافه، ولم يجرؤ عليه، فكان ذلك هناء للمسلمين وأمنا من أن يغزوهم أعداؤهم، فيكون الغزو بأيديهم؛ يغزون الأعداء متى أرادوا، وكان الحال أوفق لهم. وأيضا إذا رهبوهم تجنبوا إعانة الأعداء عليهم.(١٤)

كما أورد المولى تبارك وتعالى في سورة الحشر أحد مشتقات لفظ «الرهب - رهبة -» بصيغة المصدر الدال على الهيئة في الآية ١٣ من سورة الحشر قوله تعالى: (لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لايفقهون). مبينا سبحانه وتعالى حقيقة نفسية ومعنويات اليهود الغادرين، وهو يقص علينا وقائع جلاء بني النضير عن المدينة المنورة بعد محاصرة المسلمين لهم.

وحال الرهب التي حصلت لليهود من بني النضير، إنما نشأت فيهم من جبلتهم الجبانة ومن استكانتهم للدعة وحياة العبودية، ومن ضعف إيمانهم وعدم انصياعهم لتعاليم الإسلام، ومن حبهم الشديد للدنيا.(١٥)

كما ورد لفظ «الرهب» في سورة القصص في الآية ٣٢ من سورة القصص قوله تعالى: (اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم إليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك إلى فرعون وملئه إنهم كانوا فاسقين). ليدل على منتهى الخوف والانبهار من معجزة الله تعالى لموسى بإضاءة اليد.(١٦)

كما ذكر لفظ «الرهب» المصدر الدال على الهيئة والحال في سورة الأنبياء في قوله في الآية ٨٩ من سورة الأنبياء سبحانه وتعالى: (فاستجبنا له ووهبنا له يحي وأصلحنا له

لفظة الرهب عنت بوجه خاص بني إسرائيل الذين يسعون اليوم بوسائلهم الخاصة إبعادها عن أنفسهم والصاقها بالمسلمين

زوجه إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين)، الذي يدل على الرجاء، والأمل والرغبة في عطاء الله تعالى، والخوف والفرق من عذابه.(١٧)

وفي هذا الصدد قال الامام ابن عاشور: «... والرغب والرهب مصدران من رغب ورهب.. أي ذو رغب ورهب..».(١٨)

كما ذكرت اللفظة بأحد مشتقاتها ثلاث مرات بصيغة اسم الفاعل الجمع عن عبّاد النصارى، فصار الاسم يدل على عبّادهم ومترهبيهم على طريق الرهبانية في الآية ٣١ من سورة التوبة قوله تعالى: (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون). وفي قوله تعالى في الآية رقم (٣٤) من سورة التوبة: (يأيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم). وفي الآية ٨٤ من سورة المائدة قوله تعالى: (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوااليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين امنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون). كما ذكرت عبادتهم الرهبانية في الآية ٢٧ من سورة الحديد قوله تعالى: (ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الإنجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون).

والرهبانية هي: رفض النساء، والابتعاد عن الشهوات، واتخاذ الصوامع للعبادة فقط، واعتزال الناس وتجنب ملاذ الحياة. وقد قال في هذا الصدد الإمام ابن عاشور: «.. الرهبان اسم جمع لراهب، وهو التقي المنقطع لعبادة الله من أهل دين النصرانية، وخص الراهب بعظيم دين النصرانية، لأن دين النصارى قائم على أصل الزهد في الدنيا والانقطاع للعبادة...».(١٩)

ها هي تفاسير ومعاني لفظة إرهاب في القرآن الكريم من خلال الآيات التي وردت

فيها، وقد تبينا منها الكثير من الحقائق التي سنعرضها الآن.

مفهوم مصطلح «الإرهاب» في القرآن الكريم

على ضوء ما قدمته لنا التفاسير يمكننا استنتاج أبعاد هذا المصطلح القرآني فيما يلي:

١ ـ اقترنت لفظة «الرهب ـ فارهبون ـ» بمسألة التوحيد والعبادة والطاعة، وخصت عموم الكفار والمنافقين والمعاندين، وعنت بوجه أخص بني إسرائيل. الذين يسعون اليوم بوساطة وسائلهم الكثيرة لإبعادها عن أنفسهم وإلصاقها بالمسلمين.

٢ ـ التصقت لفظة «الرهب ـ استرهبوهم ـ» بالسحرة والمشعوذين والكذب والتخييلات والخداع والظلم.

٣ ـ دلت لفظة «الرهب ـ الرهبة ـ» على الخشية من الله تعالى، والتصقت هنا بفئة المؤمنين من قوم موسى عليه الصلاة والسلام، فصار هناك راهب، ومرهوب، وأمر مرهوب منه، وهو الخوف من بطش وأخذ الله تعالى.

٤ ـ دلت لفظة «الرهب ـ ترهبون ـ» على الترهيب لأعداء الله، وركزت على أنه حق شرعي منحه لعباده المسلمين زمن الحرب،

الرهب حالة نفسية باطنية تتجسد ظاهريا وسلوكيا في تصرفات الفرد وهي علاقة بين طرفين راهب ومرهوب

لإرهاب أصناف المعتدين من أعداء الله، ممن يتعدون للمسلمين في كل مرصد بهدف إيذائهم وتخضيد شوكتهم. كما أكدت على أنه هو حقهم الديني المشروع للدفاع عن أنفسهم وعرضهم ومالهم وأوطانهم.

٥ ـ دلت لفظة «الرهب ـ الرهب ـ» على منتهى الخوف والانبهار من معجزة الله تعالى لموسى بإضاءة اليد.

٦ ـ دلت لفظة «الرهب ـ رهبا ـ» على الرجاء والأمل والرغبة في عطاء الله، والخوف والفرق من عذابه.

وعليه فالرهب كما ضبطت أبعاده ومعالمه الآيات القرآنية حالة نفسية داخلية باطنية، تتجسد ظاهريا وسلوكيا في تصرفات الفرد. وأنها علاقة بين طرفين راهب ومرهوب، ربطها الله سبحانه وتعالى بنفسه عند إرادته التخويف لعموم الكافرين، ولخصوص اليهود المعاندين.

وهي حق شرعي منحه الله لعباده المؤمنين للدفاع عن حومة الدين وبيضة الأمة المسلمة ضد أعداء الله وأعدائهم. وإن ذهبت بعض الأدبيات السياسية الحديثة إلى نعت العرب والمسلمين به، والعمل جاهدين عبر سائر مؤسساتهم ووسائلهم على إلصاقه بالإسلام، ونعته بأنه دين إرهابي. وحشد الطاقات الدولية عبر مختلف المحافل العالمية لوسم الإسلام به، متخذين بعض الأعمال المعزولة التي يقوم بها بعض العرب والمسلمين للتعبير عن عدالة قضاياهم، ويسعى الغرب ـ اليوم ـ عبر محاولات سياسية وفكرية إلى إيجاد تحالفات قوية تضم العرب والمسلمين لمقاومة أنفسهم، وتخريب ديارهم، من دون أدنى تحرير معرفي لمصطلحه، ودفع الآخر لمقاومته تحت ستار (محاربة الإرهاب).

تعريف الإرهاب في المفهوم القرآني

ومن المفهوم القرآني نصل إلى تعريف الإرهاب بأنه: (هو المحاولة القولية، أو العملية، أو الاثنتين معا، اللتان تهدفان بالأساس إلى ترويع الآمنين المطمئنين في أي بقعة في العالم، تجاه أي جنس، أو عرق، أو شعب ـ بغير حق التعامل بالمثل كما في فلسطين مثلا ـ وإلحاق الضرر والأذى والتدمير والقتل بهم، لابتزاز وتخضيع حكوماتهم ودولهم لمآرب غير شرعية أو قانونية). فهل من مدكر؟ أم على قلوب أقفالها؟ ■

•• الهوامش ••

(١) بدءا من رقاعة رافع الطهطاوي، وأحمد خان، وشبلي الشميل، وطه حسين، وحسين هيكل، وغيرهم.
انظر: محمد علي التسخيري، مظاهر وأساليب وعي الغرب الحضارة الإسلامية، مجلة التوحيد، عدد ٦٥، ذو القعدة وذو الحجة ١٤١٣هـ ماي وجوان ١٩٩٣م، ص ٦ و٧.

(٢) لمزيد التوسع في هذا الموضوع انظر: عبد الوهاب المسيري (دكتور)، إشكالية التحيز ـ رؤية معرفية ودعوة للاجتهاد، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، واشنطن، الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ ١٩٩٦م، ج ١، ص ٣ .. ١٠٧. وعلي جمعة (دكتور)، كلمة في التحيز، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، واشنطن، الطبعة الأولى، ١٤٧١هـ ١٩٩٦م، ج ١، ص ١١٧ .١٢٣. ومحمد عمارة (دكتور)، الخصوصيات الحضارية للمصطلحات، ج ١، ص ١٢٥ .. ١٢٣ . وأحمد صدقي الدجاني (دكتور)، التحيز في المصطلح، ج ١، ص ١٤٥ .. ١٦١. ومحمد الوهاب المسيري (دكتور)، هاتان تفاحتان حمراوان، ص ١٦٣ ـ ١٩٠.

(٣) أمثال علي عبد الرازق، وقاسم أمين، ومصطفى الحداد، وسلامة موسى، ومحمد الله العروي، ومحمد أركون.

(٤) لنا دراسة منشورة في مجلة الخفجي السعودية السنة ٢١، عدد ٦، سبتمبر ٢٠٠٠م، عن دلالة مفهوم الإصلاح في القرآن الكريم ص ٣ .٩. ودراسة أخرى عن مفهوم عربي في القرآن الكريم مرسلة إلى مجلة الخفجي السعودية.

(٥) المرجع السابق نفسه، ص ١١ و١٥.

(٦) ثمة مجموعة من المصطلحات القرآنية كمشاريع مستقبلية منها، مصطلح البلاء، والخير، والنبأ، والعبرة، والأمن، والخوف، والفزع، والرجولة، والنسوة، والدنية، والقرية.

(٧) محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار مكتبة الحياة، بيروت، من دون طبعة، من دون تاريخ، ج ١، ص ٢٨٠ و٢٨١. والفيروز ابادي، قاموس المحيط، دار مكتبة النوري، دمشق، من دون طبعة وتاريخ، ج ١، ص ٧٦ و٧٧.

(٨) الزبيدي، تاج العروس، ج ١، ص ٢٨٠ و٢٨١. والفيروز ابادي، قاموس المحيط ج ١، ص ٧٦ و٧٧

(٩) اعتمدت في ترقيم وعرض الآيات على المصحف العثماني.

(١٠) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، من دون طبعة، من دون تاريخ، ج ١، ص ١٤٤. بتصرف. ومحمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م، ج ١، ص ٤٥٤ .. ٤٥٧. ومحمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار قصر الكتاب، البليدة، من دون طبعة، من دون تاريخ، ج ١، ص ٥٢ و٥٣.

(١١) محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج ٩، ص ٤٨.

(١٢) ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج ٩، ص ١٢١ و١٢٢. وجار الله الزمخشري، تفسير الكشاف، دار مكتبة الحياة، بيروت، من دون طبعة، ومن دون تاريخ، ج ٢، ص ١٠٢. وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ٢٠٦ . والصابوني، صفوة التفاسير، ج ١، ص ٤٦٤.

(١٣) ابن كثير، ج ٣ ص ٣٠٤. والجلالين، ص ٢٤٣. والزمخشري، ج ٢، ص ١٦٦. والصابوني، ج ١، ص ٥١١.

(١٤) ابن عاشور، ج ١٠، ص ٥٦ و٥٧.

(١٥) تفسير الجلالين ص ٧٢٧. والصابوني ج٣ ص ٢٥٤. والزمخشري ج ٤ ص ١٥. وابن كثير، ج ٦ ص ١١١.

(١٦) الجلالين، ص ٥١٥. الصابوني، ج ٢، ص ٤٣٣. الزمخشري، ج ٣، ص ٢٥٧. وابن كثير، ج ٥، ص ٢٧.

(١٧) الزمخشري، ج ٣، ص ٥٨٢.

(١٨) ابن عاشور، ج ١٧، ص ١٣٧.

(١٩) ابن عاشور، ج ١٠، ص ١٧٠.

أمراض المجتمع

د. زيد بن محمد الرماني
مستشار وعضو هيئة التدريس في جامعة الإمام محمد بن سعود

يتعاظم خطر المشكلة عندما يتم التغاضي عن بروزها أو عند التعامل معها بغير اهتمام

يتعرض جسم الإنسان من وقت لآخر لأمراض نسميها أمراضاً جسدية، كوجع الرأس، أو وجع المعدة، أو ألم المفاصل. وكما أن الجسم يتعرض للمرض، كذلك المجتمع يصاب بأمراض يطلق عليها الأمراض الاجتماعية. كظاهرة الإجرام، والانحرافات السلوكية، والإدمان... وهي الأخطر. فإذا كانت الأمراض الجسدية تصيب الإنسان كفرد، ويأخذ ضررها الطابع الفردي، فإن الأمراض الاجتماعية تطال الإنسانية في المجتمع، وتشكل بالنسبة لهذا المجتمع بؤرة فساد تكون باتساعها وانتشار عدواها وتأثيرها السلبي أشبه باتساع الدوائر المائية على صفحة ماء راكدة، تعرضت لرمي حصاة صغيرة.

إن المشكلة تبدأ فردية صغيرة لتصبح، مع عدم المواجهة، قضية اجتماعية تنهك المجتمع وتقض مضاجع أبنائه. ويتعاظم خطر المشكلة بقدر ما يتم التغاضي عن بروزها أو بقدر ما يتم التعامل معها بغير اهتمام. ثم إن المجتمع يتعرض بعامة إلى نوعين من المشكلات: أولاها، مشكلات طبيعية، لا يكون للفرد فيها أي دور كالمشكلات الناتجة من الزلازل والفيضانات والعوامل الطبيعية الأخرى. وهي مشكلات لا يمكن التحكم بأسبابها والسيطرة عليها.

وثانيها، مشكلات يتسبب بظهورها الفرد كمشكلات الإدمان، والعنف والإجرام، والطفولة المعذبة. وهذه يمقدور المجتمع التحكم بأسبابها ومحاصرتها.

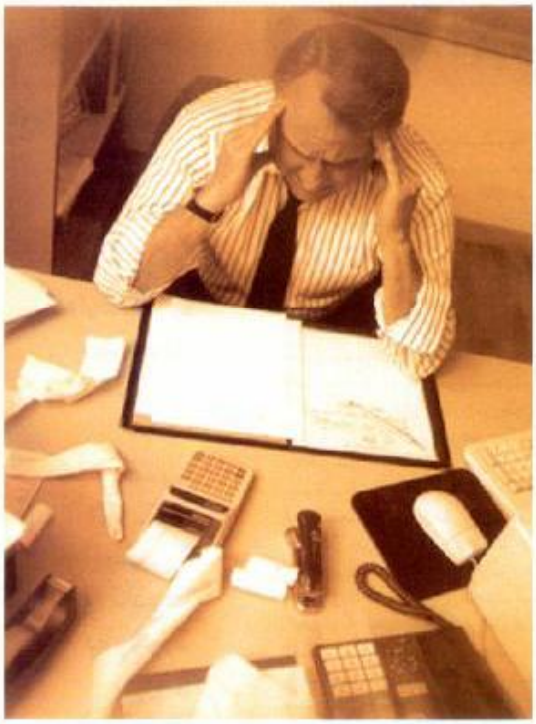

ولقد اهتم علماء النفس والاجتماع بهذه المشكلات والأمراض وبحثوها من زاوية الخروج على قيم المجتمع ومعاييره، أو بمدى الالتزام بها والتوافق معها، وكشفوا أسبابها الاجتماعية، كما عددوا أهم هذه الأمراض، وعرضوا لكيفية الوقاية منها وسبل علاجها، وبيّنوا أن من هذه الأمراض ما يتصل بالفرد والمجتمع والأسرة والحيّ، وأبرزوا أهم أشكالها. كما أسلفنا. وهي: الجريمة والعنف والإدمان.

وعموماً فإن أولئك الأشخاص الذين توصد في وجوههم أبواب الكسب الشريف يكونون أمام خيارين: إما اتباع وسائل غير مشروعة لتحقيق أهدافهم في المجتمع، أو الانسحاب من الحياة الاجتماعية العامة والهروب من متطلبات الواقع بتعاطي المخدرات أو إدمان الكحول أو بلعب الميسر وكل خيار يعتبر سلوكاً منحرفاً ومرضاً اجتماعياً يتسبب في مشكلات كثيرة يعود أثرها على الجميع أي على المجتمع كله ■

خصائص الحضارة العربية الإسلامية

بقلم:
د. فاضل محمد الكبيسي

شهد تاريخ البشرية الطويل، حضارات عدة سادت ثم بادت، منها ما كان مقتصراً على إقليم من الأقاليم، أو جنس من الأجناس البشرية كحضارة قدماء المصريين مثلاً، وقد تكون نتيجة جهود أجناس مختلفة وتشمل بقاعاً واسعة، كما هو حاصل اليوم في حضارة الغرب التي مازالت قائمة، ولكن لا يعرف على وجه التحديد، كيف بدأت هذه الحضارات المتنوعة، وليس سهلاً أن يضبط تاريخ مولدها، والظروف التي صاحبت وجودها ونشأتها، لأن أي حضارة من الحضارات تتبدى لنظر المؤرخين عند قيامها، كائناً حياً سوي الخلقة، وهي بذلك قد خلقت وراءها بعض مراحل تطورها في ظلال ظروف ماضية يصعب التعرف الدقيق إليها، وهذا يعود بدوره إلى أن الحضارات لا يمكن أن تولد كما يولد الأفراد، وإن هي من ناحية أخرى تشبه الكائنات العضوية في تأثرها بمؤثرات البيئة في نموها ونضجها (١).

«فنحن لا نستطيع أن نحدد مثلاً بدء الحضارة الغربية الحديثة، فإن كل ما ندريه عنها أنها تطورت شيئاً فشيئاً من حطام الحضارة الرومانية، وامتزجت بدين شرقي هو المسيحية، بعد أن عدلته وحورته طبقاً لحاجات الغرب واستعداداته وظروف حياته، ولكنا لا نستطيع أن نحدد على وجه دقيق متى اتخذت هذه الحضارة الجديدة المركبة طابعها المحدد المتميز، وكل ما نستطيع أن نقوله في هذا الصدد أن ذلك لابد أن يكون قد تم في أوائل العصور الوسطى على مدى أربعة أو خمسة قرون على وجه التقريب. والواقع هو أن الحضارة الغربية بدت في الوجود وأبرزتها في مواكب الزمان تطورات دامت أحقاباً طويلة فكانت مقوماتها الأساسية التي تتمثل في نظرتها إلى الحياة الإنسانية والأخلاق وفضائل النفس، وفي تراثها وعاداتها وقوانينها الاجتماعية، نتاج امتزاج بطيء لخليط من المؤثرات الفكرية مختلفة أشد الاختلاف ولعناصر من الحضارات متباينة أشد التباين... وليست حضارة الرومان ذاتها أكثر وضوحاً أو تحديداً من سابقتها. ولا كذلك حضارة الهندوس أو الصين، ولا تخرج حضارات بابل وآشور عما سبقت الإشارة إليه، بل إن القول لينطبق على كل ما شاهد البشر من حضارات... إننا مهما أوغلنا في التنقيب والبحث فيما سلف من حضارات البشر، فلن نجد توقيتاً معيناً نستطيع أن نحدده بدءاً لحضارة ما، أو تاريخاً لمولدها، ولا أن نعين حداً فاصلاً يميز بين حضارة ولت وأخرى أشرق عليها النور وتبدت للوجود» (٢).

«ولكن هناك استثناء واحداً لكل ما أسلفنا من قول، استثناء تكاد لغرابته تذهل العقول وتنعقد الألسنة، فلم يذكر تاريخ البشر فيما عرفه الناس من حضارات سوى حضارة واحدة، برزت للوجود من عالم الغيب دفعة واحدة، واستوت للناظرين قائمة على أصولها في فترة محدودة من تاريخ البشر. تلك ولا شك حضارة فذة من نوع فريد، إنها حضارة الإسلام، لقد انفردت وحدها بانبجاسها إلى الحياة من دون سابق عهد أو انتظار، وقد جمعت هذه الحضارة، من فجر نشأتها، كل المقومات الأساسية لحضارة مكتملة شاملة، فقامت في مجتمع واضح المعالم، له نظرته الخاصة إلى الحياة، وله نظامه التشريعي الكامل، وله نهجه المحدد للعلاقات بين الأفراد، بعضهم

> لا تولد الحضارات كما يولد الأفراد لكنها تشبه الكائنات العضوية في تأثرها بمؤثرات البيئة في نموها ونضجها

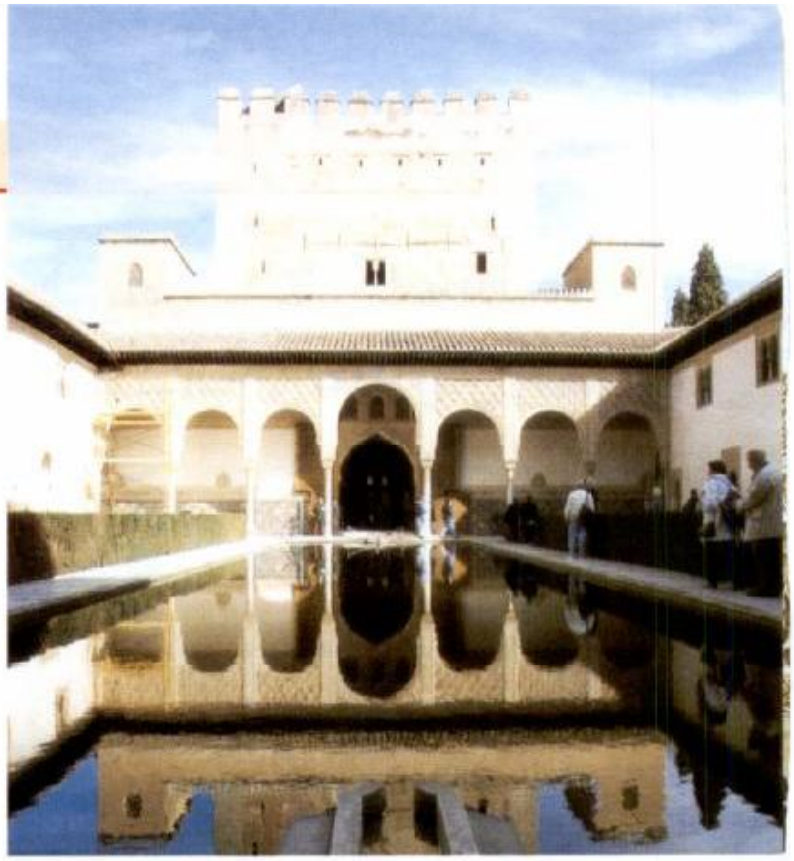

ببعض داخل هذا المجتمع، ولم يكن قيامها ثمرة تقاليد زخر بها الماضي، ولا وليد تيارات فكرية متوارثة ولكن هذه الحضارة كانت وليدة حدث تاريخي فريد، وهو تنزيل القرآن الكريم، وكان مردها إلى رجل فذ في التاريخ هو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلقد أدرك الذين آمنوا بالإسلام واتبعوا محمداً صلى الله عليه وسلم وصدّقوا بالقرآن، فاتخذوه قاعدة حياتهم، إن الدين الجديد الذي جاء به القرآن يتطلب منهم هجرة دائمة إلى ما جاءهم به عما توارثوه من عقائد في الحياة، وما ألفوه من مناهج السير فيها... إنهم أدركوا أن الإسلام جاء نظاماً شاملاً للحياة، وقد افتتح حقاً حضارة جديدة وما كان دوره ليقتصر على التمهيد لغيره من الحضارات أو الإرهاص بها، فنبينوا كما تبين من جاء بعدهم من المؤمنين، أن مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إيذاناً ببدء عهد جديد بكل ما ينطوي عليه هذا البدء من حقائق ومعان. لقد بدأت حضارة الإسلام إذن كائناً حياً متكاملاً متمايزاً، انبثق نجمها فكان ظهورها في توقيت تاريخي محدد امتد زهاء ثلاثة وعشرين عاماً، هي الحقبة التاريخية التي قضاها رسول الله صلى الله عليه وسلم على ظهر الحياة من يوم بعثته حتى لقي الرفيق الأعلى، وليس هناك في التاريخ البشري كله من حضارة في القديم أو الحديث، نستطيع أن نحدد تاريخ مولدها والظروف والعوامل التي صاحبت وجودها ونشأتها، سوى حضارة الإسلام(٣).

ويمكن أن نوجز خصائص الحضارة العربية الإسلامية بنقاط، هي:

أولاً: إنها كانت للعالم حضارة جديدة تقوم على عقيدة التوحيد هي أسمى صورها، وهي العقيدة التي تنبع من وحي رسالة سماوية، وتمد الحضارة بالروح والقوة والتماسك، وتوجهها إلى الموازنة الدقيقة بين مقاصد الروح ومطالب الجسد، والبعد عن الزهد المعطل للحياة، وعن المادية الجامحة المفسدة لانسانية الحياة، لقد كان الفرد المسلم «إنساناً صالحاً»، وكانت الأمة أمة فريدة في توحدها على عقيدة التوحيد.

وفي ظل حضارة الإسلام انعقدت الصلة بين الأرض والسماء، وبين الحياة الدنيا والآخرة، بين النشاط المالي والقيم الأخلاقية، وهذا أعظم ما يصل إليه الإنسان في الأرض، وبهذا يكون متحضراً.

ثانياً: الحضارة الإسلامية عالمية التوجه والمحتوى، أنشأت مجتمعاً جديداً يقوم على التعاون والتسامح والانفتاح على الآخرين، والتعايش السلمي مع الجميع سواء كانوا أفراداً أو جماعات أو دولاً. وللفقهاء كلام صريح في هذا الباب، حيث يؤكدون على إنسانية الإسلام وعالميته، فالفرد في نظرهم إما مسلم أو ذمي، وإما معاهد وإما محارب، وينسحب هذا التقسيم على الدول أيضاً، في معاملة الدولة الإسلامية لها، فيقال: دولة معاهدة أو محايدة أو محاربة.(٤)

ثالثاً: أنقذت الحضارة العربية الإسلامية العالم القديم مما كان يعيش فيه من فوضى واضطراب، وأنقذت الإنسان من الاستعباد والظلم الاجتماعي، وأشاعت المثل الأخلاقية الرفيعة، في عصر كانت تسوده شريعة الغاب «ففي القرنين الخامس والسادس ـ الميلاديين ـ كان العالم المتمدن على شفا جرف هار من الفوضى... وكان يبدو إذ ذاك أن المدنية الكبرى التي تكلف بناؤها جهود أربعة آلاف سنة مشرفة على التفكك والانحلال»(٥).

رابعاً: وصلت الحضارة العربية الإسلامية بين قديم الحضارات وجديده، بما حفظت من تراث الأقدمين وما أضافت إليه من صنع عبقريتها المبدعة في ميدان العلوم الطبيعية فضلاً عن إشاعة روح البحث العلمي، والنهوض بالآداب، وهذا موضوع مهم ويستلزم زيادة بيان وأفراد الحديث عنه ببحث مستقل ■

•• الهوامش ••

١ ـ أسد محمد، أصول حضارة الإسلام، بحث من كتاب «الإسلام والتحدي الحضاري» بأقلام عشرة من علماء الإسلام، دار الكتاب العربي، (بيروت، من دون تاريخ) ص ١٥ ـ ١٦

٢ ـ محمد أسد، أصول حضارة الإسلام، ١٦ ـ ١٩ باختصار

٣ ـ محمد أسد، ١٩ ـ ١٤، قطب، سيد، المستقبل لهذا الدين، ط١، دار الشروق (القاهرة ـ ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م) ص١٧

٤ ـ ينظر محمد رجب الكبيسي، السلام الدولي في الإسلام، ٢٢٨ ـ ٢٣٩

٥ ـ ديتون، العواطف كأساس للحضارة، نقلاً عن محمد قطب، واقعنا المعاصر، ٥٤٤

في سورة يوسف عليه السلام
دروس للشباب في كل زمان ومكان

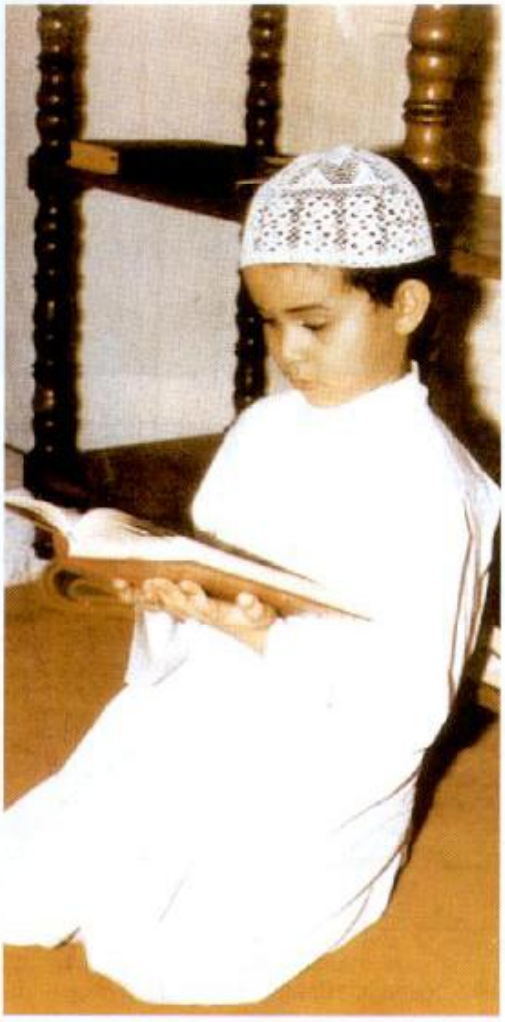

سورة يوسف وشخصيته غنيتان بالدروس والعظات والتأمل والتدبر وبخاصة للشباب لأنه واجه الأحداث والمحن المختلفة وهو شاب

بقلم:
د.علي
أحمد طلب

تمهيد

سورة يوسف من السور المكية، وتضم (١١١) آية، وهي السورة الثانية عشرة في ترتيب المصحف، والثالثة والخمسون في ترتيب النزول(١).

وفيها من خصائص القرآن المكي البدء بالحروف الهجائية (الر)، والحديث عن الأنبياء وقصص حياتهم، والاهتمام بالعقيدة، وأصول الأخلاق.

وتنتظم أحداثها بتفسير ثلاث رؤى: رؤيا يوسف عليه السلام، ورؤيا صاحبيه في السجن، ورؤيا الملك.

وقد تضمنت هذه السورة الكريمة قصة يوسف كاملة بكل تفاصيلها، ولم تذكر في غيرها من سور القرآن، كما لم يذكر اسم يوسف عليه السلام في غير هذه السورة إلا مرتين: مرة في سورة الأنعام: (ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين) الأنعام:٨٤، ومرة في سورة غافر على لسان مؤمن آل فرعون: (ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فمازلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولاً كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب) غافر: ٣٤.

ولم تذكر قصة نبي في القرآن بمثل ما ذكرت قصة يوسف عليه السلام، هذه السورة من الإطناب والتفصيل(٢).

ظروف نزولها

نزلت سورة يوسف بعد سورة هود، وقبل سورة الحجر، في الفترة ا

لحرجة بين عام الحزم بموت أبي طالب وخديجة، سندي رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين بيعة العقبة الأولى، ثم الثانية، اللتين جعل الله فيهما لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللعصبة المسلمة معه، وللدعوة الإسلامية فرجاً ومخرجاً بالهجرة إلى المدينة.(٣)

ففي الوقت الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعاني الوحشة والغربة والانقطاع في جاهلية قريش منذ عام الحزن، وتعاني معه الجماعة المسلمة هذه الشدة كان الله سبحانه يقص على نبيه الكريم قصة آخ له كريم: يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم - عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين - وهو يعاني صنوفاً من المحن والابتلاءات: محنة كيد الإخوة، ومحنة الجب والخوف والترويع فيه، ومحنة الرق وهو ينتقل كالسلعة من يد إلى يد على غير إرادة منه ولا حماية ولا رعاية من أبويه، ولا من أهله، ومحنة كيد امرأة العزيز والنسوة، وقبلها محنة ابتلاء الإغراء والشهوة والفتنة، ومحنة السجن بعد رغد العيش وطراوته في قصر العزيز، ثم محنة الرخاء والسلطان المطلق في يديه، وهو يتحكم في أقوات الناس، وفي رقابهم، وفي يديه لقمة الخبز التي تقوتهم، ومحنة المشاعر البشرية وهو يلقى بعد ذلك إخوته الذين ألقوه في الجب وكانوا السبب الظاهر لهذه المحن والابتلاءات كلها، هذه المحن والابتلاءات التي صبر عليها يوسف - عليه السلام - وزاول دعوته إلى الإسلام من خلالها، وخرج منها كلها متجرداً خالصاً لله معترفاً بفضله(٤)، قائلاً ما قصة القرآن على لسان: (رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين) يوسف:١٠١.

الخلوة بين الرجل والمرأة فرصة للإغواء الشيطاني سواء كانت في العمل أو في الخدمات المنزلية

أهم دروسها وعظاتها

وهذه السورة الكريمة - سورة يوسف عليه السلام - غنية بالدروس والعظات التي تستوجب التأمل والتدبر من أولي الألباب، الشباب منهم بخاصة: لأن يوسف عليه السلام واجه هذه الأحداث والمحن المختلفة وهو شاب.

ومن أهم هذه الدروس النافعة ما يلي:

١ - ثبات الصفات والطبائع في الفطرة الإنسانية التي فطر الله الناس عليها، فالناس هم الناس في كل زمان ومكان، بأحاسيسهم ورغباتهم، والله الذي خلقهم شرع لهم الدين الذي يصلح هذه الفطرة، ويضبط أحاسيسها ورغباتها، ويوجهها الوجهة النافعة التي تنمّي الحياة، وتحقق التعاون الإيجابي بين الناس: (فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) الروم:٣٠.

٢ - الغيرة والحسد والحقد والتآمر عناصر مترابطة يفضي بعضها إلى بعض مما يؤدي إلى إضعاف الإحساس بعاطفة الأخوة والتنكر لحقوقها: (يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً إن الشيطان للإنسان عدو مبين) يوسف: ٥.

٣ - إن الخلوة بين المرأة والرجل الأجنبي عنها تهيئ الفرص للإغواء الشيطاني سواء أكان ذلك في مجال العمل كأن يكون الرجل سكرتيراً للمرأة، أو كانت المرأة سكرتيرة للرجل، أو في مجال الخدمات المنزلية، أو الزيارات الأسرية أو غيرها. (وروادته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك) يوسف:٢٣، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول: «لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذي محرم»(١١).

٤ - إن الإيمان القوي ومراقبة الله في السر والعلانية، والإحساس بأنه - سبحانه - يسمع ويرى من أقوى الأسلحة في مقاومة الإغواء الشيطاني: (قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون) يوسف:٢٣، (ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) يوسف:٣٢.

٥ - إن الوفاء وكرم الأخلاق يقتضيان ألا يسيء العاقل إلى من أحسن إليه، (إنه ربي أحسن مثواي)، فالظاهر أن يوسف عليه السلام يقصد بكلمة «ربي» العزيز الذي أوصى امرأته بإحسان مثواه: (وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً) يوسف:٢١.

فإطلاق رب على السيد والراعي مألوف في هذه البيئة، وقد تكرر هذا اللفظ بهذا المعنى مرات عدة في هذه السورة: (أما أحدكما فيسقي ربه خمراً) يوسف:٤١، (ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن) يوسف:٥٠.

٦ - من يتق الله ويخافه يجعل له مخرجاً من كل ضيق، وفرجاً في كل شدة: (واستبقا الباب وقدّت قميصه من دُبُر وألفيا سيدها لدى الباب قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب أليم) يوسف:٢٥.

إن المرأة قلبت الحقائق عندما فوجئت بقدوم زوجها، واتهمت يوسف بمحاولة الاعتداء عليها، واقترحت سجنه أو تعذيبه، وكلامها - وهي سيدة البيت، وامرأة العزيز سيكون مصدقاً، وليس ليوسف من يشهد له أو يدافع عنه، ولكن الله الذي اعتصم به يوسف وأبى يوسف فعل الفاحشة خوفاً منه وطاعة له، هيأ له شاهداً أنصفه من حيث لا

يقصد، وهو شاهد لا شبهة في شهادته. إنه قريب زوجة العزيز: (وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين. وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين. فلما رأى قميصه قد من دبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم) يوسف:٢٦ ـ ٢٨.

٧ ـ المؤمن التقي يؤثر سجن الدنيا وعذابها على متعة محببة محرَّمة تورث عذاب الآخرة: (قال رب السجن أحب إليَّ مما يدعونني إليه) يوسف:٣٣.

٨ ـ أهمية اللجوء إلى الله والاستعانة به على دفع الشر، ومقاومة الفتنة: (وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين. فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم) يوسف:٣٣:٣٤.

٩ ـ الالتزام الخلقي سمة يتميز بها المؤمن في كل المجتمعات ومع اختلاف الأحوال، فيكون موضع ثقة من يعاشره أو يتعامل معه، فالفتيان اللذان دخلا مع يوسف السجن لجأ إليه وحده لتفسير ما رآه كل منهما في منامه لتميزه بالإحسان من بين المسجونين(نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين) يوسف:٣٦.

١٠ ـ المؤمن داعية إلى الله في كل المواطن والمواقف، فيوسف ـ عليه السلام ـ في سجنه دعا الفلامين اللذين قصداه لتفسير رؤياهما إلى دين الله الواحد، ومنحهما درساً مفيداً مقنعاً في عقيدة التوحيد: (يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار. ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) يوسف:٣٩ ـ ٤٠.

١١ ـ أهمية التلطف في الدعوة إلى الله لجذب قلوب من يدعوهم: «يا صاحبي السجن» ففي مخاطبتهما بهذا الوصف إشعار لما يقربه منهما، ومساواته لهما مما يفتح له قلوبهما فيأنسان به، ويستمعان باهتمام لما يقول.

١٢ ـ الإسلام هو دين التوحيد الذي أرسل الله به جميع الرسل: (إن الدين عند الله الإسلام) آل عمران:١٩. (فاطر السموات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين) يوسف:١٠١.

فيوسف ـ عليه السلام ـ يدعو ربه أن يتوفاه على دين الإسلام، وفي سورة البقرة يقول الحق سبحانه وتعالى: (أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون) البقرة: ١٣٣.

١٣ ـ أهمية التصدِّي لتحمل مسؤولية يأنس من نفسه التأهل لها، والقدرة عليها: (قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم) يوسف:٥٥. (وقال الذي نجا منهما وادَّكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون) يوسف:٤٥.

١٤ ـ مشروعية التحايل للوصول إلى هدف مشروع: (فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه ثم أذن مؤذن أيتها العير إنكم لسارقون) يوسف: ٧٠.

١٥ ـ الابتلاء كما يكون بالضر والمكر يكون بالخير ورفع القدر، وكلما علت منزلة العبد عند ربه عظم ابتلاؤه، وأشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل. فيوسف عليه السلام وهو ابن نبي وحفيد نبي، ويعده الله لأن يكون نبياً... ابتلي بغيرة إخوته، وكيدهم للتخلص منه، وإلقائه في السجن بعد أن ثبتت براءته، وكل ذلك ابتلاء بالبشر، كما ابتلي بالنشأة المرفهة في بيت عزيز مصر، وبعد خروجه من السجن معززاً مكرماً، تعرف إليه الملك، وقرَّبه منه: (قال إنك اليوم لدينا مكين أمين. قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم، وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء) يوسف:٥٤ ـ ٥٦)، وهذا ابتلاء بالخير

١٦ ـ المؤمن واثق من عون الله، يأمل الخير، ويرجو الفرج، ولا يعرف اليأس طريقاً إلى قلبه: (يا بنيَّ اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون) يوسف:٨٧.

١٧ ـ الإحسان إلى من أساء، والعفو عند المقدرة: (قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين) يوسف:٩٢. (قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين. قال سوف أستغفر لكم ربي إنه هو الغفور الرحيم) يوسف: ٩٧ ـ ٩٨.

١٨ ـ بر الوالدين والإحسان إليهما، وتقديرهما: (فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين. ورفع أبويه على العرش) يوسف: ٩٩ ـ ١٠٠.

١٩ ـ شكر النعمة، وتذكر فضل الله ولطفه، والتضرع إليه بطلب حسن الخاتمة والإلحاق بركب الصادقين.

٢٠ ـ إن الله كريم لا يضيع أجر من اتقاه وصبر على ابتلائه، وكان من المحسنين: (قد منَّ الله علينا إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين) يوسف:٩٠ ■

•• الهوامش ••

١ ـ تفسير التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ج١٢ ص١٩٧.
٢ ـ التحرير والتنوير ١١٧/٢
٣ ـ في ظلال القرآن الكريم للأستاذ سيد قطب ٦٥٩/٤.
٤ ـ المرجع السابق ٦٦١/١
٥ ـ أخرجه البخاري في كتاب النكاح ٢٥٣٣، وأخرجه مسلم أيضاً من حديث ابن عباس.

كيف تمتلك الصحة النفسية؟

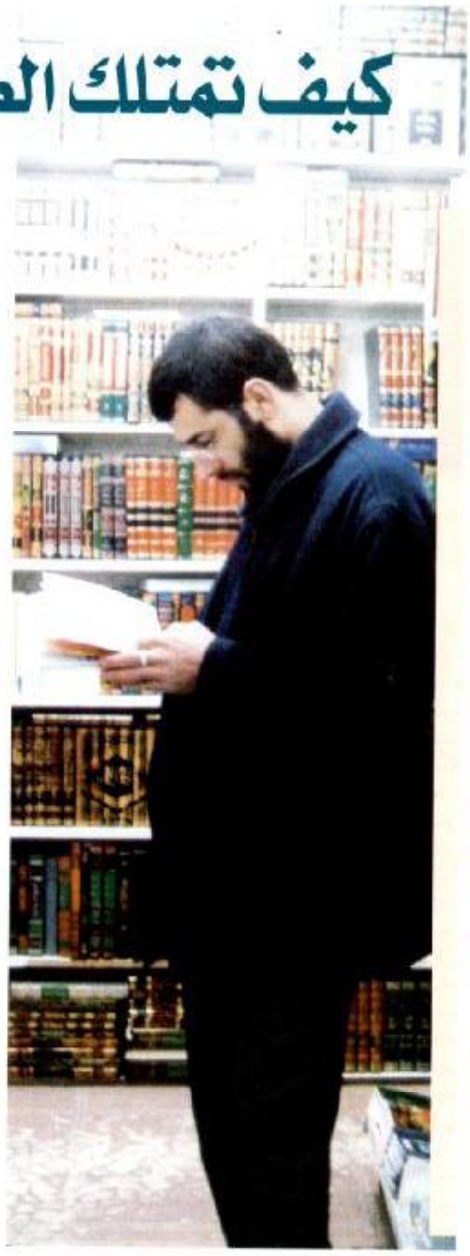

الإنسان ذو طبيعة مزدوجة فهو مكوّن من قبضة طين ومن نفخة روح. قال تعالى: (إذ قال ربُّك للملائكة إنّي خالق بشراً من طين. فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) (ص: ٧١ ـ ٧٢). ولقد اهتم الدين الإسلامي بالجانبين: الطين والروح، أي: الجسد والنفس، أما الجسد فإن معالمه أوضح، وعناصره محددة لذلك، فإن التعامل معه أسهل، وقد وردت آيات عدة وأحاديث تحدد كيفية التعامل معه منها قوله تعالى: (يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحبُّ المسرفين) الأعراف:٣١، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه فإن كان لابد فاعلاً فثلث لطعامه، وثلث لمائه، وثلث لهوائه». وجاءت أوامر الوضوء والاغتسال كشروط لأداء الصلاة لكنها تحقق ـ في الوقت ذاته ـ هدفاً دنيوياً آخر هو تنظيف الجسد والمحافظة على سلامته، كما جاءت سنن الفطرة التي تشمل الختان والاستحداد وتقليم الأظفار وإعفاء اللحية التي ذكرتها كتب السنة، لتزيد الحياة جمالاً وطهارة ونظافة، ولا نريد أن نفصل في مجال الجسد لأنه ليس مجال بحثنا الآن، لكن لابد من الإشارة البسيطة إليه، وإلى كيفية التعامل معه، لأن هذه الصورة من التعامل تؤثر في الصحة النفسية للمسلم.

أما الروح فهو جانب أعقد وأغمض في الإنسان لذلك قال تعالى: (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) الاسراء:٨٥، هذا عن حقيقة الروح وماهيتها، أما جانب دور الروح ووظائفها فذلك أوضح، فقد وردت ألفاظ تدور في الإطار نفسه تشكل منظومة متكاملة مع الروح وهي ألفاظ «النفس، القلب، العقل، الفؤاد»، ويوجّه جميعها الجانب غير المحسوس من الإنسان وهو الجانب الأهم من مثل الأمور النفسية والعاطفية: كالحب، والرجاء، والخوف، والتعظيم، والشفقة، والتواكل إلخ.... ومن مثل الأمور التفكيرية: كالتذكر، والفهم، والتعميم، والتحليل، والتركيب إلخ...

ومما يشير إلى أهمية النفس وقوع القسم بها فقد قال تعالى: (ونفس وما سواها. فألهمها فجورها وتقواها. قد أفلح من زكاها. وقد خاب من دسّاها)

> **النفس الإنسانية لا تنتقل من حال إلى حال أعلى منها إلا بعد كثير من الطاعات والمجاهدات والعبادات والقربات بما فيها من صلاة وصوم وصدقة**

بقلم: غازي التوبة

altawbah939@hotmail.com

الشمس: ٧ - ١٠، لأن الله لا يقسم إلا بما هو كبير وعظيم وشريف ومهم.

وبيّن لنا القرآن الكريم أن النفس تمرّ بثلاث حالات:

الأولى: الأمر بالسوء، فقال تعالى: (وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء) يوسف:٥٣، وهي الحال التي تأمر النفس فيها صاحبها بارتكاب المعاصي والمنكرات، والوقوع في القبائح، وتنهاه عن الطاعات والمروءات، وتستجيب لدواعي الأهواء والشهوات، وتخضع لنزعات الشيطان وإغراءاته، وهي الحال الأدنى.

الثانية: لوم الذات ومحاسبتها، فقال تعالى: (ولا أقسم بالنفس باللوامة) القيامة:٢، وهي الحال التي تلوم النفس فيها صاحبها على فعل الخير وفعل الشر، وقد وضح ابن عباس رضي الله عنه ذلك فقال: «هي التي تحاسب صاحبها على فعل الخير: لماذا لم أستزد منه؟ وعلى فعل الشر: لماذا وقعت فيه؟»، وهي حال متقدمة على الحال التي سبقتها.

الثالثة: اطمئنان النفس: قال تعالى: (يأيتها النفس المطمئنة، ارجعي إلى ربك راضية مرضية. فادخلي في عبادي. وادخلي جنتي) الفجر: ٢٧ - ٣٠، وهي الحال التي اطمأنت فيها النفس أن الله - تعالى - حق، وإلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم حق ومبعوث لهداية العالمين، وإلى أن القرآن الكريم حق، فعملت بتعاليم الإسلام، وأيقنت باليوم الآخر، واستسلمت لقضاء الله وقدره إلخ.... وهي الحال الأعلى.

ومن الوضح أن هناك تدرجاً بين الحالات الثلاث، وأن النفس لا تنتقل من حال إلى ما هو أعلى منها إلا بعد كثير من الطاعات والعبادات والمجاهدات والقربات من صلاة وصيام وذكر وصدقة إلخ...

وقد حدثنا القرآن الكريم والسنة المشرفة كثيراً عن النفس البشرية، وبيّن لنا معالمها، وقدّم تفاصيل دقيقة عنها من أجل أن نحسن التعامل معها، ومن المتيقن أن هذا التشريح للنفس البشرية سبق الاهتمام الغربي بتكوين «علم النفس»، والذي بنى «فرويد» قسماً كبيراً منه على دراسة حالات مرضية لبعض الأشخاص، وتوصل إلى تصور غير صحيح للنفس البشرية، حيث اعتبر أن الجنس - وحده - هو الطاقة المحركة للإنسان، واعتبر أن كل علاقة للولد بأمه هي علاقة جنسية من خلال «عقدة أوديب»، واعتبر - كذلك - كل علاقة للبنت بأبيها هي علاقة جنسية من خلال «عقدة ألكترا».

تلك بعض الآراء التي توصّل لها الغرب عن النفس البشرية عند أبرز عالم عندهم هو «فرويد»، وهي آراء شاذة ومبالغ فيها وغير دقيقة، لذلك جاءت معالجات «فرويد» لهذه النفس البشرية خاطئة وتتلخص في إطلاق الإباحية الجنسية للفرد من أجل عدم الوقوع في الكبت الجنسي، ناسياً أن العفة لا تعني كبتاً بل تعني ضبطاً للطاقة الجنسية وهو في مقدور الإنسان، ولا شك أن الخطأ في المعالجة أمر طبيعي طالما أن هناك خطأ في التصور.

والآن بعد هذا الوصف السريع لنموذج خاطئ في تصوره للنفس البشرية ومعالجته لها، ما معالمها حسب الطرح الإسلامي؟

تتكون النفس البشرية حسب الطرح الإسلامي من الطاقات التالية:

أولاً: طاقة الحب

طاقة الحب عميقة في الكيان الإنساني، فقد بيّن الله لنا أن هذه الطاقة تتجه إلى حب الله فقال تعالى: (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين) المائدة:٥٤، وقال تعالى أيضاً: (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله) البقرة:١٦٥، وتتجه إلى الشهوات فقال تعالى: (زُيّن للناس حُبُّ الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسوّمة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حُسن المآب) آل عمران:١٤، ومما تجدر الإشارة إليه أن الدين الإسلامي أباح للمسلم أن يحب الآباء والأبناء والإخوان والأزواج والعشيرة والتجارة والمال والمساكن، لكنه طلب منه أن يكون حبه لله ورسوله أكثر من هذه المحببات فقال تعالى: (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزوجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربّصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين) التوبة:٢٤.

ثانياً: طاقة التعظيم والخضوع

الإنسان مفطور على تعظيم شيء أو أشياء - وبالتالي - الخضوع لها. والذي يعظمه الإنسان

الروح ينضوي تحتها النفس والعقل والفؤاد وهذه جميعها توجه الجانب الأهم غير المحسوس من الإنسان

يخضع له، وكل شيء يخضع له لابد من أن يكون عظيماً عنده، وأول شيء مفطور على تعظيمه هو الله . تعالى . وحده، لذلك دعا الله سبحانه وتعالى الرسول في أوائل القران الذي تربى عليه إلى تعظيم الله وتكبيره فقال تعالى: (يأيها المدثر . قم فأنذر . وربك فكبّر) المدثر: ١ . ٣، والتدين هو تعظيم الله . تعالى . وتقديسه، وتنزيهه عن كل شبيه أو مثيل وتوحيده وهو الذي يولد عليه المولود كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه».

ثالثاً: طاقة الخوف والرجاء

الإنسان مفطور على الخوف والرجاء، لابد من أن يخاف لذلك قال تعالى: (إن الإنسان خلق هلوعاً . إذا مسّهُ الشر جزوعاً . وإذا مسّه الخير منوعاً) المعارج: ١٩ . ٢١، لذلك طلب القرآن من المسلم أن يوجّه خوفه(١) إلى مقام الله وعذاب الله فقال تعالى: (وأما من خاف مقام ربّه ونهى النفس عن الهوى. فإن الجنة هي المأوى) النازعات: ٤٠، ٤١، وقال تعالى: (ولمن خاف مقام ربه جنتان) الرحمن:٤٦، وطلب القرآن الكريم من المسلم كذلك أن يوجّه رجاءه إلى الله وجنته فقال تعالى: (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يُشرك بعبادة ربه أحداً) الكهف:١١٠، وقال تعالى: (أمّن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربّه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) الزمر:٩.

والآن بعد هذا التوضيح لخريطة النفس الإنسانية كيف تمتلك . أخي المسلم . الصحة النفسية؟ تمتلك . أخي المسلم . الصحة النفسية إذا سارت كل طاقة في مجراها السليم، فطاقة الحب يجب أن تتجه إلى حب الله . تعالى . لأنه هو الذي انعم عليك بنعمة الإسلام والإيمان والصحة والولد والمال إلخ... ويجب أن تتجه إلى ترجيح كفة حب الله على كل محبوبات الدنيا بمعنى أن تحكم شرع الله في حب الأموال والتجارة والعشيرة والزوج والولد والوالد والأخ. فتحل ما أحل الله في هذا الحب، وتحرّم ما حرم الله، فتكسب المال عن طريق البيع وتبتعد عن الربا، وتقيم العلاقة مع الأنثى من خلال ميثاق الزواج وليس عن طريق المخادنة والسفاح والزنى، وتجعل علاقتك مع العشيرة من خلال الإيمان بالله وليس من خلال العصبية الجاهلية، ولا أن توالي الوالد والإخوان إن استحبوا الكفر على الإيمان، كما قال تعالى: (يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبُّوا الكفر على الإيمان) التوبة:٢٣.

طاقة الحب عند المسلم يجب أن تتجه إلى حب الله لأنه هو الذي أنعم علينا بنعمة الإسلام والإيمان والصحة والولد والمال

أما طاقة التعظيم والخضوع فيجب أن تتجه إلى تعظيم الله والخضوع له، بمعنى أن تعظم كلام الله وأوامره ونواهيه وحلاله وحرامه وأنبياءه وبيوته إلخ... وأن تخضع له فتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج إلى بيت الله الحرام إلخ...

أما طاقة الخوف والرجاء فيجب أن تتجه إلى الخوف من الله وإلى رجاء الله، بمعنى أن تخاف مقام الله وناره التي وقودها الناس والحجارة، وأن شررها كالقصر، وأنها تسأل هل من مزيد، وأنها تتميز من الغيظ، وأن الكافر تمنى من شدة عذابها ألا يكون قد استلم كتابه، ولا عرف حسابه، وأنه هلك قبل ذلك، ويتحسر حيث لم يعد يفيده ماله ولا سلطانه، وأن الكافرين يلفح وجوههم رياح السموم الحارة، وأنهم يستظلون بظل لا بارد ولا كريم إلخ... وأن ترجو عطاء الله غير المحدود وكرمه الذي لا ينتهي، وعفوه، ومغفرته، وجنته التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وفيها الحدائق والأعناب، والكواعب الأتراب، وفيها القول السلام إلخ... لا أن ترجو المخلوقين الضعفاء المحتاجين من أمثالك ■

•• الهامش ••

١ . ينتقد بعض الكتاب الدعاة عندما يتحدثون عن رجاء الجنة وخوف النار، فيقولون للدعاة: لا تخوفوا الناس، وفي الحقيقة لا يخوّف الدعاة الناس، لأن الناس واقعون في الخوف وهذه فطرة، لكن الدعاة يوجهون خوفهم إلى أمر حقيقي وهي النار بدلاً من أن يخافوا أموراً وهمية مثل الخوف على الصحة والمال والولد والسيارة إلخ . فإن ما سيحدث للإنسان في هذه الأمور مقدّر ومكتوب قبل أن تخلق السماوات والأرض، وأي خوف لن يؤثر فيما هو مُقدّر، ويمكن أن نقرب الموضوع بمثال عن أمر فطري آخر، وهي شهوة النساء، فإنت عندما عن النساء لا تكون قد وُلدت عندك هذه الشهوة فهي موجودة عنده وهو مفطور عليها، فإما أن تحصّنه حديثاً إيجابياً في كيفية توجيه هذه الشهوة إلى مسارات صحيحة وسليمة، وإما أن تحصّنه حديثاً سلبياً بأثر شهوته ويعود بالضرر عليه وعلى غيره

الغزو الثقافي للعالمين العربي والإسلامي هل هو خرافة؟

> الأزمة تكمن في قنوات الفكر ووسائل الإعلام ومؤسسات التعليم والتنشئة الاجتماعية وغيرها من روافد المعرفة في عالمنا العربي والإسلامي

بقلم: أ.د.محيي الدين عبد الحليم

كثر الحديث عن الغزو الفكري للعالمين العربي والإسلامي، وانعقدت الكثير من الندوات والمؤتمرات التي تتناول هذا الموضوع، بل بدأت الجامعات ومراكز البحوث تفسح المجال لتسجيل درجات علمية في الماجستير والدكتوراه لدراسة هذه القضية. وراحت المؤسسات التربوية والتعليمية تتحدث عن أسلوب مواجهة هذا الاختراق الثقافي. ووجهت المؤسسات الدينية تحذيرات شديدة إلى المسلمين لمواجهة هذا الخطر المقبل من الغرب الذي تحمله القنوات الفضائية والأقمار الصناعية وشبكة المعلومات الدولية ولا سيما أن السماوات أصبحت مفتوحة لبث واستقبال الرسائل التي تحمل سلوكات وطرائق غريبة للحياة لا يقف في طريقها سدود أو حدود، ومعوقات طبيعية أو صناعية، وكأنما أصبحت هويتنا في مهب الريح، فسوف تنقل هذه الوسائل الإباحية والعنف والجريمة والتقاليد الأجنبية لتهدم عقول الجماهير، وتحولهم إلى نماذج ممسوخة أو صور مشوهة لما يدور في العالم الغربي.

وفي الحقيقة أن هذه المعالجات تنطوي على مبالغة وتضخيم لا معنى لهما وأوهام لا تستند إلى منطق، وتعكس سطحية في التفكير وسذاجة في التحليل لأن الدراسات العلمية تؤكد أن القنوات الفضائية وشاشات التلفاز وأجهزة البث الإذاعي أو ما نسميه الآن بوسائل الاتصال الجماهيري لا تستطيع أن تغير اتجاهات أو تزرع أفكاراً أو تقضي على عادات ترسخت سلفاً في أذهان الجماهير وأصبحت جزءاً من بنائهم الفكري والعقدي.

ولو كانت هذه المخاوف تستند إلى رؤية علمية لاستطاعت الدول الاستعمارية التي احتلت العالم الإسلامي قروناً كثيرة أن تمحق الفكر وتذيب الشخصية المسلمة، ولا سيما أن هذه الدول كانت تمسك بتلابيب العرب والمسلمين، وتسيطر على مؤسساتهم الاقتصادية والسياسية، كان الحكم بأيديهم، وكانت جيوشهم تحتل الأراضي العربية احتلالاً كاملاً، ولكن هذه الدول لم تستطع أن تذيب الشخصية العربية المسلمة، بل على العكس من ذلك، فكلما زادت سيطرتهم على مقادير الأمور كلما زاد تشبث العرب بقوميتهم وتمسك المسلمين بدينهم.

ويرجع ذلك إلى أن قيادات الرأي وزعماء الفكر وعلماء الدين كانوا يسهمون بدور فاعل في الحفاظ على كيان لأمة، وغرس القيم الثقافية في المدارس والكتاتيب ومؤسسة التنشئة الاجتماعية، حتى تغلغل الفكر الديني في قلوب الجماهير وأمدهم بطاقة هائلة مكنتهم من مواجهة الغزو الاستعماري للعالم الإسلامي بشقيه الاقتصادي والثقافي.

ولو صحت هذه الأوهام لاستطاع الاتحاد السوفييتي أن يقضي على الهوية العقدية للشعوب الإسلامية التي حكمها بالحديد والنار، فبعد سبعين عاماً من الحكم الشيوعي الشمولي المستبد عادت الجمهوريات الإسلامية لترفع شعار الإسلام وتلفظ كل ما تلقته من دروس وتعليمات في معاهد الإلحاد الماركسية التي أنشئت خصوصاً لهذا الغرض، ولاستطاع الاستعمار «الفرنسي» الاستيطاني أن يطمس الهوية الجزائرية، ولكن عادت الجزائر تحمل شعار العروبة والإسلام متحدية حملات التغريب التي استهدفتها، ولعل الحرب التي دارت في «كوسوفا» والصراع الذي دار من قبل في «البوسنة والهرسك» تؤكد هذه الحقيقة، فلم يستطع الجنرال «تيتو» حاكم «يوغوسلافيا» السابق و«سلوبودان ميلوسوفيتش» الحاكم التالي أن يطمس الهوية الإسلامية في منطقة البلقان، بل ازدادت الجماهير هناك تشبثاً بعقيدتها وتمسكاً بتراثها، ولم تفلح حملات الإبادة الجماعية في تخويف وإرهاب المسلمين هناك بل زادتهم عناداً وإصراراً وعشقاً لدينهم وتراثهم.

وحقيقة الأمر أن الأزمة تكمن في قنوات الفكر ووسائل الإعلام ومؤسسات التعليم

المعالجات تنطوي على مبالغة وتضخيم لا معنى لهما وأوهام لا تستند إلى منطق، وتعكس سطحية في التفكير

والتنشئة الاجتماعية وغيرها من روافد المعرفة في عالمنا العربي والإسلامي، ذلك أن هذه المؤسسات في حاجة إلى وقفة أمينة لتقويم أعمالها ودراسة الدور الذي تؤديه في بناء الإنسان بعد أن أكدت الكثير من الدراسات أن هذه المؤسسات لا تكاد تنهض بالمسؤليات الحيوية المنوطة بها على الوجه الأكمل، فهناك اختلال واضح في المضمون الذي تقدمه وسائل الإعلام العربية ولا سيما أن هذه الوسائل تخضع خضوعاً شبه كامل للأنظمة التي تديرها وتمولها، فتسمح ببث ما يتوافق مع توجهاتها وأغراضها، حتى في مجال الفتاوى الدينية، حيث يتم توظيفها لخدمة الأغراض السياسية، فلم نشهد مفتياً في دولة عربية أو إسلامية خرج برأي يخالف اتجاه السياسة الرسمية للدولة التي يعيش فيها حتى لو كانت هذه السياسة تمارس أعمالاً عدوانية وانتهاكات صارخة لحقوق الإنسان، وتقضي على الحرية وتقتل الإبداع، وأبرز مثال لذلك ما حدث في حرب الخليج، فالدول التي أيدت العدوان العراقي على الكويت أجبرت علماء الدين ورجال الإعلام وقادة الفكر أن ينهجوا النهج السياسي الذي يتفق مع السياسة الرسمية لهذه الدول، والعكس صحيح بالنسبة للدول التي وقفت موقفاً مخالفاً ورافضاً لهذا العدوان، ونحن لا نعترض على السياسة الرسمية إذا كانت تنسجم مع العقل والمنطق وتراعى مصلحة الأمة وتحافظ على حقوق أبنائها، ولن يتحقق ذلك إلا إذا خضعت هذه السياسة الرسمية لصوت العقل والضمير، وخلعت عن نفسها ثوب التسلط والاستبداد وقهر إرادة الآخرين ونهجت النهج الديموقراطي الصحيح، وجعلت الشورى هي الشكل الذي يحكم مسيرة الحياة

قيادات الرأي وزعماء الفكر وعلماء الدين أسهموا بدور فاعل في الحفاظ على كيان لأمة

وتظام الحكم، وأفسحت المجال لمختلف الأفكار والآراء والقيادات لكي تدلي بدلوها في صنع القرار.

ولو اضطلعت أجهزة الإعلام العربية المسلمة بالدور المنوط بها في بناء طفل اليوم ورجل المستقبل، وكان الأب قدوة لأبنائه في القول والسلوك، وأسهمت الأم في إرضاع أبنائها قيم العدل والفضيلة والأخلاق، وقام الأب والأم معاً بتقويم سلوك الأبناء وحمايتهم من الشرور والرذائل، وتحملت هذه الجماعة الأولية وهي الخلية الأولى في سلم الحياة الاجتماعية التي حملها الله إياها في تربية الأبناء تربية صحيحة لما استطاعت قنوات الاتصال وعوامل التأثير الخارجية أن تخترق هذا البناء الصلب، وتغير اتجاهه أو تعدل سلوكه لأن الأبناء وقد تملكتهم غريزة التقليد يحاكون آباءهم في القول والفعل وفي طرائق الحياة، ولا يجدون أمامهم سوى الأسرة ومؤسسات التنشئة الاجتماعية يستقون منها قيم الخير أو الشر، ويكفي أن نعرف أن السنوات الأربع الأولى من حياة الطفل يتم فيها تشكيل أكثر من ٤٠٪ من شخصيته، فالمعارف والقيم والعادات والتقاليد والسلوكات التي يكتسبها الطفل في هذه السنوات يصعب انتزاعها بعد ذلك بفعل عوامل خارجية أو معارف وافدة، بل على العكس من ذلك ستتكون لدى الأطفال واليافعين والشباب القدرة الانتقائية التي تمكنهم من الاختيار والمقارنة، فهل نجحنا في إيجاد أسر عربية مسلمة ومؤسسات تربوية تحقق الغرض وتحافظ على الهوية الثقافية والفكرية لأبناء الأمة؟، وإذا كان الرد بالإيجاب فلماذا هذا التسيب وهذا الانفلات الذي ينتشر بين قطاعات عريضة من اليافعين والشباب؟ وهل استطعنا أن نصلح مؤسساتنا التعليمية والتربوية لكي تقدم للأطفال والشباب الزاد الفكري والثقافي الذي يمكنهم من الحكم على المستجدات التي تحملها قنوات الاتصال الأجنبية والوافدة؟.. هل يؤدي المعلم بالفصل الدراسي الواجب الذي يفرضه عليه الدين والخلق والضمير، باعتباره صاحب رسالة مقدّسة هي أقرب لرسالة الأنبياء والقديسين، أظن أننا لو نجحنا في ذلك لأصبح الغزو الثقافي مجرد خرافة من الوهم والخيال لن يستطيع أن يؤثر على هوية الأمة أو يخترق عقلها وضميرها ■

عسل النحل وسمه... غذاء ودواء

> منتجات النحل من الأساسيات للجهاز المناعي كمادة غذائية وكمواد إضافية طبيعية ليس لها أضرار جانبية أو آثار تراكمية

بقلم: د.فاتن أحمد غازي

عجيب صنع الخالق في النحل وما يخرج منها فقد حباها الله عز وجل بدلائل قدرته التي جاءت في السورة رقم (١٦) والتي سميت باسمها «سورة النحل» حيث يقول سبحانه وتعالى في كتابه العزيز في الآية ٦٨ من سورة النحل: {وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون}. ثم قال سبحانه وتعالى في الآية ٦٩ من السورة نفسها: {ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللاً يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون}.

إن هذه الآية القرآنية التاسعة والستين من سورة النحل تضم نقاطاً كثيرة كلاً منها يحتوي سبقاً علمياً وذلك بالقراءة المتأنية المتمعنة. فلقد وردت لفظة «شراب» في هذه الآية، من دون أداة التعريف «أل» ويدل هذا على إطلاق المعنى على كل ما هو شراب أو سائل يخرج من أجسام النحل أي أن هذه اللفظة ذات مدلولات كثيرة وليس مدلولاً واحداً، وهكذا الحال بالنسبة للوصف الوارد في الآية الكريمة «مختلف ألوانه» وقد فهم الناس قديماً أن الألوان المختلفة هنا تعني ألوان العسل وهذا فهم صائب ولكن اللغة العربية غنية بمكوناتها، ومن هذه المكونات المعاني المجازية للفظ. فالألوان في اللغة العربية قد تعني الأنماط والأشكال. وذلك إضافة إلى معناها الصريح المباشر وهو الألوان التي ترجمتها الإنجليزية «colours» وزيادة في تأكيد المعنى الذي نذهب إليه، فإن الله سبحانه لم يقل: «عسل مختلف ألوانه»، وإنما قال سبحانه: {شراب مختلف ألوانه}، وذلك ليدفع الناس إلى البحث عن كل ما هو ذو صفة شراب ويخرج من بطون النحل.

وبعض الناس يقول: «إن الله لم يقل شراب مختلف أنواعه»، بل قال: «مختلف ألوانه» وهذ يؤدي معنى أن الشراب واحد وإنما الألوان فقط هي المختلفة، وبالتالي يدللون على ما ذهبوا إليه في فهم «شراب» بالعسل، لكننا نكرر أن اللغة العربية تعني أن لفظة «ألوان» هي الأنواع أو الأنماط أو الضروب أو الأشكال وذلك إلى معناه الحقيقي الصريح المباشر.

وعسل النحل هو أشهر منتجات النحل، وقد عرفه الإنسان منذ القدم وهو سائل يدخل في تركيبه أكثر من ٧٠ مادة مختلفة، وتتباين خواص العسل تبعاً لأنواع الأزهار والأشجار التي جمع النحل منها الرحيق وتبعاً للإقليم من الأرض الذي تقع فيه هذه النباتات.

كما تختلف خواص العسل تبعاً لسلالته وللظروف الحيوية السائدة أيام جمعه للرحيق، والعسل أنواع وإن شئت قلت منه ألوان، فهناك عسل البرسيم الحجازي أي العسل الذي نتج من جمع الرحيق من أزهار البرسيم الحجازي، وهناك عسل القطن، وعسل كرنب الشلجم، وعسل الخلنج وعسل التفاح وغيره، وهكذا يرجع العلماء ألوان العسل لا إلى أنواع الأزهار، وإنما إلى نوع السكريات الموجودة بالعسل، وخصوصاً أن كل نوع من أنواع السكر في العسل يجعل شعاع الضوء المستقيم الساقط عليه ينحرف بزاوية خاصة مختلفة عن الآخر، فسكر الجلوكوز ينحرف شعاع الضوء إلى اليمين، ويقال له إنه سكر يميني، وسكر الفركتوز ينحرف شعاع الضوء إلى الشمال أو اليسار، ويقال له إنه سكر يساري.

٥٠٠ مرض.. دواءهم عسل النحل

ومنتجات النحل هي ثمانية أنواع. وليس العسل فقط كما هو شائع، وقد حباها الله جل جلاله بفوائد علاجية وغذائية متعددة لما تحتويه من التراكيب والعلاجات الدوائية والشفائية في علاج أكثر من ٥٠٠ مرض حتى الآن. ومعروف أن الفراعنة هم أول من بدأ العلاج بمنتجات النحل واستخدموها كذلك في التجميل وكيف أنها غذاء ودواء وهي لا تضر إذا لم تنفع، لأن في كل منتج من منتجات النحل توجد مادة فاعلة حافظة وشافية يعجز الإنسان أمامها وينعني إجلالاً لقدرة الله تعالى.

وعن تأثير منتجات النحل في مرض نقص المناعة فقد تبين أن الخلل في المناعة يحدث إما نتيجة لنقص مورث أو بسبب نقص مكتسب من الأمراض التي يتربع على قمتها «الإيدز» - الذي لفت الانتباه إلى أهمية علم المناعة - وأسباب حدوث نقص المناعة هو الملوثات المتعددة سواء كانت ميكروبية مثل: «الفيروسات - الفطريات - البكتيريا» أو الطفيليات غير الميكروبية. ثم تأتي المبيدات الحشرية، وعوادم السيارات، مواد الأملاح الثقيلة، مكسبات الطعم ورائحة الألوان التخليقية وليست الطبيعية وكلها تثبط من عمل الجهاز المناعي في الجسم وتقلل من كفاءته وعلاج ذلك هو رفع كفاءة الجهاز المناعي بتحفيزه إما بالغذاء أو ببعض المنتجات التي تضاف إليه.

وتعد منتجات النحل من الأساسيات للجهاز المناعي كمادة غذائية وكمواد إضافية طبيعية ليس لها أضرار جانبية أو آثار تراكمية كما يحدث في بعض المواد التخليقية، وهي تعد للجهاز المناعي للجسم بمثابة علاج ناجح لمن يشكو نقص المناعة بالإضافة إلى تنشيطها لأجهزة الجسم الأخرى.

ويطلق على عسل النحل المنتج الشائع للنحل «غذاء الحياة» أو «الغذاء الحيوي» لاحتوائه على المعادن والفيتامينات والأحماض الأمينية والأنزيمات بالإضافة إلى مركبات عضوية أخرى تختلف من عسل لآخر مصدره النباتي، لأن النحل يتغذى على رحيق أزهار النباتات ولاحتوائه كذلك على السكريات «جلوكوز - فركتوز - سكروز - سكريات أخرى»، ويساعد الجلوكوز فيه على امتصاص عنصر الكالسيوم للجسم بزيادة ٢٥٪، بينما يعوق السكر العادي امتصاصه ولذلك تضعف العظام، كما يساعد الفلوكوز الذي بالعسل أيضاً على امتصاص عنصري «الزنك والمجابنزيوم»، وعسل النحل يعمل كمضاد ميكروبي قوي لأنه يكون فوق أكسيد الهيدروجين بعد تخفيف العسل وينصح دائماً بتخفيفه قبل تناوله في نزلات البرد والأنفلونزا.

وعن الفاعلية البيولوجية لبعض أنواع العسل فإنه يمنع تصلب الشرايين، ومضاد للالتهاب، ومضاد للبكتيريا والفيروسات، ويساعد في علاج قرحة المعدة لفاعليته المضادة للميكروبات، حيث إن سبب قرحة المعدة - كما اكتشفت حديثاً - هو ميكروب يسمى «هليكوباكتربيلوري» كما أنه يخفف معظم التهابات الفم ويزيد من مناعة الجسم ويساعد في علاج معظم أمراض الجهاز التنفسي مثل التهاب الشعب الهوائية والربو الشعبي والتهابات الجيوب الأنفية والحنجرة والغشاء المبطن للأنف.

وكما قلنا فإن عسل النحل يرتبط في أنواعه باسم المحصول الذي يتم قطفه فنجد مسمياته تدعى «عسل البرسيم» (النوارة) وعسل القطن، وعسل الموالح». وكلها مفيدة من الناحية الغذائية لاحتوائها على الأنزيمات والأحماض الأمينية والفيتامينات والمعادن ولكن مع تفاوت نسب هذه المركبات من عسل لآخر.

أما عن استخداماتها العلاجية فهي تختلف من نوع لآخر أيضاً، ويختلف التأثير البيولوجي لهذه الأنواع على الإنسان لاختلاف المركبات العضوية، فمثلاً يتميز عسل الموالح «فلافون» Hesperetin الذي له مفعول قوي مضاد للفيروسات ومضاد أيضاً للميكروبات، وبينما يحتوي عسل النوار على مركبات أخرى لها تأثير مضاد للميكروبات.

والعسل هو الغذاء الوحيد الذي يوجد فيه مادة الحديد، فإذا ما تناول الإنسان العسل واللبن ففيه الكفاية كغذاء متكامل وفيه بروتينات ودهون وسكريات، وسكريات العسل تتميز بأنها أحادية تمتص لمجرد تلامسها للخلايا المباشرة في الفم عن طريق الأمعاء، والعسل هو الغذاء الوحيد المهضوم طبيعياً.

السم المفيد

ومن منتجات العسل الثمانية الأخرى سم النحل... وهو سائل شفاف يجف بسرعة حتى في درجة حرارة الغرفة، ورائحته نفوذه عطرية لاذعة، طعمه مر، فيه أحماض «الفورميك» و«الأيدروكلوريك» و«الرئوفوسفوريك»، وكذلك «هتافين» و«كولين» و«ستريتوفان» و«كبريت» و«نحاس» و«مغنسيوم»، وكذلك كميات كبيرة من البروتينات والزيوت الطيّارة والأنزيمات. ويخرج سم النحل من آلة اللسع الموجودة في مؤخرة البطن وهي الآلة التي تدافع الشغالة بها عن نفسها فتلسع من يريد بها سوءاً.

إن سم النحل يعد ثورة علاجية بمفرده في عالم العلاج وتحسين كفاءة الجسم ويحتوي على ٧٨ مركباً دوائياً وهو يتربع على قمة منتجات النحل التي تحفز الجهاز المناعي وتعدله، بالإضافة إلى تحفيزه للدورة الدموية وتحسين التوصيل العصبي الحسي والحركي، ويخرج «الكورتيزون» الذاتي من الجسم ويستخدم في علاج «الروماتويد» وفي الإيدز وفي مجال طب العيون، وأخيراً تم الإعلان عن طريق الإنترنت عن استخدام قطرة من سم النحل لعلاج بعض أمراض العيون في كندا وأميركا.

أيضاً من منتجات النحل، غذاء ملكات أو «الهلام الملكي»: هو سائل أبيض اللون يسمى أيضاً «لبن النحل»، لأنه يشبه اللبن الكثيف أو القشدة تنتجه فتيات النحل أي الشغالات الشابة، من أجل إطعام الملكة وبعض اليرقات الصغيرة التي مازالت في الحضانة. وهو سريع التلف يتأثر بدرجة الحرارة والضوء والهواء، ويتدهور بسرعة في درجة الحرارة العادية وبعد أسابيع عدة يصبح لونه مصفراً أو بنياً له رائحة قوية نتيجة لتحلل البروتين، وتزيد سرعة التحلل بزيادة الرطوبة الجوية التي تساعد على تكاثر جراثيم العفن.

أما عن منتج الشمع: فهو سائل قابل للتعرض للهواء فإذا تعرض له جف، وهو مادة معروفة منذ القدم واستعملها الإنسان في أغراض شتى منها أغراض عقائدية وبعضها معيشية، وبالنسبة للنحل ذاته فالشمع يمثل عنصراً أساسياً لاستقرار مجتمعه، وهذا بالطبع إضافة إلى وجود عناصر أخرى كوجود الملكة ووجود الشغالات في الخلية.. كما أثبتت الدراسات العلمية الحديثة التي أجريت في جامعة «ستانفورد» الأميركية على عسل النحل أن العسل ذو اللون الداكن هو أكثر الأنواع الغنية بالمواد المضادة للأكسدة التي تحمي خلايا الجسم من العجز والانهيار المبكر، وتمنحها الحيوية الدائمة، وأنه كلما كان لون العسل داكناً كلما كان أفضل لحماية الجسم من الأمراض، وفي علاج الكثير منها... ومن هذا الخلق العجيب المنتج للعسل يتضح لنا قول الله تعالى في سورة النحل الآية ٦٩: (يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه) فيه من السبق العلمي ما كشف عنه العلم الحديث ■

•• المراجع ••

١ - أبحاث مقدمة للندوة العلمية التي أقامتها الجمعية المصرية للاستخدامات الطبية لمنتجات عسل النحل أبريل ٢٠٠٢م.

٢ - مجلة «عالم الإعاقة» العدد رقم ١١

موضع الجنين ودوره في الخلية البشرية

لم يعد خافياً على أحد أنّا نعيش عصر البيولوجيا الجزيئية، أو عصر الثورة الجينية، ولذا كان من الأهمية بمكان، ونحن نقف على مشارف عصر خريطة «الجينوم البشري»، وفك رموز الخريطة الجينية البشرية، أن نميط اللثام عن هذا الجين، ونبين موقعه من الخلية ودوره فيها، وما يشفر له «الجين» فيها.

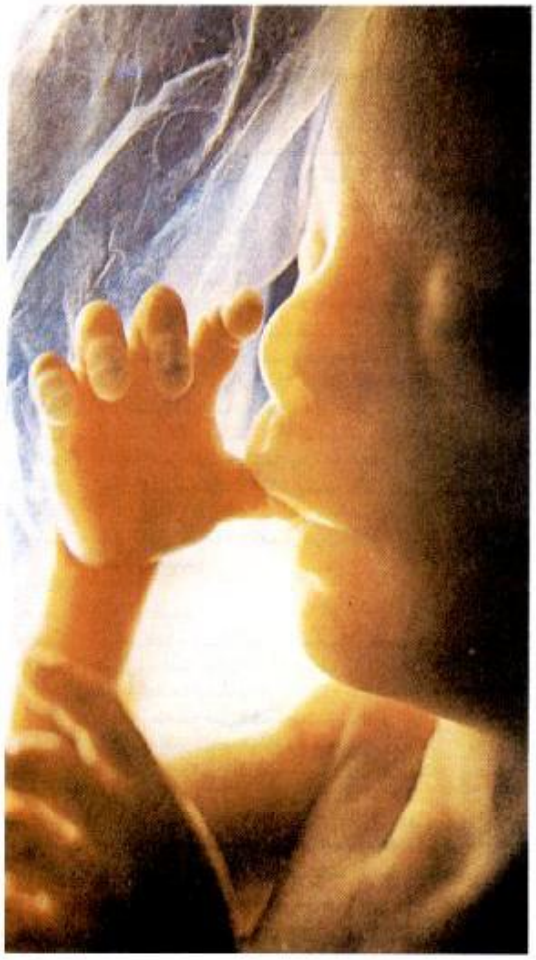

> يمثل الحمض النووي «الريبي» ناقص أكسجين، وثيقة ضخمة، كتب نصها بأربعة أحرف، هي (A.G.C.T)، وتوجد فيها كمية من المعلومات الوراثية الضرورية كاملة، داخل نوة الخلية

بقلم: أ.د. عبد الفتاح محمود إدريس

أولاً: ماهية الجين

«الجين» (Gene): هو: تسلسل من «نكليوتيدات» (Nucleotides)(١) الحمض النووي الريبي ناقص أكسجين، ويرمز لهذا الحمض بأحرف (DNA)، التي هي اختصار لكلمة (Deoxyribonucleic Acid) وهذا الحمض يحتوي على المعلومات الوراثية للخلية، ويوجد على نحو متميز في «الكروموسومات»(٢) (Chromosome)، ويبقى في نواة الخلية كمستودع دائم للمعلومات، ويتضاعف ويتوزع بدقة عند كل انقسام خلوي، ومواد بنائه الأساسية هي: سكر «ديؤكسي رايبوزي»، وحمض «الفوسفوريك»، وقواعد «نيتروجينية».(٣)

ثانياً: موضع الجين من الخلية البشرية

يحتوي جسم الإنسان على مئة مليون خلية تقريباً، وتحتوي كل خلية منها على نواة(٤) (Nucleus)، ويوجد في داخل هذه النواة تخثرات، تمتص الصبغة أكثر من غيرها تسمى الصبغيات، أو الكروموسومات (Chromosomes)، وتحمل كل خلية بشرية ستاً وأربعين كروموسوماً، توجد على هيئة أزواج، فالخلية تشتمل على ثلاثة وعشرين زوجاً من هذه الكروموسومات، نصفها من الأب ونصفها من الأم، وهذه الأزواج تنقسم إلى مجموعتين:

الأولى: مجموعة الكروموسومات الذاتية أو الجسمية، وعددها اثنان

وعشرون زوجاً، متشابهة ومتماثلة في الذكر والأنثى، وهي التي يعزى إليها الصفات الجسدية لنوعي البشر، من: طول القامة أو قصرها، ولون الشعر والعينين والبشرة، ونحوها.

والمجموعة الثانية: هي مجموعة الكروموسومات الجنسية، وعددها زوج واحد، متماثل في الأنثى، وهو «كروموسوم» (X)، بينما يكون هذا الزوج مختلفاً في الذكر، حيث يسمى أحدهما بـ«كروموسوم» (X)، ويسمى الآخر (Y)، وهذه «الكروموسومات» الجنسية هي التي يعزى إليها ظهور الصفات الجنسية المعروفة في الذكر والأنثى.

ويحتوي كل كائن حي على عدد ثابت من «الكروموسومات»، تبدو على شكل شبكة، يصعب تمييز أطرافها وحدودها في الخلايا غير المنقسمة، إلا أنها تظهر بوضوح في المرحلة الوسطى من مراحل الانقسام، حيث تتجمع في وسط الخلية، ويمكن تثبيت هذه «الكروموسومات» في هذه المرحلة، باستخدام بعض المواد الكيمياوية، حتى إنه ليمكن صبغها حينئذ بأصباغ مختلفة، تتميز فيها كل واحدة عن غيرها لدراستها، وتتكون هذه «الكروموسومات» كيمياوياً من: البروتينات، والأحماض النووية، وهذه الأحماض نوعان:

الأول: الحمض النووي «الريبي» ناقص أكسجين، الذي يرمز له بأحرف (DNA) التي هي اختصار لكلمة (Deoxyribonucleic Acid).

والثاني: الحمض النووي «الريبي» الذي يرمز له بأحرف (RNA)، التي هي اختصار لكلمة (Ribo-nucleic Acid)، ويمثل الجين جزءاً من الحمض النووي «الريبي»، ناقص أكسجين (DNA).(٥)

ثالثاً: مكونات الجين

تتكون الجينات كمياوياً عند أكثر الكائنات، من مقاطع من الحمض النووي «الريبي» ناقص أكسجين، فيما عدا بعض أنواع الفيروسات، التي تتكون جيناتها من الحمض النووي «الريبي».

ويتكون الحمض النووي «الريبي» (DNA) من: شريطين ملتصقين، أو «حلزون» مزدوج، وفقاً للنموذج الذي اقترحه كل من «واتسون»، و«كريك» العام ١٩٥٣م، يصل طولهما في «الكروموسومات» البشرية إلى ما يزيد على المتر، ويتكون كل شريط منهما على وحدات متصلة فيما بينهما، هي: «النوكليوتيدات»، التي تتكون كل واحدة منها من: سكر خماسي «رايبوز، وديوكسي رايبوز»، وقاعدة نيتروجينية «بيورين، وبايريمدين»، وحامض «الفوسفوريك». ويوجد في جزيء الحمض النووي

احتمال انتقال جين مشوّه، إلى أحد أطفال المرأة الناقلة لهذا الجين، يمثل نسبة ٥٠٪.

«الريبي» ناقص أكسجين، أربعة أنواع من القلويات النيتروجينية، تمثل قاعدة عضوية لمحتواه، هي: «أدنين» (Adenine)، و«جوانين» (Guanine)، و«سيتوسين» (Cytosine)، و«ثيمين» (Thymine)، ويرمز لهذه القلويات بالأحرف (A.G.G.T)، وهي الأحرف الأولى للأسماء الكيماوية لتلك القواعد، ويرتبط شريطا الحمض النووي «الريبي» ناقص أكسجين، باتحاد القلويات النيتروجينية الموجودة في أحد الشريطين، مع مثيلاتها في الشريط الآخر المقابل، عن طريق روابط «هيدروجينية»، بحيث يرتبط كل قلوي في أحد الشريطين مع قلوي في الشريط المقابل بنظام محدد، فـ«أدنين» في أحد الشريطين يرتبط مع «الثيمين» في السلسلة المقابلة، ويرتبط «الجوانين» في أحد الشريطين مع «السيوتسين» في الشريط المقابل، وهكذا.

ويمثل الحمض النووي «الريبي» ناقص أكسجين، وثيقة ضخمة، كتب نصها بأربعة أحرف، هي (A.G.C.T)، وتوجد فيها كمية من المعلومات الوراثية الضرورية كاملة، داخل نوى الخلية، فإذا استخدمت هذه المعلومات في تأليف كتاب، فقد تستمر قراءته خمساً وعشرين عاماً، لكثرة عدد حروفه، التي تبلغ ثلاثة مليار ونصف المليارات حرف.(٦)

رابعاً: خصائص المادة الوراثية

يمثل الحمض النووي «الريبي» ناقص أكسجين (DNA)، المادة الوراثية في نواة الخلية البدئية، الحاوية لكل المعلومات الوراثية، وقد أثبتت الدراسات تميز هذا الحمض ببعض الخصائص، التي منها ما يلي:

أ - إن كمية هذا الحمض ثابتة في جميع خلايا الأفراد، مهما كانت نوعية النسيج الذي يتكون منه العضو.

يحتوي جسم الإنسان على مئة مليون خلية تقريبا، وتحتوي كل خلية منها على نواة (Nucleus)

ب - إن لهذا الحمض قدرة على تكوين صورة طبق الأصل لنفسه، هي أثناء الانقسام خلال المرحلة البينية، من خلال تفكك لولبة الشريطين المكونين له، بعد انفصام الروابط «الهيدروجينية» التي تربط بينهما، حيث يقوم كل شريط بعد ذلك بتكوين شريط مقابل، طبقاً للتجاذب النوعي للقلويات «النيتروجينية»، وينتج من هذا التكاثر الذاتي جزيئان متماثلان من هذا الحمض، مطابقان للجزيء الأصلي من حيث المكونات الأساسية.

جـ - إن هذا الحمض يحتوي على جميع المعلومات الوراثية، توجد في ترتيبات وتعاقب ونوعية القلويات النيتروجينية على طول سلسلة الحمض، بمعنى أنه يمكن اعتبار هذه القلويات بمثابة لغة مكوّنة من أربعة أحرف، يمكن استعمالها لتكوين كلمات مختلفة، حسب ترتيب القلويات الأربعة، المرمز لها بالأحرف (A.G.C.T)، ويمكن تكوين جمل لها معنى من هذه الكلمات، ومن مجموعة هذه الجمل تتكون رسالة محددة.

ومن ثمّ، فإنه يمكن القول: إن الحمض النووي «الريبي» ناقص أكسجين، يحمل لغة خاصة، ممثلة في ترتيب وتعاقب القلويات النيتروجينية، التي تعرف باسم: الشفرة الوراثية (Genetic Code)، وهذه الشفرة عبارة عن مجموعة من الكلمات المتتالية، تتكون كل كلمة منها من ثلاثة أحرف، وكل حرف منها هو قلوي نيتروجيني، فإذا تغيّر حرف من هذه الكلمة تغيّر معنى الكلمة، واستتبع هذا تغيير معنى الجملة، ومغزى الرسالة، وإذا حدث هذا تغيرت طبيعة الجين، ونتج من ذلك ما سمي بالطفرة(٧) (Mutation)، التي تحدث نتيجة تغير في المادة الوراثية، لتنتقل بعد عملية الانقسام إلى الأجيال التالية بصورة مطابقة لما في أصلها.(٨)

خامساً: عمل الجين في نواة الخلية

يبلغ عدد الجينات في «المجين» البشري مئة ألف جين تقريباً، لا يعرف منها إلا نسبة ضئيلة قد تصل إلى ١٠٪، والجينات الحاملة للشفرة الوراثية، لا تشغل من هذا «المجين» البشري إلا نسبة قليلة، كذلك من ١ - ٢٪، في حين يتكون بقية «المجين» البشري من حمض نووي «ريبي» ناقص أكسجين غير حامل لشفرة وراثية، ويأمل المشاركون في مشروع «المجين» البشري من فك رموزه كاملة، في العام ٢٠٠٥م.

وتمثل الجينات تسجيلاً كاملاً للتعليمات اللازمة لصنع جزيء محدد، غالباً ما يكون بروتيناً،

فالبروتينات هي اللبنات الأساسية في بناء الجسم، وهي كل الإنزيمات وبعض الهرمونات، وهي مواد لا غنى عنها لكل العمليات الحيوية الدائرة في الكائن الحي. فالجينات محفوظة في داخل نواة كل خلية في الجسم، والبروتين يصنع في داخل الخلية، ولكن خارج هذه النواة، فالجين لا يخرج من غشاء نواة الخلية ألبتة. إلا أنه ينسخ من نفسه نسخة مستهلكة من نوع آخر من الحمض، هو الحمض النووي «الريبي» (RNA). يبعث بها عبر غشاء النواة، ولهذا يسمى هذا الحمض الذي استنسخ منه (RNA)، الحمض النووي «الريبي» الإرسال (Messenger RNA)، الذي يرمز له بالأحرف (M.R.N.A)، وظيفته نقل «الشفرة» الوراثية من (DNA) في داخل نواة الخلية إلى مصانع التركيب البروتيني في السيتوبلازم». وهناك نوع آخر من الحمض النووي «الريبي» خارج النواة، يقوم بقراءة الرسالة وترجمتها إلى أحماض أمينية، حيث ينول نوع ثالث من الحمض النووي «الريبي» خارج النواة، نقل الأحماض الأمينية التي تتفق وما جاء في هذه الرسالة إلى مصانع التركيب البروتيني، ويسمى هذا الحمض الأخير: الحمض النووي «الريبي» الناقل، الذي ينتقي من الأحماض الأمينية، ما يتفق والرسالة الواصلة إليه، نوعاً وعدداً وترتيباً، لينقلها بعد إلى مصانع التركيب البروتيني في الخلية، حيث يضم بعض هذه الأحماض الأمينية بعضها إلى بعض، ليصنع منها جزيئاً من البروتين الذي وردت الرسالة به عبر الأجيال المختلفة.

فالجين يحفظ الموروثات، ويأمر غيره وهي في داخل نواة الخلية، ولا يخرج منها، ولا يأتمر بأمر غيره، ولا ينصاع للأوامر الصادرة إليه من خارج النواة، كما أنه لا يتغير إلا نادراً، على سبيل الاستثناء.(٩)

سادساً: كيف يعبّر الجين عن نفسه

يؤدي الجين وظيفته من خلال تحكمه في تخليق البروتينات، التي تعد أهم مكوّنات الخلية، حيث تعمل كإنزيمات تساعد على إتمام التفاعلات الكيميائية، أو كمكونات للمركبات الكيماوية داخل الخلية، ويتم هذا عن طريق قيام (DNA) بتخليق ثلاثة أنواع من الحمض النووي «الريبي» بواسطة عملية النسخ:

الأول: هو الحمض النووي «الريبي» الإرسالي، الذي يحمل الرسالة الوراثية.

النوع الثاني: الحمض النووي «الريبي» النقال، الذي يحمل الأحماض الأمينية إلى مكان تخليق البروتينات.

يبلغ عدد الجينات في «الجين» البشري مئة ألف جين تقريباً، لا يعرف منها إلا نسبة ضئيلة

النوع الثالث: الحمض النووي «الريبي الريبوسومي» الذي يدخل في تركيب «الريبوسومات» التي هي موقع تركيب البروتينات في الخلية.

وتتمثل الرسالة الوراثية للجين، في تتابع القلويات النيتروجينية في جزيء (DNA)، والتي تنتقل إلى الحمض النووي «الريبي» الإرسالي، لتترجم إلى بروتينات، وتتركب البروتينات من أحماض أمينية، يبلغ عددها عشرين حمضاً أمينياً في كل بروتين، وتختلف نوعية البروتينات عن بعضها بعضاً بحسب عدد وترتيب وتعاقب الأحماض الأمينية التي تدخل في تكوينها. وقد تبين أن كل حمض أميني منها مرمز مشفر بثلاثة أحرف، هي وحدة الشفرة أو «الرامزة»(١٠) (Co-don). وأن قاموس مفتاح هذه الشفرة يحوي أربعاً وستين وحدة ثلاثية، وهذا العدد يقتضي أن يكون لكل حمض أميني من العشرين، بضع مترادفات من هذه الرموز، وأن تكون هناك وحدات ثلاثية بمثابة نقطة التوقف التي تنهي الرسالة، وتنهي صنع الجزيء البروتيني.

وتقرأ الرسالة الجينية على هيئة كلمات مشفرة «رامزة»، تتكون كل منها من ثلاثة أحرف، لتحدد نوعاً معيناً من الأحماض الأمينية، ويتكون البروتين في الخلية وفقاً لهذه الرسالة، وإذا تغير تتابع القلويات النيتروجينية في هذه الرسالة، إما بحذف أو إضافة قلوي نيتروجيني، أو بإحلال قلوي محل آخر، فإن ذلك يؤدي إلى إحداث تغيير في مفهوم الرسالة الوراثية. وتغيير في الصفة، ومثال ما ينتج من تغيير الشفرة الوراثية ما يحدث في مرض فقر الدم المنجلي (Sickle - Cell anemia)، وهو مرض وراثي، تظهر فيه كرات الدم الحمراء منجلية الشكل، فلا تقوم بوظائفها بصورة طبيعية، ويتحكم الجين في تحديد نوعية «الهيموجلوبين»، وهو مادة

يؤدي الجين وظيفته من خلال تحكمه في تخليق البروتينات، التي تعد أهم مكوّنات الخلية

بروتينية، ويختلف «هيموجلوبين» فقر الدم المنجلي، عن «هيموجلوبين» الشكل العادي، بكون أحد الأحماض الأمينية تغير من نوع إلى آخر، نتيجة إحلال قلوي نيتروجيني في تتابع جزيء (DNA)، ويؤدي ذلك إلى تغيير في طبيعة البروتين المنتج.(١١)

سابعاً: دور الجينات في نقل الصفات الوراثية

تفيد الدراسات الوراثية أن كل صفة في الفرد، يتحكم في إظهارها جين واحد أو أكثر، والكثير من الصفات يتحكم في إظهارها زوج من الجينات، ويظهر الجين في الطبيعة في صورتين:

الأولى: يعرف فيها «بالجين السائد»، فإذا وجد ظهرت الصفة التي يتحكم فيها.

الصورة الثانية: يعرف فيها «بالجين المتنحي»، فإذا وجد بمفرده ظهرت الصفة المضادة، أما إذا وجد مع الجين السائد، فإن الجين السائد يمحق تأثير الجين المتنحي، ويخفي أثره، ولكن لا يلغيه، وفي هذه الحال يعرف الفرد بأنه حامل لهذه الصفة، يضاف إلى هذا أن كثيراً من صفات الفرد قد يتحكم فيها زوجان أو أكثر من الجينات، يتفاعلان مع بعضهما بعضاً، ومع البيئة المحيطة، لتعطي الصورة النهائية لفعل الجين.

ومعروف أن بداية تكوين الفرد جنسياً، هو من خلال اتحاد خلية الأب مع خلية الأم الجنسية، وكل خلية منهما تحتوي على نصف عدد «الكروموسومات»، ونصف عدد الجينات، فيسهم الأب بنصفها، والأم بالنصف الآخر، وعند اتحاد الخليتين بالإخصاب، يتحقق وجود العدد الأصلي المميز للفرد، ومعنى هذا أن البويضة المخصبة تحتوي على المعلومات الوراثية التي تأتي من الأب والأم، ومن ثم فإن مواصفات الابن خليط مما يسهم به كل من الأب والأم أي أن البرامج الوراثية موجودة منذ تكوين البويضة المخصبة، ثم تبدأ هذه الجينات الموجودة في العمل، لإظهار المواصفات الخاصة بالفرد طبقاً للبرنامج الموجود مسبقاً، إلا أن هذه الجينات تخضع بالإضافة إلى ذلك، لبرمجة دقيقة تحدد فترات عملها في أثناء عملية التمايز، وهذا ما يعرف بتنظيم عمل الجينات، فقد تعمل جينات معينة مبرمجة للقيام بذلك، على منع نشاط جينات أخرى خلال فترات معينة، وذلك وفقاً لمخطط وراثي محدد.

وأذكر فيما يلي دور الجينات في نقل الصفات المتنحية، والسائدة المرتبطة بـ«الكروموسومات» الجسمية والجنسية.

١- وراثة الصفات السائدة المتعلقة بـ«الكروموسومات» الجنسية

أوضح في هذا الصدد كيف يرث الفرد الصفات السائدة المتعلقة بالـ«كروموسومات» الجسمية عن أبويه، وكذلك الأمراض الجسمية السائدة (Auto-somal Dominant Disorders)، التي يرثهـا عنهما كصفة سائدة أيضاً.

من الجينات ما ينقل إلى الفرد من أبويه صفات جسمية نافعة أو غير ضارة، كلون البشرة أو العينين، أو طول القامة، أو نحو هذا. ومنها جينات سائدة تنقل إليه من أبويه أمراضاً خطيرة. فإذا كان أحد الأبوين حاملاً لـ«جين» سائد من هذا القبيل، فإن هذا الجين المرض سينتقل منه إلى نصف أولاده، ومن الصفات السائدة التي تنتقل جينياً «القزامة» التي تنشأ عن وجود جين مفرد متغلب، عندما يتزوج قزم بامرأة طبيعية، أو تتزوج قزمة برجل طبيعي، فإن احتمال ظهور أطفال أقزام لهما تبلغ نسبته ٥٠٪، ومن ثمَّ فإنه في الصفات الجسمية السائدة، يحذف من سجل الحالات الطرف الطبيعي من الزوجين، ليأتي نصف نسل الزوجين حاملاً للصفة السائدة في الزوج الحامل لها، والنصف الآخر خال منها.

٢- وراثة الصفات المتنحية المتعلقة بـ«الكروموسومات» الجسمية

أبين في هذا الصدد كيف يرث الفرد الصفات المتنحية، المتعلقة بـ«الكروموسومات» الجسمية عن أبويه، وكذلك الأمراض الجسمية المتنحية (Auto-somal Recessive Disorders) التي يرثهـا عنهما كصفة متنحية أيضاً.

بينت قبلاً أن «الكروموسومات» توجد على هيئة أزواج متماثلة في الجسم البشري، وأن الجينات تقع عليها، ومن ثمَّ فإن الجينات توجد على هيئة أزواج أيضاً، حيث تأتي مجموعة من الجينات من قبل الأب، وتتطابق معها مجموعة أخرى من جهة الأم، فتتفاعل الجينات المتقابلة على الموقع نفسه مع بعضها بعضاً، ويكون المظهر الخارجي هو ناتج عملهما معاً، وقد يكون أحد الجينين هو الذي قام بكامل العمل، والآخر عاطل. وفي كل الأحوال تعتمد حصيلة العمل على نوع التفاعل بين الجينات. فإذا كان ظهور صفة طبيعية يحتاج إلى ناتج عمل جين واحد، وكان أحد الجينين المتقابلين طبيعياً، فإن الصفة عندئذ تظهر كاملة. ولا تختفي الصفة الطبيعية لتظهر الصفة المشوهة بدلها، إلا إذا تعطل الجينان في الموقع نفسه.

وتعتبر الجينات متنحية، أي لا تأثير لها على طبيعة العمليات الحيوية في الجسم، إذا كانت

يمثل الحمض النووي «الريبي» ناقص أكسجين (DNA)، المادة الوراثية في نواة الخلية البدنية

هناك جينات طبيعية مقابلة لها في موقعها نفسه «الكروموسومي»، والصفة المظهرية الناتجة من تفاعل الجينات يحددها الجين المتغلب، مع أن وظيفته الوراثية تساوي نصف الوظيفة المتوقعة من عمل زوج من الجينات الصحيحة، إلا أن تفاعله كاف لإظهار الصفة الطبيعية على الفرد. ومن ثم فإذا كان فرد ما يحمل جيناً مشوهاً متنحياً مزدوجاً مع جين طبيعي له، وتزوج بفرد يحمل زوجاً طبيعياً من الجينات، فثمة احتمال بانتقال الجين المشوه المتنحي إلى أطفالهما بنسبة ٥٠٪، أما إذا تزوج بفرد يحمل الجين نفسه المشوّه المتنحي، فثمة احتمال بانتقال هذا الجين إلى الأطفال بنسبة ٢٥٪، وهو اصل ضرب احتمال انتقال الجين من كل من الزوجين إلى الذرية (٥٠٪ × ٥٠٪= ٢٥٪)، ومن خصائص الأمراض الوراثية المتنحية، تمكن جيناتها من الانتقال من جيل إلى جيل، من دون ظهور حالات مرضية بين أفراد العائلة.

٣- وراثة الصفات المرتبطة بالجنس

أبيّن في هذا الصدد كيف يرث الفرد الصفات المرتبطة بالجنس عن والديه. وكذلك الأمراض المرتبطة بالجنس (X-Linked Disorders) عنهما أيضاً.

تختلف وراثة الجينات المرتبطة بـ«الكروموسومات الجنسية» عن وراثة غيرها من الجينات، وكثير منها لا علاقة له بالجنس، وتختلف وراثتها عن تلك الموجودة على «الكروموسومات» الجسمية، بسبب عدم تماثل زوجي «الكروموسوم» في الذكر (XY) مثل ما في الأنثى (XX)، ولهذا فإن الجين الأنثوي (X) يتمثل في الأنثى مرتين، بينما لا يتمثل في الذكر إلا مرة واحدة، ويؤدي هذا إلى ظهور تأثيرات الجينات المتنحية في الذكور بصورة أكثر مما عليه في الإناث.

تمثل الجينات تسجيلاً كاملاً للتعليمات اللازمة لصنع جزيء محدد، غالباً ما يكون بروتينا

ومن ثمَّ فإن احتمال انتقال جين مشوَّه، إلى أحد أطفال المرأة الناقلة لهذا الجين، يمثل نسبة ٥٠٪، وتختلف نسبة ظهور الإصابة في الأنثى عنها في الذكر، فالأنثى التي ينتقل إليها «كروموسوم» ذكري من أبيها، يعني انتقال جين طبيعي إليها منه، لأن الأب غير ناقل للمرض، لهذا فإنها تكون مجرد ناقلة لهذا الجين، كوالدتها، وعلى العكس من ذلك، لو انتقل الجين المشوَّه إلى الطفل من والدته، فإنه تظهر عليه أعراض المرض. لأن «الكروموسوم» الذكري الخاص به لا يحتوي على جينات مقابلة، تستطيع كبح عمل الجينات الموجودة على «الكروموسوم» الأنثوي، ولهذا فإن عمل الجينات يظهر في هذه الحال سواء كانت متغلبة أو متنحية، ومنها الجين المشوَّه في مثالنا، وقد تقتصر بعض الصفات والأمراض الوراثية على جنس دون آخر، بالرغم من عدم علاقتها بـ«الكروموسوم» الأنثوي، ومنها الصلع الوراثي، الذي يتحدد من قبل جين موجود على أحد «الكروموسوم الأنثوي، ومنها الصلع الوراثي، الذي يتحدد من قبل جيل موجود على أحد «الكروموسومات» الجسمية، إذ يتغلب على الجين الطبيعي في الذكور ويتنحى أمامه في الإناث. والصلع الوراثي لا يحدث إلا عند وجود الهرمون الذكري، لذا يعتبره بعض الوراثيين صفة جنسية مقيدة، حيث لا يظهر بصورة واضحة عند الإناث. وهذه الصفة المقيدة ترتبط بوجود أو فقدان أحد الهرمونات الجنسية، ومثال هذا نمو اللحية عند الذكور، حيث يعتمد على درجة النمو الذي يحددها الهرمون الجنسي. ومن الصفات والأمراض المرتبطة بالجنس ما تكون متغلبة، وفيها ينقل الذكر المصاب الجين المشوَّه إلى بناته دون أبنائه، وتتساوت مثل هذه الأمراض في شدتها، فتظهر تأثيراتها بدرجات متفاوتة، ومن الأمراض المرتبطة بالجنس: مرض ضمور العضلات، الذي يصيب الأطفال دون سن الخامسة، ويودي بحياتهم في العشرينيات من أعمارهم، نتيجة عجز في التنفس بسبب ضمور عضلات الرئة، ومنها كذلك: مرض الكساح الناشئ عن نقص الفوسفات بالدم وزيادة إفرازه في البول، والذي يؤدي إلى قصر القامة والتواء في عظام الساق (١٢).

ثامناً: دور الجينات في نقل الأمراض الوراثية

لعل من نافلة القول أن يقال بوجود استعداد وراثي، لدى كثير من الأفراد للإصابة بأمراض وراثية عدة، منها: أمراض القلب، والأوعية الدموية، والدم، والسكر، والسرطان، وغيرها. إذ

تمكن العلماء منذ العام ١٩٩٤م من حصر الأمراض الوراثية، التي تنتقل عن طريق الجينات في ٦٦٧٨ مرضاً وراثياً، ومن العلماء من أوصلها إلى عشرة آلاف مرض، وقد تظهر الأيام المقبلة الكثير من هذه الأمراض الوراثية، والكثير من هذه الأمراض يشكل خطورة على صحة الإنسان وحياته، وبعضها غير قابل للعلاج.

وتتمثل معظم هذه الأمراض في عيوب خلقية للأيض(١٣)، ويمكن حصر الأغلبية العظمى من هذه الأمراض في مئات عدة، هي المنتشرة في أنحاء العالم، وبعضها يوجد بنسب عالية، وعادة ما تكون خطيرة ومهلكة لمن أصيب بها، وقد كان المعتقد السائد أن الأمراض الوراثية في الإنسان نادرة الحدوث، ولكن أثبتت الدراسات والإحصاءات الحديثة أن ٣٪ على الأقل من حالات الحمل ينتج منها أطفال مصابون بأمراض وراثية قد تؤدي إلى وفاتهم نتيجة لتأثرهم بالجينات المميتة، وقد أجريت إحصائية على الأطفال المرضى نزلاء مستشفيات الأمراض في بعض البلاد الغربية، فوجد أن سبب وفاة ٣٨٪ منهم بأمراض وراثية، والإحصاءات التي أجريت على البالغين تبين أن نسبة المرضى بالأمراض الوراثية تزيد على ١٠٪ من حالات المرض، بل إن من هذه الأمراض ما يكون أكثر انتشاراً في بعض المناطق عن بعضها الآخر، فمرض انيميا الخلايا المنجلية ينتشر بين الأفارقة والملونين في أمريكا أكثر من غيرهم، ومرض «الثالسيميا» ينتشر بين الأمريكيين المتحدرين من أصول إيطالية وإغريقية أكثر من غيرهم. ومرض انفصام الشخصية الوراثي ينتشر في دول الغرب أكثر من غيرها من دول العالم، وقد اتفق العلماء على تقسيم الأمراض الوراثية في الإنسان إلى ثلاثة أقسام رئيسة هي:

تقرأ الرسالة الجينية على هيئة كلمات مشفرة تتكون كل منها من ثلاثة أحرف، لتحدد نوعاً معيناً من الأحماض الأمينية

١ ـ الأمراض «الكروموسومية» (Chromosomal Disorders)

وهي الأمراض التي تنشأ غالباً من نقص أو إضافة «كروموسوم» أو قطعة منه، ولما كان «الكروموسوم» يحمل عشرات الآلاف من الجينات، فإن أثر هذه الأمراض يكون محسوساً، ويتمثل في التخلف في النمو أو التخلف العقلي المصحوب بالتشوهات الجسمية الكثيرة، وهذه التشوهات تؤدي غالباً إلى وفاة المصاب بها، كما أنها تسبب الإجهاض التلقائي لكثير من الحوامل.

٢ ـ الأمراض الجينية البسيطة (Single gene Disorders)

وهي أمراض تنشأ من طفور جين واحد، له تأثير ظاهري كبير على الفرد الحامل له، وقد أمكن معرفة التأثيرات الفسيولوجية والكيموحيوية لبعض هذه الجينات، ومن ثم حصر ثلاثة آلاف مرض تقريباً ضمن هذه المجموعة، وتمثل نسبة ٥ ـ ١٠٪ من الأمراض التي تصيب الأطفال، وبعضها له أضرار صحية وعائلية كبيرة، مثل: زيادة نسبة الكولسترول في الدم، المؤدي إلى الإصابة بالأزمات القلبية، وتعدد أكياس الفولون، ومرض الكلى كثيرة الأكياس.

٣ ـ الأمراض الجينية الكمية (Polygenic Disorders)

وهي أمراض تنشأ من تفاعل تأثير الجينات المختلفة، وعددها أكثر من سابقتها، ومن أمثلتها أمراض السكر، وارتفاع ضغط الدم، وانفصام الشخصية، والتشوهات الخلقية المختلفة: كالشفة الأرنبية، والحلق المشقوق، وأكثر أمراض القلب الخلقية، وتمثل نسبة الإصابة بها بين الأطفال ٢٥ ـ ٥٠٪، وتسبب وفاة ٣٥٪ من بين المصابين بها (١٤) ■

•• الهوامش ••

١ ـ «النكليوتيدات»: هي أصغر الوحدات الوراثية في الجين، ويصل عددها في الجين الواحد نحو الفين، وتتألف من قاعدة نتروجينية هي «أدنين، جوانين، ثايمين، سيتوسين»، يرمز لها بالأحرف (A.G.T.C)، وجزيء فوسفات، وجزيء سكر خماسي «ديوكسي ـ ريبوز» ناقص أكسجين، وأساس أزوتي: (د هاني رزق: بيولوجيا الاستنساخ/٢٢، داسيل كيفلس: ليروي هو: الشفرة الوراثية ص ٤١٢).

٢ ـ «الكروموسوم»: تركيب خيطي الشكل، يشبه القضيب، مؤلف من بروتينات وحمض (DNA)، يحمل مجموعة من الجينات الدورية في نتابع «نكليوتيداته»، وعماد «الكروموسوم» هو جزيء بالغ الطول من «الدنا»، ولا يمكن رؤيته بالميكروسكوب العادي إلا عند تقلصه خلال عملية الانقسام النووي، ولكل نوع من الكائنات الحية عدد مميز من «الكروموسومات» ويوجد في الإنسان ذكراً أو أنثى اثنان وعشرون زوجاً من الكروموسومات الجسمية، وزوج واحد من «الكروموسومات» الجنسية، يرمز لها في الذكر (XY)، ويرمز لها في الأنثى (XX). (د محمد الربيعي: الوراثة والإنسان / ٢١١ ـ ٢١٢، الشفرة الوراثية ص ٤٠٩).

٣ ـ بيولوجيا الاستنساخ ص ٢٢

٤ ـ النواة: جزء الخلية الذي يحتوي على الجينات و«الكروموسومات»، وتحاط النواة بغشاء نووي، وتشكل الأحماض النووية مادتها الكيميارية الرئيسة، وتكون النواة على الأكثر في الخلايا القذية الكروية الشكل الوسطية الموقع، ولا يكون للنواة في الخلايا المتميزة شكل ثابت أو موقع محدد، ووظيفة النواة: السيطرة على الفاعليات الخلوية المختلفة ونقل الخصائص الوراثية «الوراثة والإنسان ص ٢٤١).

٥ ـ بيولوجيا الاستنساخ ٢٢، أ.د خليل يوسف واخرون: الوراثة وأمراض الإنسان ص٣٦.

٦ ـ أ.د عدنان العذاري: أساسيات في الوراثة ص ٢٤٩ ـ ٢٦٧، الوراثة وأمراض الإنسان ص ٢٦ ـ ٢٨.

٧ ـ الطفرة: تغير فجائي يطرأ على المادة الوراثية في الخلية، يشتق بعد عملية الانقسام إلى الأجيال اللاحقة بصورة مطابقة للأصل، وهي نوعان: طفرات طبيعية أو تلقائية، تحدث نتيجة للعمليات الطبيعية، وطفرات صناعية، تحدث نتيجة التعرض للإشعاع أو استخدام المواد الكيميارية ونحوها (الوراثة والإنسان ص٢٠٩).

٨، ٩ ـ د عبدالعزيز البيومي: أساسيات الوراثة والهندسة الوراثية «أعمال ندوة الانعكاسات الأخلاقية للأبحاث المتقدمة في علم الوراثة ص ٣٧ ـ ٣٨)، أساسيات الوراثة ص٢٢٨، ٢٢٩، ٢٥٤، ٢٦٥.

٩ ـ د ثورية بنغزو: التناسل الانتقائي لتحسين النسل البشري «أعمال ندوة الانعكاسات الأخلاقية للأبحاث المتقدمة في علم الوراثة ص١٧٢)، د. عبدالحافظ حلمي: تحسين النسل البشري (أعمال الندوة السابقة ص ١٤٧).

١٠ ـ الرامزة (Codon): عبارة عن ثلاثة أزواج قلوية متتالية في الحمض النووي «الريبي» ناقص أكسجين (DNA)، أو الحمض النووي «الريبي» (RNA)، والتي تحمل رموز شفرة حمض أميني معين (فمثلاً UUU هي رموز مشفرة حمض الفنيل الانين) الجديد في تطور الهندسة الوراثية) ص١.

١١ ـ الوراثة وأمراض الإنسان ص ١٤.

١٥، أعمال ندوة الانعكاسات الأخلاقية للأبحاث المتقدمة في علم الوراثة، ص٣٩ ـ ٤٠، ١٤٧، ١٤٨.

١٢ ـ الوراثة وأمراض الإنسان ص٤٣ ـ ٥٩، الوراثة والإنسان ص٤٩ ـ ٥٨، أعمال ندوة الانعكاسات الأخلاقية للأبحاث المتقدمة في علم الوراثة ص٢٩ ـ ٣٣.

١٣ ـ الأيض: هو العمليات الحيوية التي تجري داخل الكائن الحي: كالتغذية والتنفس والإفراز.

١٤ ـ الوراثة وأمراض الإنسان ص٦ ـ ١١، و٤٠ ـ ٤٤، والوراثة والإنسان ص٥٩ ـ ٦٠، و١٣٠، ١٣١، أعمال ندوة الانعكاسات الأخلاقية للأبحاث المتقدمة في علم الوراثة ص٦٧ ـ ٨٠.

البيت المسلم

الوعي الإسلامي

العدد 475 - العام الثاني والأربعون
ربيع الأول 1426 هـ - أبريل / مايو 2005 م

دور الآباء في غرس الإيجابية لدى الأبناء 68

كيف تتعامل الأم مع بدانة طفلها؟ 77

فجاءته إحداهما تمشي على استحياء! 72

الغيرة بين الأبناء... ظاهرة يصنعها الآباء!! 70

ابتعدي عن هذه الأخطاء! 78

حديث النفس بالطلاق 83

النكد الزوجي 80

التبول اللاإرادي عند الأطفال 74

صحافة الأطفال والدور المطلوب 76

الرومانسية المفقودة 81

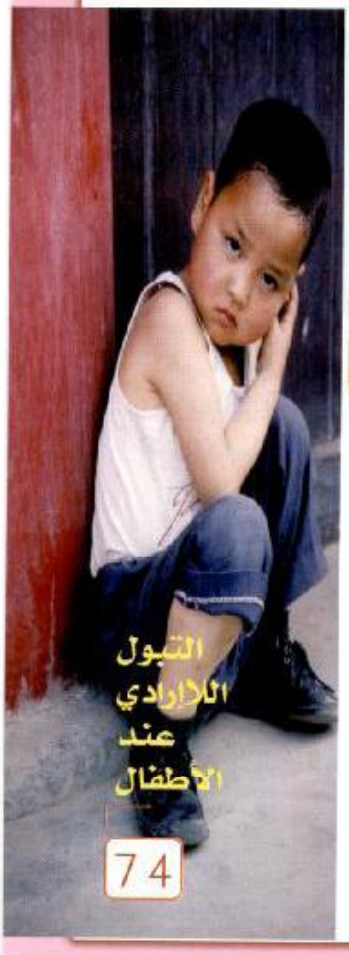

دور الآباء في غرس الإيجابية لدى الأبناء

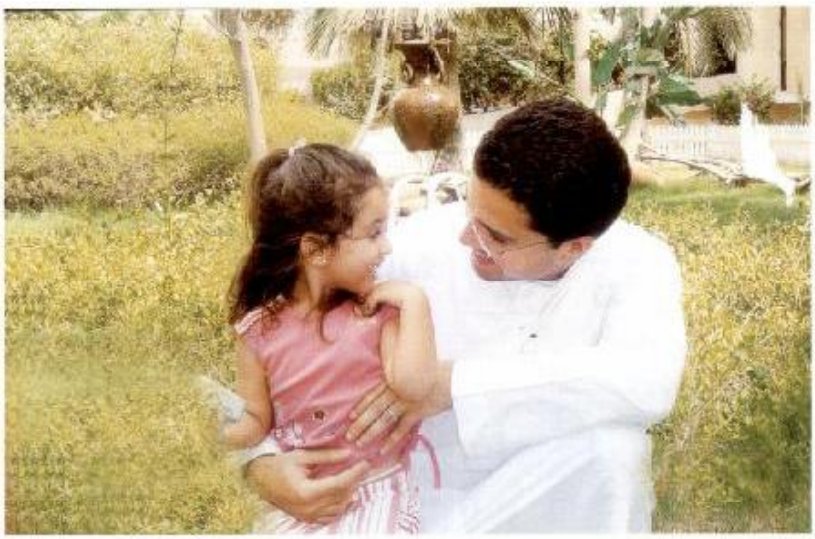

الأبوان مطالبان باستخدام جميع الوسائل المشروعة التي تساعد في غرس الإيجابية لدى الأبناء

بقلم: فتحية صديق شندي

أبناؤنا أكبادنا تمشي على الأرض أثر من آثارنا وهم قطعة منا وبضعة من فؤادنا بل هم شمس تطلنا وأرض تقلنا وشملة نلتحمها ونتدثر بها عند قشعريرة الجسد فليكونوا مصباح ليلنا وأنشودة عمرنا وبستان حياتنا أولاهم الإسلام العناية الكاملة والتزكية الشاملة التي يقع عبؤها بالدرجة الأولى على الآباء والأمهات فهم أكثر الخلق تأثيراً فيهم وتصحيحاً لسلوكهم بما يملكونه من وافر الشفقة وسلطان الأبوة ورمز الحماية.

لقد اهتم الإسلام بالأبناء وغرس فيهم الإيجابية قبل نعومة أظفارهم فمنذ نفخ الروح يبدأ الجنين يتحرك وكأنه يريد أن يرفض السكون والهدوء لأن السكون يعني الموت.

وهذه الحركة قد هدى إليها جميع الخلق ومن ثم يهتدي الطفل إلى ثدي أمه بهداية الفطرة: (ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) طه:٥٠. أما الإيجابية المكتسبة فهذه يقع عبء تنميتها وصقلها على الأبوين بخاصة والبيئة المحيطة بعامة ليقع الواجب كله على الأبوين لتعزيز هذه الإيجابية، وهذه الأخيرة تتوقف من غير شك على أمرين:

أولهما: الجهد البشري.

الثاني: التوفيق الرباني.

وكلاهما كل لا ينفصلان فمهما يكن من جهد الإنسان وسعيه للوصول إلى أهدافه القريبة أو البعيدة إذا لم يحالفه التوفيق فإنه يكون بذلك قد وقع في دائرة غير محمية ولله در القائل:

إذا لم يكن عون من الله للفتى
فأول ما يجني عليه اجتهاده

والجدير ذكره أنه يتعين على الأبوين الأبوين باستخدام جميع الوسائل المشروعة والممكنة التي تساعد في غرس هذه الإيجابية عن طريق أمور عدة منها:

١ - أن يكون الأبوان قريبين من أبنائهم محببين لهم ناصحين إياهم لأن الابن القريب من قلب والده يشاركه اهتمامه ونشاطه ويستعيد ذاته وعافيته ويبقى موضع سره. وكذلك الفتاة التي تتقرب منها أمها وتصغي إلى مشكلاتها وتستودع سرها يؤثر

فيها ذلك إيجاباً وخصوصاً عندما تراها تتحرك لزيارة أرحامها وتبادلهم المودة والصلة بهم. فضلاً عن قيامها بدورها داخل المنزل «من طهي وغسل وكي وتنظيف ومتابعة للأبناء ومساعدتهم في استذكار دروسهم والقيام على خدمة أضياف بيتها» فما من شك في أن الفتاة التي ترى ذلك وتحس به ينعكس ذلك على سلوكها وحركاتها ومن ثم تجد نفسها في حال من الإيجابية التلقائية التي تورث عملياً بالمحاكاة والتقليد لأعظم محبوبين في الدنيا هما والداها.

٢ ـ أن يدفع الآباء بأبنائهم إلى القراءة الجادة والتثقيف الواعي ومنح الجوائز السخية لهم وترغيبهم في سماع الأشرطة الموجهة وتخللهم بالأنشودة الجميلة الهادفة التي تزكي عاطفتهم نحو كل جميل وشريف.

إن المسؤول الأول عن سلبية الأبناء هم الآباء الذين يتوقعون قيام ابنائهم بكل شيء حسن من غير أن يساعدوهم في أن يكونوا أصحاء أسوياء ومثل هؤلاء يكونون كمن من يحرث في البحر أو يصادر على المطلوب لأن فاقد الشيء لا يعطيه. فالطفل الذي يصرخ حين يبول على نفسه وتتركه أمه يصرخ وتنشغل عنه بأمور أخرى يرافقه الصراخ باستمرار حتى لو أخذته بعد ذلك وأصلحته وضمته إلى صدرها وكأنه يحتج على أمه وهو لا يملك من أساليب التعبير غير صراخه، ولسان حاله يقول: ما كان لك أن تتأخري علي يا أمي وأنا أحتاج إليك ولا سيما أنا صغير وضعيف فمثل هذه الأم لا تساعد في غرس الإيجابية المقصودة، بل تغرس نقيضها من حيث لا تدري.

ولن نختلف حول أثر القدوة الصالحة في تكوين إيجابية الأبناء التي تكون من خلال التأصيل الشرعي لمنظومة القيم والأخلاق التي تمثل السياج الواقي من الانحراف فإن أعان على ذلك حسن الحوار الهادئ والمناقشة الجادة من الآباء مع ممارسة حقيقية لمبدأ الشورى في اتخاذ ثمة قرارات حتى لو كانت قرارات بسيطة وغير مصيرية، ولا بأس من الحوارات الجادة والهادفة في كيفية اختيار الرفقاء والأصدقاء والحديث المتواصل عن مكارم الأخلاق بما فيها الصدق والأمانة والمراقبة

منظومة القيم والأخلاق تمثل السياج الواقي من الانحراف

والوفاء والإيثار وصلة الرحم ومع الاعتبار أن الذي يعين على تحقيق ذلك وجود قدر مشترك ومساحة كبيرة من الحب الطبيعي والفطري نحو الأبناء والمسح على رؤوسهم والربت على أكتافهم وتقبيلهم واحتضانهم وتهدئة خوفهم وخصوصاً في أوقات الشدة والمرض.

ولنا أن نسأل، كيف يمكن للآباء مساعدة الأبناء في إكسابهم الذاتية المنشودة؟

والجواب: أنهم يقدرون على ذلك إذا صحّت النية وصدق العزم فيما يلي:

أولاً: بعد الجسور.

ثانياً: عن طريق جذب الانتباه والتركيز الشديد على الأمر المطلوب تنفيذه وقد حدث ذلك في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم: وهو يردف ابن عمه خلفه ويقول: «يا غلام إني أعلمك كلمات»... وعن طريق الحافز المادي والمعنوي كما ذكر القرآن الكريم على لسان يوسف عليه السلام: (ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم) يوسف:٧٢.

ثالثاً: عن طريق متابعة الأبوين للأبناء متابعة هادئة من غير صخب أو ضجيج أو إعلان وليست تلك التي تأخذ طابع الشرطي المتتبع للجريمة والمتعقب للمجرمين.

رابعاً: أن يقوم الآباء بحلقات منزلية نقاشية ينم فيها مشاركة الجميع ومن خلالها يستطيع الأب أن يبين للأبناء أن الذاتية مطلوبة من كل فرد سواء صغيراً كان أو كبيراً، ذكراً أو أنثى، حراً أو عبداً، وذلك لقوله تعالى: (وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه) الإسراء:١٣، (كل نفس بما كسبت رهينة) المدثر:٣٨، (كل امرئ بما كسب رهين) الطور:٢١. ويبين الأب كذلك أن في الذاتية احترام للنفس ومعرفة قدرها الذي يليق بها وقد سأل رجل آخر لي عندك حويجة فقال له: اطلب لها رجيلاً، ويبين لهم أخيراً أن في الذاتية عذراً للإنسان أمام الله تعالى حتى لو لم يتحقق الهدف لأن الإنسان مسؤول عن بذل عناية وليس مسؤول عن تحقيق نتيجة، إن مثل هذه الإيجابية يعود نفعها على الأبناء والآباء، بل على المجتمع كله وعلى الأمة بأثرها ويحكي لنا التاريخ الحديث أن «ميسون» امرأة في عهد صلاح الدين قصت ضفائر شعرها وأعطتها لخطيب جامع دمشق ومعها قصاصة ورق وأصرت أن يقصها ويقرأها على المصلين وهو على المنبر قائلة له: لعل شعري هذا يصلح أن يكون قيداً لفرس في سبيل الله، فكان من أثر ذلك أن ارتج المسجد كله بالبكاء وانتحبت الأصوات وتنادى بالخروج إلى الجهاد.

المسؤول الأول عن سلبية الأبناء هم الآباء

وقد يقع خلاف بين الأبوين يضع الأسرة في مفترق الطرق، فإذا بإيجابية الأبناء ولاسيما الصغار منهم تلطف الأجواء بأن يرتمي أحد الصغار على صدر أبيه، ويقول: آبتاه إن ما فعلته بأمي قد أثر فينا جميعاً، إن تدخل الأبناء المناسب وبالطرق المناسبة بما يستدركون به على الآباء في مواقف كثيرة يكون له عظيم الأثر في سلامة البنيان على أن كل ما ذكرناه لن يجدي أو يحقق أثره ما لم يكن هناك جو عام صحي للأسرة وذلك بترك المشاحنات العائلية أمام الأبناء، ذلك أن الصمت الزوجي والعبوس المستمر يساعد كثيراً في طرد الأبناء من جو الأسرة الحميمة وما يترتب على ذلك من حال اليتم الجماعي التي صارت اليوم تحتل مساحة كبيرة في بيوت المسلمين وآخر إحصائية تمت في دولة الإمارات العربية الشقيقة تقول: إن متوسط جلوس رب الأسرة مع أبنائه لا يتعدى خمس دقائق يومياً، لماذا يحمل الإسلام الأبوين على القيام بمثل هذه العملية؟ يدفعهم إلى ذلك لكي يحصلوا على الثمرة ويكافئوا على الإحسان «أو ولد صالح يدعو له».

الكرة إذن ملقاة اليوم في ملعب الآباء لأن القهر والتسلط لا يولد الأسياد بل يولد العبيد والعبد ناقص الأهلية ومن كان كذلك فلا يمكن أن يحمي بيضة الإسلام ولا يصون الحمى، لذا جاء الإسلام بتحرير العبيد ليكونوا أحراراً أسياداً ■

الغَيرَة بين الأبناء... ظاهرة يصنعها الآباء!!

تحقيق: صلاح محمد أبوزيد

يجب مكافأة الابن المتفوق من دون أن نثير عوامل الغيرة والحسد لدى بقية الإخوة؟

قد يكون من الطبيعي أن تشهد مرحلة الطفولة نوعاً من الغيرة والتنافس بين الإخوة الصغار سواء على ملكية الأشياء الصغيرة أو اللعب و على حنان الأبوين وعطفهما... ومن الطبيعي أيضاً أن تقل حدة هذه الغيرة مع الوقت ونضج هؤلاء الأبناء... ولكن إذا استمرت حدة التنافس والغيرة بين الإخوة مع تقدمهم بالعمر فإنها تصبح خطراً كبيراً وقنبلة موقوتة تهدد أواصر الأخوة الوثيقة.

نحن نناقش معكم هذه القضية:

كلهم أبنائي، ولكن!!

هذه أسرة تضم الأبوين وأربعة من الأشقاء الذكور... لم يحصّل الشقيق الأكبر إلا قدراً ضئيلاً من العلم إلا أنه شق طريقه العملي وحقق نجاحاً كبيراً في العمل بالتجارة وكوّن ثروة معقولة، وبينما حقق الأشقاء الثلاثة قدراً كبيراً من العلم، فإنهم تعثروا في حياتهم العملية، وبالطبع أصبح الشقيق الأكبر محط الأنظار والعطف والفخر من الأب الذي كثيراً ما يكرر على مسامع أبنائه بأنه لم ينجب سوى الشقيق الأكبر أو يقول لهم في لوم وتقريع: «انظروا إلى ما يفعل أخوكم وافعلوا مثله»، مما جعل هؤلاء الأشقاء يشعرون بكثير من الإحباط وبعض الكراهية أيضاً تجاه هذا الشقيق الذي حقق ما يعجزون عن تحقيقه.. ويقول الأب في مباهاة: لا أخفيك أنني أفخر بابني الأكبر لأنه حقق ما عجزت عن تحقيقه أنا، كما أنه دائم البر والرعاية بي وبأمه. وهذا لا يعني أنني لا أحب إخوته الآخرين ولكنني أريد أن أراهم ناجحين مثله في مضمار الحياة العملية وليس في مجال الدراسة فقط».

والبنات أيضاً

تقول «مي»... تعمل مدرّسة في كلية الألسن: كنت البنت الوحيدة في الأسرة مع اثنين من الأشقاء... وكنت متفوقة في دراستي للغاية، بينما كان أخواي الآخران لا يحققان إلا قدراً بسيطاً من النجاح ما جعلني أحظى برعاية الأسرة وتدليلها الزائد وكلمات الإطراء والتشجيع بينما لا ينال شقيقي سوى التقريع واللوم والمقارنة الدائمة بين ما يحققانه من فشل وما أحرزه أنا من نجاح وتفوق، فأصبحا ينظران إليّ بمزيد من القلق والتوتر وبعض الحسد، ورغم مرور السنين فإن شقيقي لا يزالان يذكران تلك الأيام بكثير من المرارة...

عملية تجميل

وتذكر «أماني»... وهي طالبة جامعية تجربة مغايرة لتجربة «مي» فتقول: رغم أنني البنت الوحيدة في الأسرة، فإن إخوتي الذكور هم الذين يحوزون نصيب الأسد في الرعاية والتدليل، فإذا حققت نجاحاً في دراستي فلا قيمة له أمام

البيت المسلم

النجاح الذي يحققه إخوتي الذكور حتى ولو كان ضئيلاً، وإذا قمت بعمل طيب يستحق الذكر والشكر فلا أحد يلتفت إليه ولكن إذا قام واحد من إخوتي بفعل مشابه فإن الأسرة تظل تتذكره وتطربه طويلاً وكأنه بطل تاريخي .. ورغم أنني تعودت على هذا السلوك من جانب أسرتي فإنني أشعر بكثير من الغيظ والحنق على هذه التفرقة في المعاملة.

وهذه فتاة جامعية على قدر من الجمال ولكنها تعتقد أنها قبيحة ومنفرة وكل أملها أن يتوفر لها قدر معقول من المال لإجراء عملية تجميل لتكون جميلة كأختها، وكل هذا لأن الأم دائماً ما تعقد المقارنات الشكلية بينها وبين أختها الكبرى حتى إنها زرعت بوجدانها أنها قد لا تتزوج لأن إمكاناتها الشكلية ليست كبيرة.

أخطاء فادحة

تقول الدكتورة: «سهام إبراهيم» أستاذة علوم التربية في جامعة الإسكندرية: من الأخطاء الفادحة التي يقع فيها بعض الآباء أنهم يسارعون الى عقد المقارنات بين أطفالهم سواء من الناحية الشكلية أو الدراسية أو غيرها، فقد تقول الأم في بساطة إن ابنتها فلانة أجمل من فلانة وهي لا تدري أنها بذلك تغرس أولى بذور الحقد والتنافس بين أولادها كما أنها قد تزرع صفة الغرور والأنانية في نفس إحدى الأختين وتسلب الأخرى اعتزازها وثقتها بنفسها، أو قد يقول بعض الآباء إن إبنهم فلان أذكى وأكثر تفوقاً من فلان مما يخلق نوعاً من الغيرة غير المحمودة والتنافس بين الشقيقين. فعلى الآباء والأمهات أن يكونوا حذرين للغاية وأن يتجنبوا عقد المقارنات بين الإخوة.

مصنع العقد النفسية

ويحدثنا الدكتور/ أحمد عكاشة أستاذ علم النفس المعروف عن الغيرة بين الأبناء فيقول: مرحلة الطفولة هي مصنع العقد النفسية التي تترسب في وجدان الإنسان وتحكم تصرفاته وسلوكاته فيما بعد، فلا يمكن أن أشخص حالة مرضية من دون أن أرتد مع صاحبها إلى مرحلة الطفولة لأنها المرحلة التي تشكل لا وعي الإنسان ووجدانه، والغيرة بين الأبناء هي حالٍ طبيعية يمر فيها أبناء الأسرة الواحدة ذكورا وإناثا حيث تجد سرعا بينهم على امتلاك الأشياء الصغيرة أو اجتذاب اهتمام الأبوين واستدرار عطفهما، فحين يمرض أحد الأطفال ويجد إخوته أنه محاط بكل مظاهر الرعاية والتدليل فإنهم بدورهم يمارضون ليحظوا بالرعاية نفسها، ويظهر هذا جلياً حين تستقبل الأسرة مولوداً جديداً فيستقبله الصغار الأخرون بمزيد من القلق والتوتر وخصوصاً إذا أحاطه الأبوان برعاية زائدة فيشعر الآخرون بأنهم فقدوا عروشهم ومكانتهم لدى أبائهم وأمهاتهم، ولكن بعد أن يفارق هؤلاء الأطفال مرحلة الطفولة ويبدأون بالدخول في طور النمو فإن حالة الغيرة والتنافس

الغيرة بين الأطفال من الأشياء الطبيعية، وعلى الآباء الابتعاد عن عقد المقارنات بين أولادهم

تنتهي أو تخف حدتها كثيراً، أما إذا استمرت في معدلات غير طبيعية أو لافتة للانتباه فغالباً ما يكون هناك خلل واضح في طريقة التربية والقيم التي غرسها الأبوان في نفوس الصغار من حيث تفضيل أحد الإخوة على الآخرين أو بإذكاء حدة التنافس بينهم لينقلب هذا التنافس فيما بعد إلى ما يشبه التناحر والحقد والحسد.

مكافأة بلا حسد

وهنا يتساءل بعضهم في حيرة: كيف السبيل إذن إلى مكافأة الابن المتفوق من دون أن نثير عوامل الغيرة والحسد لدى بقية الإخوة؟

عن هذا التساؤل تجيب الدكتورة: «منة الله عبود» الأستاذة في معهد علوم الطفولة في جامعة عين شمس: بالطبع من المطلوب والحبب جداً أن نكافيء أبناءنا المتفوقين أو الذين يقومون بأفعال طيبة حتى نشجعهم على التفوق والاستقامة وحتى يشعروا بأن جهودهم لم تذهب هباء، ولكن على الآباء أن يجعلوا موضوع المكافأة شيئاً عابراً، وأن يجعلوا الطفل الذي نال المكافأة يُشرك إخوته فيها سواء كانت لعبة أو غير ذلك من الجوائز وحتى لا يشعر هؤلاء الإخوة بالحسد أو الحنق على أخيهم، فإذا كان لدى الأسرة طفلان مثلاً وأحرز أحدهما تفوقاً في دراسته فلا مانع من شراء هدية رمزية له وإخباره في الوقت نفسه ألا يحرم أخاه منها لأنه يحبه، ولا مانع أيضاً أن يخبر الأبوان الطفل الآخر أنهما يحبانه كحبهما لأخيه ويرغبان في أن يحرز تفوقاً في دراسته حتى يسعدا به أكثر، وعليهما أن يبتعدا قدر الإمكان عن المقارنة بين الاثنين أمام أيٍ من الطفلين.

وتواصل الدكتورة «منة الله» قائلة: من اللافت أنه إذا كان في الأسرة طفل متفوق فإن الأسرة تعمل دائماً على أن يصبح بقية إخوته متفوقين مثله وفي مستواه نفسه بينما لا تعبأ بإمكاناتهم الذهنية أو العقلية فيكلفون أبناءهم ما لا يطيقون ويعملون من حيث لا يدرون على إشعال نار الحسد بين الأبناء، فعلى الآباء أن يشتعوا بأن أولادهم لن يكونوا في مستوى واحد من الذكاء والفطنة والتفوق، وهذا أيضاً لا يمنع من محاولة حثهم على التفوق من دون ضغوط نفسية كبيرة.

أسس راسخة

الرعاية النبوية للأطفال سبقت كل المواثيق والأعراف الدولية

وبحدثنا الدكتور/ حامد سفوت الأستاذ في كلية الدراسات العربية والإسلامية في جامعة الأزهر عن هذه الظاهرة من المنظور الإسلامي فيقول: سبقت الرعاية النبوية للأطفال كل المواثيق والأعراف الدولية والنظريات التي تتحدث عن تربية الأطفال وحقوقهم ورعايتهم بقرون طويلة، ولا تزال التقاليد والآداب الراسخة التي أرساها النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم هي الأجدى والأنفع في بناء الإنسان السليم نفسياً وعاطفياً، فقد اهتم الإسلام بحقوق الطفل كلها حتى حقه في أن يختار الأب زوجة ذات دين لتكون أماً صالحة تحسن رعاية الأولاد وحضانتهم حتى من حق الطفل أن يختار له أبوه اسماً يطلقه عليه فلا يتأذى أو يخجل منه إذا كبر، وحقه أيضاً في الرعاية والتدليل والحنان. كما اهتم الإسلام أيضاً اهتماماً بالغاً بقضية المساواة بين الأبناء وعدم التفرقة بينهم في المعاملة سواء النفسية أو المادية صداً لعوامل الحسد والغيرة.

فعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «اتقوا الله في أولادكم» (رواه مسلم). ويقول أيضاً صلى الله عليه وسلم موصياً الآباء: «اعدلوا بين أبنائكم، اعدلوا بين أبنائكم» (رواه مسلم وأحمد وأبوداود). وهذا التشديد النبوي الشريف، على قيمة العدل بين الأبناء يشير الى أهميته البالغة فهو من ناحية يمنع الحسد والكراهية ومن ناحية أخرى يعزز أواصر الألفة والمودة بين الإخوة والآباء. كذلك أوصى صلى الله عليه وسلم بالعدل بين الأبناء في العطاء، في هذه الواقعة أرسى فيها النبي الكريم صلى الله عليه وسلم قواعد العدل والتسوية بين الابناء في المنح المادية والعطايا، فقد جاء النعمان بن بشير الى الرسول صلى الله عليه وسلم فقال: إني أعطيت ابني من عمرة بنت رواحة عطية، فأمرتني أن أشهدك يا رسول الله، قال أعطيت سائر ولدك مثل هذا؟ قال: لا، قال: فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم» فرجع في عطيته. (رواه البخاري) وفي رواية مسلم قال له النبي صلى الله عليه وسلم: «فلا تشهدني إذن فإني لا أشهد على جور» وفي رواية النسائي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: أليس يسرك أن يكونوا لك في البر سواء؟ قال: بلى، قال: فلا إذاً.

هكذا كان توجيهه صلى الله عليه وسلم في العطاء المادي المحسوس، ولم يغفل أيضاً عن الأمر بالعدل حتى في العطف الأبوي على الأبناء، فقد ورد عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً كان عند النبي صلى الله عليه وسلم فجاءه ابن له فقبّله وأجلسه على فخذه، وجاءت بنت له فأجلسها بين يديه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ألا سويت بينهم؟ (فتح الباري) .. وهذه اللفتة النبوية الكريمة تجعل التفرقة بين الإناث والذكور أمراً مذموماً غير محمود. فالرعاية الأبوية والعطف والحنان لجميع الأبناء بالتساوي حتى لا تكون دافعاً للحقد والتشاحن بين الإخوة فيما بعد ■

فجاءته إحداهما تمشي على استحياء!!

> كثير من العقلاء في الغرب يسعون إلى استصدار قوانين للحد من ظاهرة العري والإسفاف

بقلم: نبيلة عبدالعزيز حويحي. كاتبة مصرية

في برنامج بثّته إحدى الفضائيات العربية وخصصته لمناقشة ما يُقدم على الفضائيات من عُرْيٍ وإسفاف باسم الفن، اعترضت إحدى الضيفات على استشهاد أحد الضيوف ببعض آي الذكر الحكيم والأحاديث الشريفة، وتساءلت مستنكرة: لماذا يحاول بعضهم الزج بالإسلام في كل قضية تُعرض للنقاش؟ مما دعا ذلك الضيف إلى الرد عليها متسائلاً أيضاً: وهل هناك عيب في أن يكون الدين حاضراً في كل قضايانا؟ فاشاحت عنه بوجهها.. بينما تلقف الكرة أستاذ شهير في علم الاجتماع. وكان هو الآخر ضيفاً على البرنامج. ليقول بوضوح: أنا مدهوش لأن هناك حال من «الارتكاريا» تصيب بعضهم حين تأتي سيرة الإسلام، وأنا في الحقيقة لا أعرف لها سبباً!!.

وفي برنامج فضائي آخر راحت إحداهن - وقد ذكر صاحب البرنامج اسمها مسبوقاً بالكاتبة والمفكرة التقدمية الكبيرة - تدافع عن العُرْي الذي يُقدَّم في كثير من الفضائيات باسم الفن، معللة إياه بأن المجتمعات الحديثة لم تعد تقبل القيود تحت أي مسمى، ولم تنس أيضاً أن تقول: إن المرأة قد بلغت سن الرشد الفكري، ولم تعد قاصراً تحكمها العادات والتقاليد البالية وعلى من لا يعجبه ذلك أن يغلق جهاز التلفاز أو يتحول إلى محطة أخرى ليشاهد ما يروق له.

وهو منطق واه وحجج متهافتة لا يستسيغها عقل ولا يرضى بها وعي سليم أو ذوق مستقيم، لأن هذه السيدة ومن لفّ لفها تتغافل حتى أن الكثيرين من العقلاء في الدول الغربية يسعون إلى استصدار بعض القوانين والقرارات التي تحد من ظاهرة العُرْي والإسفاف المدمرة للشباب والقيم الإنسانية النبيلة...

ففي خبر نشرته وكالات الأنباء قامت هيئة

الاتصالات الفيدرالية الأميركية بفرض غرامة قيمتها (٧٥٥) ألف دولار على إحدى المحطات الإذاعية لأنها أذاعت إعلاناً إباحياً اعتبره أحد المواطنين ماسّاً بالأخلاق العامة. فقام بالاتصال ببعض أعضاء «الكونجرس» الذين عملوا بدورهم على طرح القضية في مجلس النواب من دون أن يُتهم بالتطرف أو التخلف... وحالياً تدرس الإدارة الأميركية تخفيف القيود القانونية التي تعوق إنشاء مدارس أميركية غير مختلطة للفصل بين الجنسين بعد تفشي الفساد والانحراف والعنف في أوساط الشباب والمراهقين!.

ونقول يرحم الله ذلك الزمن الذي كانت فيه المرأة تخجل من نفسها حين تسقط في مستنقع الرذيلة أو الانحراف وترجو أن تجد الرجل الذي ينتشلها من طريق الضياع فتأوي إلى ظله لتعيش حياة نقية كريمة وتحاول أن تخترع الحجج والتعليلات ـ وإن كانت كاذبة ـ لتبرير سلوكها المنحرف، فمرة تحمل انحرافها إلى الظروف القاسية، ومرات إلى عملية خداع تعرضت لها من أحد الرجال. وكانت تفعل ذلك ـ أعني عملية التبرير لانحرافها ـ بدافع من بقايا حياء لا يزال يسكن أعماقها... ولكنها الآن صارت تفخر بهذا العُرّي وتعده نصراً لها وتجد من يدافع عنه وعنها باسم الحرية والتقدم.

• • •

ولا يملك الذهن حين يستمع إلى تلك السيدة التقدمية في الفضائية وأضرابها وما يرددنه من تفاهات ومنطق فاسد لعله أشد ضراوة من العُرّي نفسه، لأنه يحاول أن يجد له غطاء مشروعاً يتستر بالحرية والعصرنة إلا أن يستدعي تلك القصة الرائعة التي أوردتها الآيات الكريمةمن سورة القصص منذ توجه سيدنا موسى عليه السلام إلى مدين.

(ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير. فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال ربِّ إني لما أنزلت إليَّ من خير فقير، فجاءته إحداهما تمشي على استحياء قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقصّ عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين. قالت إحداهما يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين. قال إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج فإن أتممت عشراً فمن عندك وما أريد أشق عليك ستجدني إن شاء الله من الصالحين) القصص: ٢٣ ـ ٢٧.

ولا أملك حين أستمع إلى هذه الآيات الكريمة إلا أن أحلّق عالياً مع التعبير القرآني الرائع البليغ «تمشي على استحياء» وكأنها النسمة الرقيقة التي تفيض رقة وأنفة وإشراقاً. وتسيل عذوبة وحناناً وخجلاً وأنوثة... ولا أملك أيضاً إلا أن أرسم بخيالي صورة عصرية مشرقة لفتاتين مؤمنتين جميلتين طيبتين محجبتين يملأ نور الإيمان والتقوى وجيبهما ويغمر نفسيهما الزكيتين. وإذا بالظروف القاسية تدفعهما دفعاً إلى ميدان العمل الشاق... ومع ذلك لا تفقد إحداهما شيئاً من أخلاقها أو حياتها ولم تحاول إحداهما أن تصبح «رَجُلة» فتزاحم الرجال على مورد الماء، بل تنتظران حتى يخلو الطريق من الرجال... وهذا الحياء أيضاً لم يمنع إحداهما من إبداء رأيها الصائب الحكيم في سيدنا موسى. عليه السلام. وبحضرة الأب ذلك الرجل الصالح الذي أحسن القيام. من دون ريب. على تنشئة ابنتيه على الخلق الكريم والشجاعة والصراحة، حيث التقط في ذكاء حاد تلك الإشارة العاطفية من ابنته فيعرض على سيدنا موسى الزواج بها.

تعاليم الإسلام الحانية مست حياة المرأة فنقلتها إلى فضاء النور والحرية

• • •

ولا يملك الذهن أيضاً إلا أن يسترجع صورة أخرى تقدمها لنا السيدة عائشة رضي الله عنها وقد جلس إليها بعض النساء يوماً فذكرن نساء قريش وفضلهن. فقالت: إن لنساء قريش فضلاً. وإني والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار. ولا أشد تصديقاً لكتاب الله، ولا أشد إيماناً بالتنزيل. لقد أنزلت هذه الآية ٣١ سورة النور (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) فانقلب رجالهن إليهن يتلون عليهن ما أنزل الله إليهن فيها، ويتلو الرجل على امرأته وابنته وأخته وعلى كل ذوي قرابته، فما منهن امرأة إلا قامت إلى مرطها المرحل، المزخرف الذي فيه تصاوير،

نظرة واحدة إلى المجلات التي تسمي نفسها نسائية تكفي لكشف الحقيقة المرة

فاعتجرت به، شدته على رأسها تصديقاً وإيماناً بما أنزل الله من كتابه، فأصبحن وراء رسول الله صلى الله صلى الله عليه وسلم معتجرات كأن على رؤوسهن الغربان» (ذكره ابن كثير في آية النور).

ولا أحلى ولا أبلغ من تعليق شيخنا الجليل الدكتور «يوسف القرضاوي» على هذا الموقف النبيل لهاتيك النسوة المؤمنات الصادقات حين يقول: «هذا هو موقف النساء المؤمنات مما شرَّع الله لهن، موقف المسارعة إلى تنفيذ ما أمر واجتناب ما نهى، بلا تردد ولا انتظار، أجل... لم ينتظرن يوماً أو يومين و أكثر حتى يشترين أو يخطن أكسية جديدة تلائم غطاء الرؤوس وتتسع تضرب على الجيوب، فقد شققن من ثيابهن ومروطهن، وشددنها على الرؤوس غير ميالياتٍ بمظهرن الذي بدوْن فيه كأن على رؤوسهن الغربان كما وصفتهن أم المؤمنين عائشة.

وإذا كانت تعاليم الإسلام الحانية قد مسّت حياة المرأة فنقلتها إلى فضاء النور والحرية وأنقذتها من حياة الجهل والخمول وأدخلتها إلى غمار الحياة المفيدة النافعة، فإن الحضارة الغربية الحديثة، التي تتشدق كثيرات من مثقفاتنا بإحسانها إلى المرأة، قد أطلعت وباقتدار تام في أن تسلب المرأة روحها وعقلها وتحيلها إلى دمية لا تهتم إلا بمظهرها وجسدها.. وهذه الحضارة، حَسَبَ رأي الشاعرة العراقية الكبيرة «نازك الملائكة»، لا تتعامل مع المرأة بأكثر من كونها جارية أو أداة من أدوات المتعة... فنظرة واحدة إلى المجلات التي تسمّي نفسها نسائية تكفي لكشف الحقيقة المرّة حيث لا تجعل للمرأة هدفاً أبعد من ملابسها وحقائبها وأحذيتها. فنجد أمثال هذه العناوين المهينة بحق المرأة: «سيدتي ماذا تلبسين في رحلة بحرية؟». «ملابس للصباح»، «تسريحات للشعر بعد الظهر»، أو «بأي ملابس تظهرين في حفلة العشاء؟». وملابس الصباح تختلف عن ملابس المساء والملابس التي ترتديها المرأة على ضفاف البحر تختلف عن تلك التي تلبسها وهي تمارس رياضتها المفضلة... وبالطبع لكل ملابس أقراط خاصة بها وحقائب وأحذية وأحمر شفاه وعقود تنسجم معها... وتواصل الشاعرة الكبيرة تعليقها الساخر قائلة: «باختصار نجد أن الحياة كلها لا تكفي لأناقة المرأة واهتمامها بمظهرها، أما العقل فيتقاعد منسحباً تحت الغبار الكثيف. أما الروح فينحط مستواها ويقتلها المظهر فلا يبقى منها إلا خواء فارغ» ■

التبول اللاإرادي عند الأطفال

أسبابه... وطرق علاجه

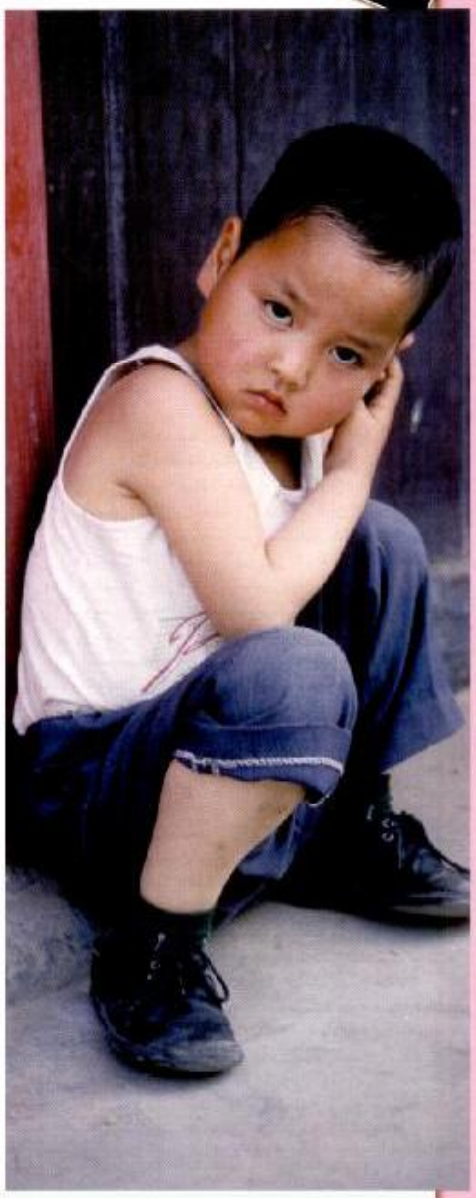

تشوهات العمود الفقري وخصوصاً الفقرات القطنية تسبب ضغطاً على الأعصاب المتحكمة في عمل المثانة

إعداد: د. محمد مصطفى السمري

التبول اللاإرادي ظاهرة مرضية شهيرة، يعرف باسم «سَلَسُ البول»، ويعني عدم قدرة الطفل على التحكم في البول بعد بلوغه العام الرابع، ومعروف طبياً أن الطفل يمكنه التحكم في عملية التبول في أثناء النهار في نهاية العام الثاني من العمر، ويمكنه ضبط عملية التبول في أثناء الليل في أوائل العام الثالث أو في منتصفه، وعلى ذلك يمكن اعتبار الأمر ظاهرة مَرَضية، إذا ما تجاوز الطفل عامه الرابع مع استمراره في حال التبول اللا إرادي.

ويُطلق مصطلح التبول اللاإرادي - غالباً - للدلالة على التبول في أثناء النوم فقط Nocturnal Enuresis، ولكن في بعض الحالات يحدث التبول اللاإرادي في أثناء الليل والنهار أيضاً، ويحدث التبول اللاإرادي عادة بعد الاستغراق من ساعة إلى ثلاث ساعات في النوم أي في أثناء الانتقال من المرحلة الثالثة إلى الرابعة للنوم، وعادة لا يتذكر الطفل أي شيء منها. وقد يدرك الطفل في أثناء نومه أن مثانته ممتلئة وأنه بمقدوره التحكم في تفريغها، ولكنه يجد صعوبة شديدة جداً في فعل ذلك مقارنة بالطفل العادي، وتشير الإحصاءات إلى شيوع التبول اللاإرادي بين البنين أكثر من البنات، كما أنه أكثر شيوعاً بين الطبقات الاجتماعية الفقيرة، ويحدث عادة بين سن ٤ ، ١٥ سنة، وتصل نسبته إلى ١٢٪ من الأطفال عند عمر ٥ سنوات، و٨٪ عند عمر ٨ سنوات، و١٪ حتى سن ١٥ سنة.

الأسباب

أولاً: وجود خلل أو تخلف في النضوج الوظيفي أو التركيبي لأحد أعضاء الجهاز البولي وبخاصة «المثانة» أو الجهاز العصبي المتحكم في الجهاز البولي، وأيضاً تقصير الأمهات في تدريب أطفالهم على عادة التبول في أوقات محددة، ومعلوم أن للمثانة «عضلتين» عضلة «خارجية» تخضع لسيطرة إرادة الإنسان يفتحها

ويغلقها حسب رغبتها، وعضلة «داخلية» لا تخضع لإرادة الإنسان، بمعنى أنها تفتح نفسها وترتخي عندما تتجمع كمية معينة من البول في المثانة، إلا أنه قد وجد أن تدريب هذه العضلة على أن ترتخي وتفتح في مواعيد ثابتة يجعلها لا ترتخي أو تفتح إلا في هذه المواعيد فقط، وبذلك ينتظم عملها انتظاماً كلياً، وهذا هو السبب في أن الأم تدرب طفلها على الجلوس على «المبولة» في أوقات منتظمة فتصبح عادة مكتسبة عنده، ويعتبر العمر من ١٢ ـ ١٤ شهراً من عمر الطفل هو أنسب الأوقات لبدء تدريب الطفل على عادة التبول.

ثانياً: أسباب عضوية: وتعود إلى وجود مرض عضوي مثل:

١ ـ التخلف العقلي وبعض الأمراض العصبية مثل الصرع.

٢ ـ التهابات حوض الكلى أو الحالب أو المثانة، أو وجود حصوات فيها.

٣ ـ ضيق المثانة وعدم نموها.

٤ ـ أمراض عامة وأهمها: مرض السكر، ومرض البول غير السكري الناشئ عن اضطراب الغدة النخامية Diabetes Insipidus، والطفيليات المعوية مثل: «الإكسيوروس» و«الأنكلستوما» و«البلهارسيا» التي تسبب تهيج المثانة وخصوصاً ليلاً. كذلك التهاب اللوزتين والزوائد الأنفية «اللحمية» الذي يؤدي إلى صعوبة التنفس فترتفع نسبة ثاني أكسيد الكربون في الدم فيصبح نوم الطفل نوماً عميقاً جداً، ومن ثم لا يشعر بحاجته للقيام للتبول.

٥ ـ تشوهات العمود الفقري وخصوصاً الفقرات القطنية لأنها تسبب ضغطاً على الأعصاب المتحكمة في عمل المثانة أو وجود عيب خلقي يعرف باسم «الصلب المفلوح الخلفي».

ثالثاً: أسباب نفسية: وتمثل ٥٠٪ من الأسباب وتعود إلى ما يلي:

١ ـ خوف الطفل من الظلام أو من الحيوانات أو من الأشباح أو من القصص والتمثيليات المرعبة.

هناك علاقة بين حدوث التبول اللاإرادي عند الطفل وبين الشعور بعدم الأمان

٢ ـ فقدان الطفل الشعور بالأمن والاطمئنان.. وثمة علاقة بين حدوث التبول اللاإرادي عند الطفل وبين الشعور بعدم الأمان في العلاقة الزوجية بين الأبوين، وهنا يصاحب التبول اللاإرادي حالات الثأثأة والجبن وتنتاب الطفل نوبات من الغضب وتضعف ثقته بنفسه.

٣ ـ فقدان شخص حبيب إلى نفس الطفل مثل الأم أو الأب أو كليهما.

٤ ـ حرمان الطفل من الحنان والعطف، سواء في البيت أو في الحضانة أو المدرسة.

٥ ـ ضرب وتوبيخ الطفل بعد تبوله.

٦ ـ اعتماد الطفل على أمه وحاجته إلى اللجوء إليها، يجعل من التبول حيلة لا شعورية تساعد الطفل على تحقيق ما تعوّده من اهتمام أمه بجميع طلباته.

٧ ـ قلة العناية بالطفل بعد الاهتمام به عقب شفائه من مرض ما مثلاً، أو ولادة طفل جديد، فإنه حينئذ يسعى لاكتساب الاهتمام والعناية مرة أخرى على هيئة: التبول اللاإرادي.

العلاج:

١ ـ يجب على الطبيب المعالج المبادرة إلى علاج أي مرض عضوي بعد عمل التحاليل والفحوصات المعملية اللازمة، وبعد تناول التاريخ المرضي والنفسي والاجتماعي للطفل، وكذلك بحث عاداته وسلوكه في البيت والمدرسة.

٢ ـ بعد التأكد من سلامة الطفل من الأمراض العضوية، و في حال استمرار التبول اللاإرادي بعد علاجها يبدأ العلاج النفسي الذي يرتكز على بحث الأسباب المؤدية إلى التبول مع الطفل، وأيضاً مع الوالدين. فإن ذلك يزيل الشعور بالذنب والخجل عند الطفل، علاوة على أنه يساعده على التحكم في التبول بعد معرفة السبب، ويبعث فيه الأمل في الشفاء مهما طالت مدة المرض التي سبقت العلاج.

يجب على الأبوين نبذ القلق وبث الأمل في نفسية الطفل المصاب بالتبول اللاإرادي

٣ ـ يجب إرشاد الأبوين إلى ضرورة نبذ القلق وبث الأمل في نفسية الطفل، كما يجب عدم إهانة الطفل أو توبيخه بعد التبول، بل يجب منحه مكافأة تشجيعية عن كل ليلة تمر من دون أن يبلل فراشه.

٤ ـ تدريب الطفل في أثناء النهار على حبس البول أكبر قدر ممكن، والذهاب إلى دورة المياه في أوقات محددة مع زيادة الوقت الفاصل بينهما بالتدريج.

٥ ـ يراعى الحد من شرب السوائل بعد الساعة السادسة مساء، وتعويد الطفل على إفراغ مثانته قبل الذهاب إلى النوم، ويجب أن يتيسر للطفل التبول ليلاً في مكان قريب مضيء حتى لا يحجم عن الذهاب بسبب خوفه من الظلام، مع ملاحظة موعد التبول اللاإرادي وإيقاظ الطفل قبل الموعد بقليل لإفراغ المثانة. ويمنع الطفل من تناول المخللات والبهارات والحلويات والقهوة والشاي وخصوصاً في المساء.

٦ ـ يتم علاج الطفل ـ بوساطة الطبيب ـ باستخدام العقاقير مثل: «البلادونا» وبعض الأدوية المهدئة، ومضادات الاكتئاب مثل «التوفرانيل» و«التريتوزول» وغيره.

٧ ـ استعمال جهاز الإنذار الكهربي Electreic buzzer: وهو جهاز كهربي عبارة عن وسادة سلكية صغيرة موضوعة فوق مرتبة الطفل ومتصلة بجرس بجوار سرير الطفل، وعند سقوط أول قطرة بول فإن الدارة الكهربائية تتوقف، فيرن الجرس داخل الحجرة، ما يؤدي إلى توقف الطفل عن التبول على الفور حتى قبل أن يستيقظ، ومع تكرار هذا النوع من الإنذار، يكتسب الطفل عادة التحكم في التبول في أثناء النوم ويمكنه الاستيقاظ تلقائياً كلما شعر بحاجته إلى التبول من دون الحاجة إلى إنذار ■

صحافة الأطفال والدور المطلوب

بقلم: ليلى عبدالكريم حسن

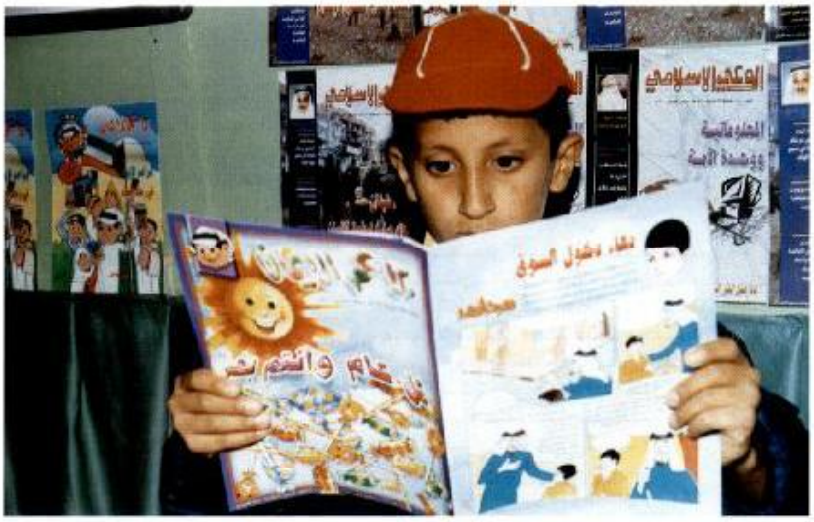

إن صحافة الأطفال تُعدُّ فناً أدبياً ناشئاً في معظم دول العالم، لذلك فإن الحديث عن هذه الصحافة هادئ وسلس، ولا سيما أن الكتابة بحسب «توماس كارليل»: هي أكبر معجزة حققتها البشرية.

وبإشراقة متميزة من «غوتنبرغ» ولدت الصحيفة، وبدأت رحلة جديدة تتألق يوماً بعد آخر، وتشق مطلوعات ودوريات تنير ظلمة الحياة، وتسهم في ارتقاء الحضارة.

لقد نمت صحافة الأطفال باسقة فروعها، وارفة ظلالها، وأينعت في حدائق التاريخ وبساتين الكون بعد أن ظهرت بواكيرها في فرنسا مع نهاية القرن الثامن عشر.

أمر لا بدّ منه

وإنه أمر لا بد منه أن تكون هناك صحفاً ومجلات خاصة بفلذات الأكباد، لأن تلكم الصحف والمجلات هي بمثابة ثقافة مستديمة للأطفال، حيث تثمر وتغني ما يتحصلونه في مدارسهم. من هنا فإن ما ينبغي أن تتناوله صحافة الطفل هو العمل بجدية على تعزيز قرب الطفل إلى واقعه في إطار من التوجهات الاجتماعية والتربوية والبيئية والدينية. فالأطفال في عسيس الحاجة إلى دور كهذا يهتم بهم، ولن نجد مدخلاً إلى قلوبهم البيضاء أكثر رحابة من صحافة على مستوى إدراكهم ومنالهم الجميل. ولقد سبق «رفاعة الطهطاوي» إلى التنبيه على ضرورة مخاطبة الطفل عبر صحافة خاصة بعالمه منذ منتصف القرن التاسع عشر، إلا أن هذه الصحافة تعثرت وفقاً لمقتضيات كثيرة.

والمهم في الأمر أن نعلم الطفل كيف يمكن أن يحب الحياة والجمال والنظام والتعاون وقيم الأصالة ومبادئ الكرامة عبر نصوص تتسم بالجمالية ورونق الحس الإنساني النبيل.

إلى إبداع جديد

إن صحافة الأطفال اليوم ينبغي أن تتجاوز الحكاية المصورة والروايا المينة مثل: هل نعلم، وحكم وطرائف، وأقوال مأثورة... ينبغي أن تتجاوز ذلك إلى ابداع جديد يتواكب مع عقلية أبناء اليوم الذين صارت رؤاهم أكثر اتساعاً... فالحكايات المصورة مضى زمنها، لأن طفل اليوم يجدها بصورة أكثر شمولاً وقرباً في التلفاز والكمبيوتر والإنترنت... وذلك بالصوت والصورة.

عقلية علمية

ومن ثم فإن أهم بناء لعقلية الطفل هو أن نخاطبه بأسلوب علمي يتناسب وقدراته وميزات المنهج الثقافي التربوي الأصيل الذي يأخذ بالأولويات، ويستقي الأفكار من مصادرها بعيداً عن الوهم والخرافة والأباطيل، وذلك ضمن صياغة فنية ميسرة... فالمادة الموجهة للطفل لها طبيعتها حيث تهدف إلى تربية الوجدان، وتنمي الإحساس بالجمال، وتثبت القيم الخلقية، وتنمي المهارات.

صحفي الأطفال

إلى ذلك لابد أن يكون صحفي الأطفال موضع ثقة الطفل، وأن يتصف بالخبرة والوقار والصدق والاتزان، وأن يضع في مقدمة تطلعاته مبدأ الحق وتحري الأمانة في القول والوصف، حتى تصل رسالته.

فقدان العلاقة

إن صحافة الطفل ربما لا تزال تفتقد العلاقة الوثيقة مع عالم الطفل. فكثيراً ما تكون الصحيفة أو الدورية حريصة على ما هو مبثوث في وكالات أجنبية من أخبار رسمية وغيرها، إلى جانب ضعف الإخراج من الناحية الفنية، كما أنها قد تفتقد مسألة التشويق التي هي غاية في الأهمية بالنسبة لعالم الصغار... وهنا لا بد أن أذكر بضرورة الوقوف عند هذه الصحافة التي تشكل عالماً متكاملاً تدفع صغارنا إلى الحرص على القراءة الواعية، وتثري لغتهم وتغني أفكارهم البريئة.

أخيراً

تبقى مسألة البناء في غاية الأهمية، لأن طفل اليوم هو رجل الغد، ولكي يكون غدنا أفضل من يومنا، ولكي يكون مشرقاً على الدوام، لابد من البناء التربوي السليم ■

كيف تتعامل الأم مع بدانة طفلها؟

لا تقتصر البدانة على الكبار فقط إنما تصيب الأطفال أيضاً، وقد أصبحت البدانة مشكلة حقيقية بين أطفال العالم. ففي فرنسا يعاني ١٠٪ من الأطفال من البدانة، وفي ألمانيا بلغت هذه النسبة ٢١٪ عند الأطفال. أما في بلجيكا فتصل هذه النسبة إلى ١١٪، وفي إيطاليا ١٥٪.

وتشير الإحصاءات في أميركا إلى أن ١٧٪ من الأطفال الأميركيين بدينين منهم ٥٪ شديدو البدانة، ومن المتوقع أن تتضاعف هذه النسبة خلال السنوات الخمس المقبلة.

وقد توصل العلم إلى أن هناك متغيرات عدة تنبئ بالبدانة منها ظروف الميلاد وبعض العادات الغذائية الجديدة، وصحة الوالدين.

فعلى سبيل المثال: عندما يكون أحد الآباء ضخماً فإن احتمال إصابة الطفل بالبدانة تصل إلى ٤٠٪، وعندما يكون الأبوان بدينين فإن احتمال إصابة الطفل بالبدانة تصل إلى ٨٠٪، وتنخفض هذه النسبة إذا قارنا معدل وزن الطفل في الشهادة الصحية بمعدل الصحة العامة للصغير. لذا يجب وزن الطفل بانتظام، ففي الأشهر الأولى يوزن مرتين وهكذا حتى الشهر السادس، ويوزن مرة كل ثلاثة أشهر حتى السنة الثانية، ثم مرتين في السنة على الأقل بعد بلوغه عامين. وعندما يكون وزن الطفل مرتفعاً في سن السادسة فإن احتمال البدانة يصبح محتوماً.

إن الطفل البدين قد يسبب وضعاً محرجاً لنفسه ولأسرته ويكون الآباء شديدي الحساسية تجاهه. ولكن الطب يؤكد أن الأمر أبسط من ذلك بكثير، فالدهون تمثل ١٧٪ من وزن الوليد. وتتجاوز هذه النسبة من ٢٥ ـ ٣٠٪ حتى السنة الأولى، ولذلك من الطبيعي أن يكون الأطفال مستديرين بعض الشيء. ثم تقل النسبة في السادسة من العمر، وقد يبدو الطفل نحيلاً جداً. وفي السابعة يزداد الوزن من جديد ولا سيما عند البنات لتبلغ نسبة الزيادة ٢٣٪ حتى سن ١٥!!.

وهناك حال مهمة وهي أنه إذا لاحظ الآباء أن الطفل البدين ممتلئاً بعد ثمانية أشهر وأنه يأكل أكثر وبصورة مستمرة، فتكون هذه الحال مقلقة ويجب بعد السنة الأولى استشارة المختصين فوراً حتى يعود الصغير على هيئة طبية مماثلة لأقرانه الصغار.

والسبب الرئيس والأساسي للسمنة هو سوء العادات الغذائية التي تبدأ من الطفولة الأولى ففي وطننا العربي يكون سلوك الأمهات الخاطئ في إطعام الطفل من دون قيد أو شرط هو السبب في بدانة الطفل. فالطفل البدين هو مثال الطفل الجميل الذي تحلم به كل أم عربية. وللأسف لا تعلم تلك الأمهات أنهن يضعن أولادهن على أول درجة من سلم السمنة التي يزداد بشكل مطرد ليصبح مرضاً لا نستطيع التخلص منه، فالأم تجهل الأمراض التي تسببها السمنة، والتي تشكل خطراً على الطفل. إذ إن الخلايا الدهنية المنضخمة هي خلايا مريضة تفرز مواد شبه هرمونية في الجسم تؤدي للإصابة بمرض السكري بنوعيه: الشبابي والكهلي. وكذلك ارتفاع الضغط وما يرافقه من أمراض قلبية، بالإضافة لإصابات المفاصل التنكسية والالتهابية.

إن تلك الأمراض خطرة جداً وتهدد الحياة، وأنها تؤدي على الأقل لمضاعفات لا تحمد عقباها.

فما السبيل لتفادي تلك الأخطار:

إنها العادات الغذائية السليمة والصحيحة وليس الحمية. فالعادات السليمة تكمن فيما يلي:

- تناول الطعام بكميات قليلة ومتعددة «ونحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع».
- الابتعاد عن الوجبات السريعة الغنية بالدهون والسكريات.
- الابتعاد عن المشروبات الغازية. حيث إنها مضرة ١٠٠٪ وتؤدي إلى عسر الهضم.
- الابتعاد عن السكريات والحلوى أو منح الطفل كميات قليلة ومحسوبة منها.
- الإكثار من الخضراوات والفواكه وتعويد الطفل عليها.
- ممارسة الرياضة بمختلف أشكالها.
- فسح المجال واسعاً للطفل لكي يلعب إذ يرى الخبراء أن اللعب أحد الحلول المهمة لمشكلة البدانة لأنه يحدد نشاط الطفل ويستهلك الشحوم الزائدة ويساعد على النمو ويكسبه الثقة والقدرة على تحقيق النجاح والتفوق.
- متابعة وزن الطفل الصحيح عن طريق طبيب مختص بالكشف الدوري ■

السبب الرئيس والأساسي للسمنة يكمن في سوء العادات الغذائية التي تبدأ من الطفولة الأولى

إعداد: ليلى عبدالرحمن السلطان ـ سورية

•• المصادر ••

١ ـ «طفلي بدين. ما العمل؟» مجلة «الغذاء الصحي» اللحق السنوي ٢٠٠٣م.

٢ ـ «السمنة عند الأطفال» د. محمد ثابت صلاحية ـ مجلة الغذاء الصحي ـ اللحق السنوي ٢٠٠٣م، عدد خاص بالأطفال.

ابتعدي عن هذه الأخطاء!

حاولي أيتها الأم ألا تسمحي لبناتك بالخروج متبرجات كاسيات عاريات يسرن وحدهن في الشوارع

بقلم: ليلى محمد محمد

بعض الأمهات يتركن أولادهن في مرحلة الطفولة للخادمات والحاضنات بسبب انشغالهن بالعمل أو بأشياء أخرى، والأم بتصرفها هذا تعتبر خاطئة بلا شك، فالطفل لا غنى له عن الرضاعة الطبيعية التي تحميه من الأمراض والتي تعمل على بناء جسمه وعقله بناء تاماً.

وعندما ترضع الأم وليدها حليبها، إنما ترضعه العطف والحنان، ومن هنا كانت حكمة الله سبحانه وتعالى في إرجاع «موسى» عليه السلام إلى أمه كي تقرَّ عينها ولا تحزن، قال تعالى: (فرددناه إلى أمه كي تقرَّ عينها ولا تحزن) القصص:١٣.

ويرى علماء التربية وعلى علم النفس، أن الطفل يشعر بالأمان كلما ألصقته الأم بصدرها، ولكي ينمو الطفل نمواً طبيعياً صحياً ونفسياً وعقلياً لابد من إتمام الرضاعة، قال تعالى: (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتمّ الرضاعة) البقرة:٢٣٣.

البيت المسلم

وثمّة ظاهرة خطيرة جداً، تلجأ بعض الأمهات إليها، وهي التفريق بين الأولاد في المعاملة وعدم العدل بينهم سواء في العطاء المادي أو المعنوي، مما يجعل هذه الظاهرة تترك آثاراً سيئة في نفوس الأولاد، والنتيجة من ذلك تؤدي إلى فسادهم جميعاً بالإضافة إلى ولادة الحقد والغيرة والحسد والكراهية في قلوب الأخوة، فقد ورد عن أنس بن مالك أن رجلاً كان جالساً مع النبي صلى الله عليه وسلم، فجاء بُنيٌّ له فقبّله وأجلسه في حجره، ثم جاءت بُنية فأخذها فأجلسها إلى جنبه، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «فما عدلت بينهما»(١)، وقد بشّر رسول الله صلى الله عليه وسلم من يعدل بين أولاده ببشرى عظيمة: «فهم على منابر من نور يوم القيامة».

حاولي أيتها الأم ألا تسمحي لبناتك بالخروج متبرجات كاسيات عاريات يسرن وحدهن في الشوارع، وهذه الظاهرة السيئة مخالفة لشرع الله تبارك وتعالى، تاهيك إلى تعرضهن للفتنة وللإيذاء اللفظي والمعنوي من الشباب المائع، والنبي صلى الله عليه وسلم حذّر فتيات الإسلام من الخروج وحدهن أو الخلوة بأجنبي، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما خلى رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما».

ولقد حذرنا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من هذه الظاهرة التي تعد من الأخطاء الشائعة وعلى الأمهات الابتعاد عنها، حيث قال صلى الله عليه وسلم: «صنفان من أمتي لا يدخلن الجنة ولا يشممن ريحها، وإن ريحها ليشم على مسيرة كذا وكذا، رجالا يسوقون الناس بسياط كأذناب البقرة ونساء كاسيات عاريات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة»(٢).

كما تلجأ بعض الأمهات إلى إهمال أولادهن وخصوصاً في مرحلة الطفولة فتبقى منشغلة عنهم، إما بحجة العمل داخل البيت أو خارجه، أو بالحديث مع صاحباتها، من خلال المكالمات الهاتفية المتواصلة التي لا تجدي نفعاً، وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعول».

ولكن أثر هذا الإهمال الناتج من هذا الخطأ الشائع من قبل الأم، إنما يفسد المجتمع والأسرة والأولاد، والبيت الذي تكون المرأة فيه مهملة، يكون الأولاد تائهين لا يدرون لهم هدفاً ولا وجهة.

والغريب في الأمر أنه بدأت الموضات والموديلات والأفلام غير الخاضعة للرقابة تدخل البيوت عبر التلفاز ومن دون استئذان، مما جعل انصباب اهتمامات بعض الأسر ممثلة بالأمهات على تعليم أولادهم القيم الغربية والثقافات الأوروبية، متغافلات عن قيم الإسلام ومبادئه، وقد حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يضرب لنا المثل في تعليم الصغار وتربية الأولاد على القيم الإسلامية.

ورد عن «عمر بن أبي سلمة» رضي الله عنهما، قال: كنت غلاماً في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا غلام سمِّ الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك»، فما زالت تلك صعمتي بعد.

فتوجيه الأبناء في الصغر له فوائد جمّة فما يتعلمه الطفل في صغره لا يقدر على تحصيله في الكبر، «فالعلم في الصغر كالنقش على الحجر»، فلا يندثر ولا ينسى بل يدوم أثره.

البيت الذي تكون فيه المرأة مهملة يكون الأولاد فيه تائهين

ودعوتي لأخواتي الأمهات بالابتعاد عن هذه الأخطاء الشائعة، والأخذ بما يلي من النصائح:

- عدم التفريق بين الأبناء في العطايا المادية أو المعنوية وألا تجعلي واحداً يتطاول على أخيه مهما كان السبب.
- منع البنات من الخروج متبرجات بالزينة إلى السوق أو إلى الطبيب أو المدرسة، لئلا يقعن فريسة لمن هي قلبه مرض.
- عدم القسوة أو الشدة على الأولاد أكثر من اللازم، إذا ما حدث خطأ. وليحذرن كثرة الضرب.
- عدم تعويدهم على سلاطة اللسان والتطاول على الآخرين، مهما كان السبب، وليكن الصفح والعفو من شيمهم.

وأخيراً: نسأله سبحانه أن يصلح لنا أولادنا وبناتنا وأن يجعلهم قرة أعيننا ويصلح شأنهم، إنه على كل شيء قدير ■

•• الهوامش ••

١ - رواه أحمد في المسند ٢١٩/٤.
٢ - حديث صحيح رواه مسلم في كتاب اللباس ١٢٥، وأحمد ٢٣٣/٢.

النكد الزوجي

معروف أن الدموع أشهر أسلحة المرأة التي تحسن استخدامها ببراعة، وبعضهم يضيف الجمال والأنوثة كسلاح لا يقهر، إلا أن المرأة بعد الزواج ومرور السنين الأولى عليه تعتقد بأن هذين السلاحين لن يجديا نفعاً، فتلجأ إلى سلاح آخر هو «النكد» الذي يأتي عادة تفسيراً لعدم وجود الاستقرار النفسي نتيجة ظروف معينة تعيشها الزوجة، فالمرأة ليست نكدية بطبعها ما لم تسهم الظروف والمشكلات في وجود هذه الصفة.

وتستخدم المرأة هذا السلاح عندما تريد أن تقول شيئاً ما لزوجها حيث تفترض مسبقاً أو من خلال تجاربها الحياتية معه بأنه لن يستوعب طلبها أو لن يفهم مقصدها، وكثيراً ما يؤدي غياب لغة الحوار بين الزوجين إلى لجوء المرأة لافتعال المشكلات لإثارة هذا الرجل الصامت الذي لا يحرك ساكناً ولا يعبأ بكل ما يحدث حوله، ومعروف أيضاً عن المرأة بأنها لا تقوى على كتمان مشاعرها؛ إذ إنها سريعة التأثر وسرعان ما تعبّر عما في داخلها من ضغوطات ومشاعر، سواء سلبية كانت أو ايجابية، وربما هذا ما يجعل تصرفاتها تصنف في قائمة النكد.

وبعضهم يرجع حالة النكد التي تسببها المرأة في المنزل إلى معاناتها من النظرة الدونية من قبل الرجل وإحساسها بأن حقوقها مهضومة باعتبارها امرأة، وأنها غير قادرة على الحصول على هذه الحقوق، ما يجعلها تلجأ للشكوى وتصبح كثيرة التذمر والصراخ لعلها تجد متنفساً عن مشاعرها.

ولاشك أن للأشياء الموروثة والمكتسبة من الأسرة علاقة بهذا الموضوع؛ إذ إن التي تكبر وهي تشاهد أمها تستخدم هذا الأسلوب مع والدها تتشرب هذه المعاملة وتبدأ لا شعورياً تقليد أمها، وتلعب نصائح الصديقات التي لا يجب الأخذ بها دوماً دوراً في استخدام النكد كأسلوب للحصول المرأة على ما تريد من زوجها.

أيضا تتسبب الرتابة والملل الذي يدخل عش الزوجية في إشاعة جو النكد كما يسهم الضعف أو البرود الجنسي في وجوده بقوة، وقد يكون النكد بسبب طبيعة المرأة العاطفية الحالة التي تجعلها تصدم بالواقع حين تواجه الحياة، حيث تعتقد الكثيرات أن الزواج شهر عسل دائم، ورومانسية لا تنتهي، وحين تدخل هذا العالم وتلمس حجم المسؤوليات الملقاة عليها وصعوبة الحياة بشكل عام

تتسبب الرتابة والملل الذي يدخل عش الزوجية في إشاعة جو النكد كما يسهم الضعف أو البرود الجنسي في وجوده بقوة

منى السعيد الشريف

E. MAIL : monashf@yahoo.com
monashf@al-islam.com

البيت المسلم

يصيبها الاكتئاب، ويدخل النكد في حياتها، الذي ينعكس تباعاً على الزوج والبيت والأطفال أيضاً.

وقد يرجع الزوج السبب كله إلى زوجته ويدّعي أنه لا يفهم لماذا هي نكدية ولماذا تختفي الابتسامة من وجهها معظم الوقت ويحل محلها الغضب والوعيد ؟! ولماذا هي لا تتكلم؟! لماذا لا ترد؟! والحقيقة أن هذا الزوج لا يعرف أن زوجته بصمتها الغاضب إنما هي تدعوه للكلام، إنها تصدر إليه رسالة سلبية، ولكن هذه هي طريقتها لأنهما لم يتعودا معاً . الزوج والزوجة . على طريقة أكثر إيجابية في التفاهم.

ويضيق الزوج ويكتئب هو أيضاً، ثم يعلي في داخله، ثم ينفجر. وتشتعل النيران فهي - أي الزوجة - تصمت وتتجاهل لتثير وتحرق أعصابه وتهز كيانه وتزلزل إحساسه بذاته ليسقط ثائراً هائجاً وربما محطماً. وها تهدأ الزوجة داخلياً ويسعدها سقوطه الثائر حتى وإن ازدادت الأمور اشتعالاً وشجاراً، تتطاير فيه الأطباق وترتفع فيه الأصوات. وهذا هو شأن التخزين الانفعالي للغضب. بذلك تكون الزوجة قد نجحت، أي استفزته إلى حد الخروج عن توازنه، لأنها ضغطت على أهم شيء يوجع رجولته وهو التجاهل ولكن هذه ليست حقيقة مشاعرها، فهي تغلي أيضاً لأنها غاضبة، غاضبة من شيء ما، ولكنها لا تستطيع أن تتكلم. هذا هو طبعها. ربما بمنعها كبرياؤها. فهذا الزوج يخطئ في حقها وهو لا يدري أنه يخطئ، وأن أخطاءه ربما تكون غير إنسانية، ربما هو يتجاهلها عاطفياً، ربما هو يتجاهلها فراشياً.. ربما بخله يزداد. ربما بقاؤه خارج البيت يزداد من دون داع حقيقي لذلك. ربما أصبح سلوكه مريباً.. ربما.. وربما.. وربما.

ولكنه لا يدري، أو هو غافل. أو هو يعرف ويتجاهل. وهو في كل هذا لا يدري أنها تتألم، أي أنه فقد حساسيته، ولكنها لا تتكلم ولا تفصح عن مشاعرها الغاضبة..ربما لأنها أمور حساسة ودقيقة، وربما لأن ذلك يجرح كرامتها، وربما لأنهما لم يعتادا أن يتكلما. ولهذا فهي لا تملك إلا هذه الوسيلة السلبية للتعبير. وهي في الوقت نفسه وسيلة للعقاب والتجاهل.

وإذا بادل الزوج زوجته صمتا بصمت وتجاهلا بتجاهل فإن ذلك يزيد من حدة غضبها وربما تصل هي إلى مرحلة الثورة والانفجار فتنتهز فرصة أي موقف، وإن كان بعيداً من القضية الأساسية، لتثير زوبعة... لقد استمر في الضغط عليها حتى دفعها للانفجار، وضغط عليها بصمته وتجاهله رداً على صمتها

الشجار ليس بداية النهاية.. بل بالعكس بداية استقرار الحياة الزوجية

وتجاهلها، وتلك أسوأ النهايات أو أسوأ السيناريوهات.

قد يستمر هذا الأسلوب في التعامل والتفاعل سنوات وسنوات، وهذا يؤدي إلى تآكل الأحاسيس الطيبة، ويقلل من رصيد الذكريات الزوجية الحلوة، ويزيد من الرصيد السلبي المر، ويعتادان على حياة خالية من التفاهم وخالية من السرور ويصبح البيت فعلاً قطعة من جحيم. فتنطوي الزوجة على نفسها واهتماماتها الخاصة، ويهرب الزوج من البيت، وتتسع هوة كان من الممكن ألا توجد لو كان هناك أسلوب إيجابي للتفاهم.

واستمرار حال الاستفزاز معناه تراجع المودة والرحمة. فهناك ألف وسيلة تستطيع الزوجة عن طريقها استفزاز زوجها. وكذلك هناك أكثر من ألف طريقة يستطيع بها الزوج استفزاز زوجته. أهمها كما قلنا الصمت والتجاهل والوجه الغاضب والكلمات اللاذعة الساخرة والنافذة والجارحة أو يتعمد أي منهما سلوكاً يعرف أنه يضايق الطرف الآخر، أو قد يلجأ كل منهما إلى أسوأ أنواع الاستفزاز وهي إثارة الغيرة والشك. والعناد هو شكل من أشكال الاستفزاز، واستمرار الزوجين في العناد معناه عدم النضج أو معناه أن أحدهما يعاني ألماً نفسياً حقيقياً وأن الطرف الآخر يتجاهل عن عمد أو عن غير عمد هذا الألم.

والخطأ الأكبر الذي يقع فيه الزوجان أن يجعلا المشكلات تتراكم من دون مواجهة، من دون توضيح، من دون حوار بصوت عال هادئ، من دون أن يواجه كل منهما الآخر بأخطائه أولاً بأول، من دون أن يعبر كل منهما عن قلقه ومخاوفه وتوقعاته وآلامه وهمومه.. يجب أن يرفع كل منهما شكواه إلى الآخر بكلمات واضحة وصوت مسموع ونبرة ودودة، ويجب الاستمرار والمثابرة والإلحاح في عرض الشكوى حتى تصل

الخطأ الأكبر الذي يقع فيه الزوجان أن يجعلا المشكلات تتراكم من دون مواجهة

إلى ضمير الطرف الآخر، قد يكون تجاهل الزوج لمتاعب الزوجة ليس عن قصد أو سوء نية أو خبث، ولكن لأنه لا يعرف، لا يعلم، لأنها لم تتحدث إليه، لأنها لم تعبّر بشكل مباشر، ربما لأنها تعتقد أنه يجب أن يراعي مشاعرها من دون أن تحتاج هي أن تشير له إلى ذلك، ربما تود هي أن يكون هو حساساً بالدرجة الكافية، ربما تتمنى أن يترفع عن أفعال وسلوكات تضايقها وتحرجها. وهذا جميل وحقيقي. جميل أن يكون لديها هذه التصورات وهذه الأمنيات المثالية، ولكن الأمر يحتاج أيضاً إلى تنبيه رقيق.. إشارة مهذبة.. تلميح راق. كلمات تشع ذوقاً وحياء من دون مباشرة، ولا مانع وخصوصاً في الأمور المهمة والحساسة والدقيقة من المواجهة المباشرة والحوار الموضوعي. فهذا حق كل منهما على الآخر، وهذا هو واجب كل منهما تجاه الآخر، وهذا هو أصل المعنى في المودة والرحمة لأن الزوجين اللذين وصلا إلى هذه المرحلة من الاستفزاز المتبادل يكون قد غاب عنهما تماماً المعنى الحقيقي للمودة والرحمة.

وينبغي أن لا يخاف أي من الزوجين تطور الحوار إلى قليل من الانفعال. فالشجار ليس بداية النهاية.. بل بالعكس بداية استقرار الحياة الزوجية، فعقب كل شجار يسعى الزوج والزوجة جدياً للتوفيق بين طباعهما وميولهما، وحاجاتهما، وطموح كل منهما في الحياة، والشعور بخطر المنازعات الزوجية على مسيرة الزواج.

كل هذا ينتاب الرجل أكثر مما ينتاب المرأة، لأسباب كثيرة في مقدمها أن الرجل نفسه هو الذي اختار هذه المرأة من دون سائر النساء لتكون شريكة حياته في حلوها ومرها.. وكثيراً ما يصدق ظنه، ولكن ما أكثر أيضاً ما يخيب ظنه في هذه المرأة، ويكتشف أنه تزوج إنسانة غريبة تختلف عنه في الطباع والميول والنظرة للحياة بصفة عامة.

إن أفضل وسيلة لتسوية أي خلاف ينشأ بين الزوجين، هي المناقشة الهادئة بالمنطق والحجة، ومراعاة كل منهما ظروف صاحبه، وأيضا تنازل كل طرف عن جزء من رغباته للوصول إلى منتصف الطريق. ومعظم المشكلات بين الزوجين تنبع من اختلاف البيئة التي ينشأ فيها كل منهما، واختلاف الطباع والعادات والميول وغير ذلك. وتعتبر النظرة الواقعية للزواج هي المدخل الحقيقي لحل أي مشكلات تواجه الزوجين في بدء حياتهما الزوجية.. النظرة الواقعية التي ترى حقيقة الزواج أنه ليس مجرد شهر عسل

دائم، بل حياة مشتركة فيها الحقوق والواجبات وفيها أيضا المسؤوليات.

ولذلك فعلى الزوجين أن يسلّمان في أوائل عهدهما بالزواج بأنه لا مفر من المنازعات، ثم يتفقان على أسلوب المناقشة بينهما، والطريقة التي ستتبع في حل خلافاتهما.. فهناك فارق كبير بين أن يختلف رجل مع امرأته على موضوع معين، ثم يجلس الاثنان معا ويبحثان خلافاتهما بهدف الوصول إلى حل لها.. وبين أن يختلف الزوجان ثم يتضح أن سبب الخلاف هو رغبة كل من الزوجين في فرض شخصيته أو كلمته على الآخر.

وأسوأ ما يمكن أن يحدث بين زوجين أن ينشب بينهما نزاع في مكان عام، أو أمام الأقارب أو الأصدقاء، وما قد يترتب على ذلك من إفساح مكان للغرباء للتدخل ونصرة رأي أحد الزوجين على الآخر، وتكون النتيجة هو أن يتمسك كل طرف برأيه في محاولة لحفظ ماء الوجه، فضلا عما يثيره هذا التدخل من شعور في نفس الزوج والزوجة معا بأنهما أصبحا غريبين، وما يتركه ذلك من رواسب يكون لها أسوأ الأثر في مستقبل العلاقة الزوجية فأي شجار بين الزوجين يجب أن يسوى بينهما من دون أن يتركا المجال لأحد مهما كانت علاقته بالطرفين بالتدخل لفض هذا النزاع ■

•• المصادر ••

١ - في بيتي مرض اسمه النكد الزوجي
د. عادل صادق

٢ - قناع القبح.. كثيراً ما تستخدمينه!

٣ - كوني واقعية.. قليل من النكد.. ينقذ الحياة الزوجية، نورا عبد الحليم.

خاطرة إيمانية

بقلم: كمال عبدالمنعم محمد خليل

الرومانسية المفقودة

الزوجة في بيتها تحتاج إلى كلمة لطيفة رقيقة تؤنسها، تخفف عنها عناء الحياة وأعباءها، حيث يثقل كاهلها ما يحتاجه بيتها من رعاية وحسن تدبير للمطعم والمشرب، وعدم غفلتها عن الأبناء كبيرهم وصغيرهم، هذا فضلاً عن دورها الأكبر تجاه زوجها، والعمل على إرضائه، ونيل عطفه وحنانه في إطار من الطاعة والمعروف، وإرضاء الله ورسوله، والبعد عن كل ما فيه مضرة في الدين والدنيا، كذلك الزوج يحتاج إلى مثل ما تحتاج إليه الزوجة من كلمات لطيفة رقيقة، فهو الذي يعمل ليل نهار من أجل إسعاد أسرته، الكبير فيها والصغير، لا يكل ولا يمل، بل يفرح ويسعد إذا رأى ثمرة عمله في أبنائه، طيبة نافعة، إذا كان هذا حال الزوجين، كدٌ وتعب وسهر من أجل راحة الأبناء وتربيتهم أحسن تربية، فإن كلا منهما يحتاج إلى الآخر كي يخفف عنه أعباء الحياة، ويحمل عنه همّه، ولو كان هذا التخفيف بكلمة طيبة، أو بسمة رقيقة، أو نوع من التدليل والترفيه والترويح، أو بتعبير آخر، يحتاج كل منهما إلى «رومانسية» متبادلة، تخرجهما من الجو الروتيني اليومي الرتيب، إلى جو يتبادلان فيه البسمة والمرح، إلا أن الكثير من بيوت المسلمين لا تعرف لهذه الرومانسية طريقاً، حيث تجد الرجل خارج بيته يضحك ويقهقه بأعلى صوته، يمرح ويفرح ولا يعرف له الهم والحزن والتكشير طريقاً، وإذا ما دخل بيته يتغير لونه ودمه، فيتحول من حمل وديع بسام لطيف خفيف الظل إلى وحش كاسر، يرفع صوته ويخفضه كما يشاء، يسخط على كل شيء حوله، يعلن عدم رضاه عن تصرفات زوجته رغم رشدها، فظاً غليظاً، لا تعرف الرحمة إليه سبيلا، إذا دخل البيت، وقف الجالس، وسكن المتحرك، واستيقظ النائم، وعاش الجميع في قلق ورعب، ولا يحمّل هذا على الزوج وحده، فإن هناك من الزوجات من يبخلن بالكلمة الرقيقة على أزواجهن، حيث تبحث الزوجة عن النكد، وتتلهف إلى الشقاق، فتثور وتدّعي التعب وضيق الحال، وتقارن بينها وبين فلانة وفلانة، وتصرح بأنها لو تزوجت بغير هذا الرجل لكان حالها أفضل وأحسن. أما حالها خارج المنزل، فصوت رقيق، وخفة حركة، وبسمات وضحكات مع قريناتها ومع غير قريناتها، سرعان ما يتحول كل هذا إلى غلظة وفظاظة داخل منزلها، وكأن الزوج حرام عليه أن يسمع عذوبة كلمات زوجته ورومانسيتها.

إننا بهذه الكلمات نذكر كلا الزوجين بأن رومانسية البيت مطلوبة بل هي ضرورة ضرورة الطعام والشراب، لأن الكلمة الطيبة المرحة تزيل المتاعب، وتخفف الآلام، وتعطي القوة والعزم لما هو آت.

وقدوتنا في حسن المعاشرة، البيت النبوي الذي بيّن لنا كيف تسير الحياة بين الزوجين، فقد ورد في صحيح الأحاديث والأخبار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ودوداً عطوفاً رحيماً ليس مع أهله فحسب بل مع العالمين جميعاً. كما كان بسّام المحيا، يمرح ويداعب أهله، فقد روى أحمد وأبوداود عن «عائشة» - رضي الله عنها - قالت: «سابقني رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبقته، فبقيت، حتى إذا أرهقني اللحم «أي سمنت» سابقني فسبقني، فقال: «هذه بتلك»، وجاء في صفات النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان في خدمة أهله، حيث كان يقم البيت، ويخصف نعله، ويرقع ثوبه، ويعلف ناضحه، وكان يقبل أبناءه وأحفاده. إن الأسرة لا تسعد ولا تهنأ في عيشها إذا كانت في ضنك ونكد، بعيداً عن البسمة والترويح والكلمة «الرومانسية» المغلفة بالعفة والأدب. فهل من عودة إلى رومانسية البيت التي فقدت؟! ■

حديث النفس بالطلاق

هل يقع به طلاق؟

إذا عزم الرجل على الطلاق، وحدّث به نفس، فهل يقع الطلاق لمجرد نيته، من دون تلفظ لسانه به؟

اختلف العلماء في هذه المسألة على قولين:

القول الأول: يقع الطلاق إن نواه، وحدّث به نفسه.

وهذا مذهب مالك والزهري.

وحجته:

١ ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى».

٢ ـ أن من اعتقد الكفر بقلبه فهو كافر وإن لم يتلفظ به، لقول الله تعالى: (يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ) المائدة:٤١.

ويقاس عليه من نوى الطلاق بقلبه، وأضمره في نفسه، ولم يتلفظ به.

القول الثاني: لا يقع الطلاق بالنية، من غير تلفظ اللسان به.

وهذا مذهب الجمهور: أبي حنيفة، والشافعي، وأحمد، والثوري، وإسحق، وابن حزم.

وحجة الجمهور هي:

١ ـ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به نفسها، ما لم تتكلم به أو تعمل».

٢ ـ أن الطلاق تصرُّف يزيل الملك، فلم يحصل بالنية، كالبيع والهبة.

٣ ـ أن التحريم في الشرع عُلق على الطلاق. ونية الطلاق ليست بطلاق، فيبقى الحل.

٤ ـ أن إيقاع الطلاق بالنية لا يثبت إلا بأصل، أو بالقياس على ما ثبت بأصل، وليس ههنا أصل، ولا قياس على ما ثبت بأصل، فلم يثبت.

الترجيح:

يترجح اختيار الجمهور: أن الطلاق لا يقع لمجرد النية من دون تلفظ باللسان، وذلك لحديث الصحيح الصريح المذكور في هذه المسألة الذي احتج به الجمهور، ولا يوجد نص آخر يعارضه. وأحكام الشرع التي يفصل فيها القضاء لا اعتبار فيها للنيات، وإنما الاعتبار للأعمال والأقوال، وقول الله تعالى: (وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) البقرة:٢٨٤ يوضح ذلك، فالآية فيها أن المحاسبة يوم القيامة بما يبدي المرء أو يخفيه، ثم هو مغفور له أو معذب.. فأين هذا من وقوع الطلاق بالنية؟!

بقلم: محمود التجيري
Mahmoud Mahmoud Elnegiry
elnegiry1@hotmail.com

وقد بيّن النبي صلى الله عليه وسلم أن من همّ سيئة فلم يعملها كتبت له حسنة. وإذا كان الطلاق مبغضًا؛ فإن العدول عنه خير، ومن لم ينطق به فقد عدل عنه. لأن الناس لا يُؤاخذون إلا بما يتكلمون، أو يعملون.

وأثبت الخطابي الإجماع على أن الرجل إن عزم على الظهار ـ لم يلزمه حتى ينطق به، ولا شك أن الظهار بمعنى الطلاق. وكذلك لو حدّث نفسه بالقذف لم يكن قاذفًا، ولو حدث نفسه في الصلاة لم يكن عليه إعادة. وقد حرّم الله تعالى الكلام في الصلاة، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس».

فلو كان حديث النفس بمعنى الكلام، لكانت صلاته تبطل.

ونرد على أدلة المخالف بما يلي:

١ ـ أما حديث «إنما الأعمال بالنيات»، فهو حجة على المخالف؛ لأنه أخبر فيه أن العمل مع النية هو المعتبر، لا النية وحدها.

٢ ـ أن من اعتقد الكفر بقلبه أو شك، فهو كافر لزوال الإيمان الذي هو عقد القلب مع الإقرار، فإذا زال العقدُ الجازم، كان نفس زواله كفرا؛ فإن الإيمان أمر وجودي ثابت قائم بالقلب، فما لم يقم بالقلب، حصل ضده وهو الكفر. وهذا كالعلم والجهل، إذا فقد العلم حصل الجهل، وكذلك كل نقيضين زال أحدهما، خلفه الآخر.

والخلاصة: أن الطلاق يقع بعزم القلب،ونطق اللسان، ولايقع لمجرد حديث النفس ■

•• الهوامش ••

١ ـ أخرجه البخاري.

٢ ـ بداية المجتهد لابن رشد ص٣، ص ١٤١٩، حاشية الدسوقي ٢/٥٧٥، والطلاق أركان أربعة عند المالكية: ١ ـ الزوج. ٢ ـ زوجة في عصمته. ٣ ـ قصد النطق بلفظ الطلاق. ٤ ـ لفظ صريح أو كناية. أو ما يقوم مقامه من الإشارة المفهمة. والكتابة. والكلام النفسي. ولا يقع بمجرد النية من دون كلام نفسي وعلى هذا فالعزم وحده لا يقع به الطلاق عند المالكية إلا أن يقترن به كلام نفسي بإيقاع الطلاق

٣ ـ بين الخطيب الشربيني ضابط هذا الأمر فقال: «فهم كلامه أنه لا يقع طلاق بنية من غير تلفظ، وهو كذلك، ولا بتحريك لسانه بكلمة الطلاق، إذا لم يرفع صوته بقدر ما يسمع نفسه مع اعتدال سمعه وعدم المانع، لأن هذا ليس بكلام» (مغني المحتاج ٣/٢٦٩)

٤ ـ أخرجه البخاري في العتق. ومسلم في الإيمان. والنسائي والترمذي. وقال: حديث صحيح

٥ ـ المهذب للشيرازي ٢/١٠٦، فتح الباري لابن حجر ٩/٢٠٦، المغني لابن قدامة ٧/١٢١، المحلى لابن حزم ١٢/٢٤٧، وهذا اختيار ابن تيمية (انظر: مجموعة الفتاوى ٣٣/٦٧). ومن المعاصرين الدكتور عبد الكريم زيدان(انظر: المفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم في الشريعة الإسلامية ص ٨/٣٨٠ ـ ٣٨١)

٦ ـ أخرجه مسلم في كتاب الإيمان

٧ ـ أخرجه مسلم في باب تحريم الكلام في الصلاة

٨ ـ معالم السنن للخطابي ٢/٢٢٧.

٩ ـ زاد المعاد لابن القيم ٥/١٨٥، وفي هذا الموضع يظهر تأثر كبير لابن القيم بابن حزم (قارن بالمحلى ١١/٢٤٦ ـ ٢٤٧).

تلاميذ إسرائيلي يرفضون الخدمة العسكرية في الضفة وغزة

وقع أكثر من ٢٥٠ تلميذاً إسرائيلياً في الصف الثانوي النهائي على عريضة أكدوا فيها رفض إجراء خدمتهم العسكرية الإلزامية في الأراضي الفلسطينية المحتلة حسب ما أفادت صحيفة «يديعوت أحرونوت». ووجه هؤلاء التلاميذ ومعظمهم يدرسون في مدارس راقية، عريضتهم إلى رئيس الوزراء أرييل شارون وإلى وزير الدفاع شاؤول موفاز. أكدوا فيها رفضهم المشاركة «في الاحتلال المستمر عبر الاستيطان يوماً بعد يوم منذ أربعين عاماً تقريباً»، في الضفة الغربية وقطاع غزة. ومن جهتهم، قلل مسؤولون عسكريون إسرائيليون من أهمية ظاهرة العصيان هذه، مؤكدين أن الأغلبية الساحقة من المدعوين إلى الخدمة العسكرية يظهرون حماسة كبيرة إزاء الخدمة في الوحدات المقاتلة.

سكان دولة الكويت مليونان و٦٤٥ ألف نسمة

كشف تقرير إحصائي متخصص صدر حديثاً أن إجمالي تعداد السكان في المحافظات الست في دولة الكويت بلغ نحو مليونين و٦٤٥ ألف نسمة خلال العام ٢٠٠٤م، وذلك بزيادة قدرها نحو ١٦٠ ألفاً عن العام الذي يسبقه.

وقالت النشرة الخاصة باللمحة الإحصائية ٢٠٠٥م: التي أصدرها قطاع الإحصاء والتعداد في وزارة التخطيط لمناسبة احتفالات البلاد بعيدها الوطني الـ٤٤» وذكرى التحرير الـ١٤» إن إجمالي تعداد الكويتيين خلال العام الماضي بلغ نحو ٩٤٣ ألف نسمة مقابل ٩١٣ وخمسمئة نسمة في نهاية العام ٢٠٠٣م.

وفيما يخص عدد غير الكويتيين خلال العام ٢٠٠٤م، بيَّن التقرير أن مجموعهم وصل مليوناً و٧٠٢ ألف نسمة تقريباً، في حين بلغ مجموعهم خلال العام الذي سبقه نحو مليون و٥٧١ ألف نسمة.

وذكرت اللمحة الإحصائية أن محافظة الفروانية مازالت محتفظة بأعلى مرتبة في تعداد السكان في دولة الكويت، حيث بلغ تعداد قاطنيها نحو ٦٨٦ ألف نسمة فاق تعداد المقيمين فيها تعداد المواطنين، حيث بلغ ٥٠٩ آلاف مقيم.

وأشارت إلى أن محافظة «حولي» جاءت في المرتبة الثانية بتعداد ٥٦٦ ألف نسمة تقريباً، بلغ تعداد المقيمين منهم ٤٠٤ آلاف نسمة، تلتها محافظة «الأحمدي» في المرتبة الثالثة بتعداد بلغ نحو ٤٥٠ ألف نسمة، إذ لا يزال تعداد المقيمين فيها مرتفعاً بزيادة ٢٥٧ ألف نسمة.

ألمانيا: التنظيمات الإسلامية تقترح التمثل بهيكلية موحدة أمام السلطات

أعلن ممثلو مجالس وتنظيمات عربية وتركية في ألمانيا، تشكيل هيكلية موحدة لهم تضمن جمع كلمتهم وتوحيد تمثيلهم أمام السلطات الألمانية التي طالبتهم بذلك من أجل وضع إطار للتعاون القانوني والسياسي - الاجتماعي معهم، وهو ما يتوافر في دول أوروبية أخرى.

واتفق الممثلون الذين ينتمون إلى المجلس الإسلامي في ألمانيا والمجلس المركزي للمسلمين ورابطة الثقافة الإسلامية، في مؤتمر عقدوه في «هامبورغ» على اقتراح إنشاء «هيكلية تنظيم فيدرالي ديموقراطي موحد» لتمثيل المسلمين في البلاد على المستوى المحلي في كل ولاية والمستوى الاتحادي. وحدد المجتمعون هدف الهيكلية المقترحة بتحقيق اندماج أفضل للمسلمين في المجتمع، وتحسين النشاط الداخلي وممارسة الشرائع الدينية، وانتخاب ممثلين شرعيين تعترف بهم سلطات البلاد.

تدريس الدين الإسلامي في مدارس ألمانية

أعلن مجلس وزراء ولاية بادن فورنمبيرغ عن موافقته على بدء تدريس الدين الإسلامي للمسلمين في المدارس الابتدائية في الولاية اعتباراً من العام الدراسي المقبل ٢٠٠٦ / ٢٠٠٧م، في ١٢ مدرسة ابتدائية خاصة.

وقالت وزير الثقافة أنيتا شافان من الحزب المسيحي الديمقراطي أن برنامج الدراسة للدين الإسلامي جاهز وبذلك لن نعطي الفرصة لمن هم غير متخصصين أو من يثيرون التطرف.

وأشارت إلى أن تدريس الدين الإسلامي في المدارس الألمانية في الولاية مثل الدين المسيحي سيسهم إيجابياً في عملية الاندماج للمسلمين في المجتمع الألماني والقدرة على فهم قيمه والتعامل الصحيح معها.

وسيتم تدريس الدين الإسلامي في ولاية بادن فورنمبيرغ باللغة الألمانية وإذا حظيت التجربة بالنجاح فإنه يمكن تعميمها على الولايات الألمانية الأخرى.

تعداد سكان مصر ٧٢ مليون نسمة

بلغ تعداد مصر في أول يناير ٢٠٠٥م ٧١ مليوناً و٨٩٧ ألفاً و٥٤٧ نسمة، بينهم نحو ٦٩ مليوناً داخل البلاد، ومليون و٩٠٠٢٢٩ نسمة تمثل العمالة المصرية في الخارج.

وأوضح رئيس الجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء «إيهاب علوي»، أن تعداد الذكور داخل مصر بلغ ٣٥ مليوناً و٨١٧١٢٨ نسمة، فيما بلغ تعداد الإناث ٣٧ مليوناً و١٧٩٦٩٠ نسمة، مشيراً إلى أن ذلك يمثل انخفاضاً في معدل الزيادة الطبيعية التي تمثل الفارق بين معدل المواليد ومعدل الوفيات إلى ١٩,٤ في الألف، مقابل ١٩,٦ في الألف في يناير العام ٢٠٠٥م... حيث انخفضت معدلات المواليد والوفيات، وارتفع معدل توقع البقاء على قيد الحياة إلى ٦٨,٤ عاماً للذكور و٧٢,٨ عاماً للإناث.

وأكد علوي أن القاهرة لا تزال في المرتبة الأولى من حيث تعداد السكان سكانها، حيث بلغت نسبتهم ١١,١٪ من إجمالي تعداد سكان مصر، تليها الجيزة بنسبة ٨,١٪، م الشرقية ٧,٣٪، والدقهلية ٧,١٪، والبحيرة ٦,٧٪، فيما مثلت محافظات الحدود الترتيب الأخير من حيث تعداد السكان فيها، حيث بلغت نسبتهم ٤٪ في كل من شمال سيناء ومرسي مطروح، بينما بلغت نسبة سكان البحر الأحمر ٣٪، وادي الجديد ٢٪، وجنوب سيناء ١٪.

وأشارت الإحصاءات إلى أن معدل الأسرة المصرية بلغ ٤,٧ فرد لكل أسرة، وبلغ تعداد السكان الأقل من ١٥ عاماً نسبة ٣٧,٧٪، وبلغت نسبتهم بين عمر ١٥ . ٦٠ عاماً نحو ٥٦,٥٪، وبلغت ٥,٨٪ في الأعمار الأكثر من ٦٠ عاماً.

وأضاف رئيس الجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء: أن الهرم السكاني في مصر يتطور إيجاباً نتيجة انخفاض معدل الزيادة السكانية، وهو ما يظهر أملاً كبيراً في زيادة الفئة المنتجة في المستقبل.

وأشار إلى أن «حي المطرية، شرق القاهرة... هو أكثر الأحياء كثافة بها. وأن معدلات الهجرة من الريف إلى المدن قد انخفضت نتيجة التركيز على عمليات الاستثمار والتصنيع في جنوب مصر.

وبلغت قوة العمل في مصر ٢١ مليون نسمة بزيادة قدرها ٣٧٤ ألف نسمة عن العام الماضي وبمعدل ٢,٤٪، فيما ارتفع تعداد العاطلين عن العمل إلى ٢٠٠٤م و٢٣٨ ألف نسمة، مقابل مليون و٤٨٣ ألف نسمة العام ٢٠٠٠م.

وأكد أن نسبة الذين تم محو أميتهم ارتفع إلى أكثر من ٥ ملايين نسمة، لينخفض عدد الأميين إلى ١٢ مليوناً و٤٢ ألف نسمة.

ماليزيا: اقتراح المعارضة الإسلامية لفرض الحجاب على غير المسلمات

تواجه المعارضة الإسلامية المتشددة في ماليزيا انتقادات من الحكومة الفيدرالية وحلفائها السياسيين بسبب اقتراحها فرض الزي الإسلامي المتشدد على النساء غير المسلمات في الولاية الوحيدة التي تحكمها. وكان المجلس البلدي لمدينة «كوتا بارو» عاصمة ولاية «كيلانتان» اقترح فرض ارتداء الملابس الطويلة والواسعة وذات الأكمام الطويلة على غير المسلمات في الولاية.

وحالياً لا يفرض سوى على النساء المسلمات التقيد بالزي الإسلامي الذي يغطي المرأة من قمة رأسها إلى أخمص قدميها، وفي حال مخالفتهن ذلك فإنهن يدفعن غرامة تساوي نحو ١٣٣٢ دولارا.

واقترح المجلس في الولاية التي يسيطر عليها الحزب الإسلامي الماليزي توزيع تعليمات حول القانون المقترح الذي ينطبق كذلك على صور النساء في الإعلانات.

مجلس الكنائس العالمي يدعو إلى تصفية الاستثمارات في إسرائيل

شجع مجلس الكنائس العالمي . أكبر هيئة عالمية تجمع المسيحيين غير الكاثوليك . أعضاءه على تصفية استثماراتهم في الشركات التي تنربح من احتلال إسرائيل للمناطق الفلسطينية.

وأشادت اللجنة المركزية للمجلس في اجتماع في جنيف في الكنسية المشيخية الأميركية لدراستها إمكانية تصفية الاستثمارات في إسرائيل على غرار المقاطعة المالية التي استخدمتها ضد نظام العزل العنصري «أبارتيد» في جنوب افريقيا قبل عقدين. وقد أثار التهديد الذي لوحت به الكنيسة المشيخية والذي جاء ترديداً لمناقشات بشأن تصفية الاستثمارات في بعض الجامعات الأميركية غضب زعماء اليهود الأميركيين.

لكن في وثيقة وافقت عليها في اجتماع استمر أسبوعاً في مقر مجلس الكنائس أبرزت اللجنة المركزية مسعى تصفية الاستثمارات وشجعت الكنائس غير الأعضاء على دراسة عمل الشيء نفسه. ولم يتضح عدد الكنائس التي ستستجيب لدعوة بين ٣٤٢ كنيسة بروتستانتية وأرثوذكسية أعضاء في مجلس الكنائس العالمي. وقال بيان المجلس هناك شركات متعددة الجنسيات متورطة في هدم المنازل الفلسطينية.

تركيا: ٣٠٠ ألف توقيع للبرلمان التركي لرفع حظر الحجاب

قدم ممثلو جمعيات تركية تدافع عن ارتداء الحجاب قائمة تحمل ٣٠٠ ألف توقيع إلى «بولنت ارنتش»، رئيس البرلمان التركي تطلب فيها من البرلمان وحزب العدالة والتنمية الحاكم، إيجاد حل لمشكلة منع ارتداء الحجاب في الجامعات التركية والأماكن الرسمية. وطالب ممثلو تلك الجمعيات بوضع حد لمعانات الطالبات اللواتي يطردن من الجامعات بسبب ارتدائهن الحجاب.

مشروع إسلامي بديل أمام المؤتمر

الأمم المتحدة تعقد مؤتمرها لتبني وثيقة بكين

عقدت الأمم المتحدة مؤتمرها السنوي عن حقوق المرأة في الأول من مارس العام ٢٠٠٥م وذلك احتفالاً بمرور عشر سنوات على إصدار «وثيقة بكين» الخاصة بالمرأة، وهي الوثيقة التي تدعو إلى فتح الطريق للإباحية الجنسية وانتزاع مكان للشواذ داخل المجتمعات وتقنين حرية الحمل خارج الزواج، والإجهاض وزواج المثليين وهدم الأسرة بأركانها الفطرية والتي تعد النواة الأصيلة لبناء المجتمعات.

وقد أعد الدكتور «عبدالعظيم المطعني» الأستاذ في جامعة الأزهر دراسة حديثة بمثابة ورقة عمل إسلامية بديلة بشأن حقوق المرأة والطفل، وتم تقديمها للمؤتمر وقال د.«المطعني»: إن هذه الدراسة تحمل عنوان «المشروع الإسلامي البديل لوثائق الأمم المتحدة»، معرباً عن أمله في مناقشتها ضمن الأوراق التي قدمتها جهات إسلامية كثيرة للاحتجاج على وثيقة بكين وتقديم البديل الإسلامي، بدلاً من الشعارات المضللة والمزيفة عن حرية المرأة والحفاظ على حقوقها.

في الوقت نفسه، قامت اللجنة الإسلامية العالمية للمرأة والطفل التابعة لرابطة العالم الإسلامي بترجمة الوثيقة «نقد الوثيقة والمشروع الإسلامي البديل» إلى اللغة الإنجليزية، واستندت إليهما في إعداد أوراق عمل خلال تقديمها للمناقشة في المؤتمر ضمن مقترحات اللجنة التي تقدمها من خلال الوفد المصري الرسمي المشارك في المؤتمر.

وهناك كثير من الحكومات في العالم الإسلامي وكثير من المنظمات الغربية الأسرية والفاتيكان أعلنوا رفضهم لما جاء في وثيقة بكين

مسلمات شاركن في مؤتمر بكين في الزي الإسلامي

الصادرة العام ١٩٩٥م، وأكدوا خطورتها على المجتمعات الإنسانية، إلا أن الكثير من المنظمات الدولية النسائية ذات الأهداف الخبيثة لعبت دوراً في تمرير مشروعات الوثيقة ولا تزال تصر على إنفاذها لتدمير الفرد والأسرة، وعقدت في هذا الصدد مؤتمرات عدة عن «حقوق المرأة» صارت أشبه بتقليد سنوي للأمم المتحدة ■

يستخدمون في الدعارة والعمل بالسخرة

ظاهرة تهريب البشر تتفشى في آسيا!!

أظهر تقرير لوزارة الخارجية الأميركية أن تهريب البشر للاستغلال الجنسي والعمل في نظام السخرة قد تفشى في آسيا، لكنه ليس قصراً على المنطقة.

وذكر موقع «هيومان ترافيكنغ دوت أورغ» على الإنترنت الذي تموله الوزارة أن أكثر من مليون شخص ينقلون من مكان إلى آخر في العالم سنوياً.

وأفادت معلومات بشأن آسيا في صحيفة «ذا ستريتس تايمز» أن تايلند توصف بأنها «مصدر

إعداد :
عبدالمنعم أحمد

حصيلة متفاوتة في الأمم المتحدة حول تقدم أوضاع المرأة في العالم

وضعت الحكومات والمنظمات غير الحكومية حصيلة متفاوتة لتقدم أوضاع المرأة في العالم بعد مرور عشر سنوات على تبني خطة عمل في «بكين» في هذا الصدد، وأكدت مجدداً صلاحيتها وضرورتها بعد مناقشات استمرت أسبوعاً، واتسمت أحياناً بالحدة في مقر الأمم المتحدة في نيويورك.

وفي بيان اعتمد يوم ٢٠٠٥/٣/٤م أعرب موفدو الدول الأعضاء في لجنة الأمم المتحدة الخاصة بوضع النساء عن ارتياحهم لـ«التقدم المنجز حتى الآن على طريق تحقيق المساواة بين الجنسين».

ولكنهم لفتوا إلى «المشكلات والعقبات التي مازالت تعيق تطبيق إعلان وخطة عمل بكين»، وتعهدوا بـ«اتخاذ تدابير جديدة لضمان تطبيقهما الكامل والسريع»، كما شددوا على ضرورة «إدراج مشكلة النساء والرجال على جدول أعمال الاجتماع الموسع على مستوى عال المخصص للبحث في إعلان الألفية».

كذلك من المنتظر أن يبحث في سبتمبر ٢٠٠٥م في أثناء قمة عالمية في نيويورك مدى التقدم في تطبيق أهداف التنمية الألفية التي جرى تبنيها في العام الفين وفي المقام الأول خفض مستوى الفقر إلى النصف بحلول العام ٢٠١٥م.

وقد أدخلت ضمن هذه الأهداف نقاط عدة من برنامج العمل الذي أعلن في بكين لإحراز تقدم في مجال حقوق المرأة.

وكانت خطة بكين أعلنت أن حقوق النساء تمثل حقاً أساسياً للبشرية وتوفر إطاراً عالمياً لوضع حد للتمييز بين الجنسين وتقليص الفوارق في اثني عشر مجالاً مثيرا للانتقاد مثل الصحة والتربية والتوظيف والمشاركة السياسية وحقوق الرجل. وقد رسمت «راشيل ميانجا» المستشارة الخاصة للأمين العام للأمم المتحدة «كوفي آنان» لشؤون المساواة وترقية وضع المرأة صورة عامة عما آلت إليه الجهود في هذا المجال، مشيرة إلى نقاط عدة تقدم بينها تبني مزيد من القوانين في العالم لحماية النساء من التمييز، لكن هذا التحرك بطيء وغير متوازن تبعاً للبلدان.

وأكدت أن الاغتصاب والعنف الجنسي يُعترف بهما أكثر فأكثر مثل جرائم الحرب، كما أن تسجيل الفتيات في المدرسة الابتدائية مرتفع باستمرار فيما يظهر توظيف النساء دلالات مشجعة على حد قولها.

لكنها رأت أن «الهوة مازالت قائمة بين السياسات الرسمية والممارسات في مجال المساواة بين الجنسين. والمواقف لا تتغير بالسرعة نفسها. وكذلك السياسات والأفكار المسبقة والممارسات التمييزية مازالت مستمرة».

ولفتت إلى أن القسم الأكبر من الفقراء في العالم هم من النساء اللواتي مازلن يقعن ضحايا العنف وأكثر عرضة للأيدز، فضلا عن ذلك فإن الاتجار بالنساء والأطفال في ازدياد.

وذهبت منظمة النساء من أجل البيئة والتنمية وهي منظمة غير حكومية، إلى أبعد من ذلك متهمة الحكومة بأنها خيبت الآمال لجهة تحقيق المساواة التي تولدت في العام ١٩٩٥م في «بكين».

ودعت رئيستها «جون زيتلين» الحكومات إلى اتخاذ «ثلاثة تدابير ملموسة لترجمة خطة بكين إلى أفعال في بلدانها»، وإلى أن تعلن بدورها في «نيويورك» في أثناء القمة العالمية «ما هذه التدابير وكيف بدأت في تطبيقها».

وفي السياق نفسه، دعت منظمة غير حكومية أخرى هي «ايكو اليتي ناو» بلسان النجمة السينمائية «ميريل ستريب» الأمم المتحدة إلى تعيين مقرر خاص مكلف بالإشراف وإعداد تقارير منتظمة حول الخطوات التي تحققها الدول لجهة إلغاء القوانين التمييزية تجاه النساء ■

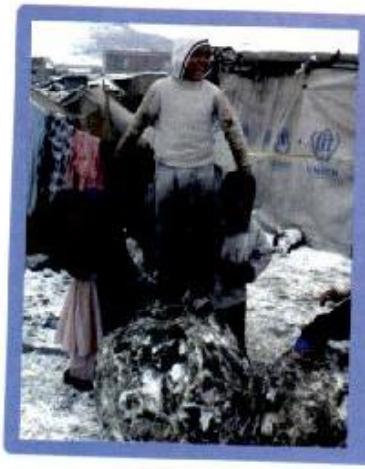

نقطة مرور وغاية لتهريب النساء والأطفال لأغراض شتى بينها الاسترقاق والعمل بنظام السخرة والدعارة في آسيا وأوروبا والولايات المتحدة والشرق الأوسط».

وكانت الزيجات المرتبة ولا سيما في الصين وكمبوديا من المشكلات في فيتنام.

ويجري تهريب النساء إلى ماليزيا واليابان والشرق الأوسط وتايوان وهونغ كونغ وسنغافورة من إندونيسيا في حين وصفت ماليزيا أنها مصدر ونقطة عبور ومقصد لتهريب النساء والبنات من المنطقة للاستغلال الجنسي.

وقال التقرير: إنه غالباً ما تشتد المشكلة في دوائر تنفيذ القانون في البلدان النامية، حيث يتلقى هؤلاء المسؤولون مرتبات ضعيفة، ويبدو أن أخطر مشكلة في الفلبين هي تهريب النساء إلى آسيا، ولا سيما اليابان، وكذلك إلى أوروبا والشرق الأوسط وأميركا الشمالية للاستغلال الجنسي.

كما تقع جرائم تهريب مختلفة في الصين وكمبوديا وكوريا الجنوبية وميانمار «بورما» وفيتنام.

وقال «مارش بيل» كبير مستشاري قضايا التهريب في وزارة العدل الأميركية في التقرير الذي نشرته الصحيفة إن البشر ولا سيما تهريب واسترقاق الفتيات للدعارة يرتبط بتهريب الأسلحة الذي يعد ثاني أكبر أنشطة الكسب غير المشروع في العالم.

وتفيد تقديرات صندوق رعاية الطفولة التابع للأمم المتحدة أنه يجري تهريب ١,٥ مليون طفل في العالم كل عام، ويعتقد أنه في بريطانيا وحدها يؤتى بالمئات من الأطفال كل عام لممارسة الدعارة عن كره أو للاسترقاق المنزلي ■

النشر الإلكتروني وجه آخر للعولمة!

بقلم : سمير أحمد الشريف

أثارت الأنباء التي تم تناقلها أخيراً أن شركة «جوجل» الأميركية التي تدير أكبر محرك بحث الكتروني على شبكة الإنترنت، بصدد تحويل مصنفات أكبر خمس مكتبات عالمية هي مكتبة نيويورك العامةومكتبة جامعات اكسفورد وهارفارد وميتشجن وستانفورد فرحاً عارماً في الأوساط الثقافية، غير أننا مع ابتهاجنا لهذه الخطوة التي تقرب المسافات وتختصر الجهد والزمن هي رحلة البحث عن المعلومة، ننظر إلى المسألة من زاوية ثانية تتمثل في خشيتنا من هذا التطور الذي يكرس اللغة الإنجليزية على حساب لغات وثقافات الأمم الأخرى.

بالنسبة لعالمنا العربي، نسأل في ظل ارتفاع نسبة الأمية في كثير من الدول، كم هي نسبة الذين يستخدمون الإنترنت، وكم هي نسبة القادرين على ذلك اقتصادياً ممن لديهم الدافع لذلك، بل كم هي نسبة من يتقنون اللغة الإنجليزية للدخول إلى عالم كهذا؟ وكم هي نسبة القادرين عموماً في ظل أوضاع اقتصادية خانقة وأمية متفشية وغياب رسمي شبه غائب عن توظيف هذا الجانب جزءاً من خطة حضارية تليق بنا؟!

لا يُظن أننا نبالغ وننظر إلى نصف الكأس الفارغ أبداً، فإن مرور خمسة قرون على اختراع الطباعة وصل العالم خلالها إلى مستويات متقدمة في القراءة والوعي، ونحن ما زلنا نراوح مكاننا ونجتر أمانينا في القضاء على الأمية المتفشية بين أطفالنا الذين يتجاوز عددهم أكثر من ٧٠٪ من مجموع السكان في بعض الدول العربية، وهذا طبعاً، من دون الخوض في الأمية الثقافية والفكرية بين أوساط القادرين على القراءة والكتابة!!.

إن سيطرة الإنجليزية على شبكة الإنترنت يقتضي منا التفكير جدياً أن نجعل لغتنا تخوض المعترك ولا نظل نحيا على الهامش متمنين الأماني، بينما يفوتنا ركب الحضارة ويخلفنا والهين.

نحن مطالبون باحترام ذاتنا وحضارتنا ولغتنا، فعنواننا وهويتنا في المحيط المتلاطم الأمواج، وعلينا أن نجتهد بالعمل على تعريب تكنولوجيا المعلومات، والإسراع في دمج اللغة العربية بالمحيط التقني حتى يتسنى لها أن تأخذ دورها وتعبّر عن حضورها بالتفاعل والتطور، لا أن تظل رهينة غياهب المخطوطات ورفوف المكتبات.

إن القائمين على تكريس هيمنة اللغة الإنجليزية في مجال العلم والتكنولوجيا، يدركون أن ذلك تهديد لثقافة الآخر وتفتيت بطيء لمكوناتها وتحطيم لخصوصيتها، وهم يركنون لعامل الزمن ليأخذ دوره وتفعيل فعله في انقراض وتلاشي لغات وثقافات الآخر.

هل نجد صدى لمقارنة ذلك بالنمط

الوعي قوة

إن الحواسيب الحديثة تستغل المساحات الفارغة وإمكانات الأقراص الصلبة ذات السعات الكبيرة بالكامل، ما يؤدي إلى كفاءة أكبر في أداء العمليات الكمبيوترية وسرعة في التطبيق وسماحة تخزين أكبر، ولكن إذا كان لديك معالج بطيء وذاكرة محدودة فإنك لن تستطيع الاستفادة بالكامل من أي قرص صلب جديد سوى في زيادة مساحة التخزين فقط، أما إذا كان لديك حاسب قديم جداً فإنك قريب من الهاوية، وذلك يعني أن أي مبلغ من المال تدفعه لتطوير الجهاز لن يؤتي ثماره وكأنك ترمي النقود في الهواء.

قبل أن

كيف تشتري قرصاً صلباً؟ Hard Disk

تقدم على شراء قرص صلب جديد عليك التفكير في النقاط التالية:

. بعض الحاسبات القديمة ذات الحجم الصغير لاتوفر مساحة إضافية لأي قرص جديد، لذلك عليك فتح غطاء وحدة الحاسب CPU والتأكد من توافر مكان فارغ لإضافة قرص صلب جديد.

. دائماً حاول الحصول على سعة للقرص الصلب أكثر مما تحتاج فإذا كنت تحتاج إلى ٢٠ GB فعليك البحث عن سعة ٣٠ GB.

. إذا كنت تستعمل الحاسب الآلي في إعداد ملفات الموسيقا والفيديو فإنك ستحتاج إلى سعة تخزين ضخمة، فنوعية الملفات الصوتية والفيديو كبيرة الحجم وتحتاج إلى مساحات تخزين ضخمة.

. عند البحث عن القرص الصلب المناسب تأكد من الحصول على أسرعها. وأسرع الأقراص الصلبة يأتي بسرعة ٧٢٠٠ دورة في الدقيقة.

. دائماً فكر في القرص الصلب الخارجي وضعه في الحسبان قبل الشراء فقد يكون خياراً أفضل. القرص الخارجي نقال وتستطيع حمله معك. كما أنه مفيد في نقل البيانات من حاسب إلى آخر. ولكن السعر قد يكون أغلى والسرعة قد تكون أقل من القرص الداخلي.

. دائماً الجأ إلى الإنترنت لمعرفة مزيد من المعلومات عن القرص الذي تريد شراءه وللمفاضلة بينه وبين الأنواع الأخرى- إذا كان فارق السعر ليس كبيراً بين سعتي تخزين مختلفتين، عليك اختيار السعة الأكبر دائماً.

إعداد : وائل عبدالرحمن

الغذائي الاستهلاكي السريع الذي غزا وما زال يغزو العالم حتى أقاصيه؟

لقد انقرضت لغات وتلاشت ثقافات وزالت أنماط عيش وبرزت بدائل من جهة تحاول أن يظل الحال لدى الآخر كما هو، لمجرد مستهلك متلق لا دور فاعل له.

هناك أخطار كثيرة تتهدد الثقافات وأنماط العيش للشعوب التي لاتدخل نفق المعلوماتية، وقد آن الأوان لننمي توجهاتنا التكنولوجية بما يخدم ثقافاتنا ويحفظ خصوصيتنا حتى لا نفقد روحنا ونتماهى في الآخر ونصبح ظلالاً باهتة له.

فالهجمة الإلكترونية إن بقيت كما هي عليه الحال الآن، في طريقها لصهر الثقافات وإعادة صياغتها ضمن رؤى مادية جديدة حتى تتخلص من وهم التعدد الثقافي في مجتمعاتها الغربية.. فما الحل؟

علينا بأخذ الأمر على محمل الجد العاجل واستنهاض همم المتخصصين والغيورين لإيجاد البدائل للتصدي لمحاولات الإلغاء التي تتجه نحونا متسارعة لخلق البديل الفوري والمتمثل بالمقاومة المعلوماتية التي تحافظ على ما لدينا وتدمجنا بالآخر وتبقي على ملامحنا وهويتنا وخصوصيتنا.

وتمكننا من التعامل ندياً مع الآخر لا تابعين له. فيحصل التدافع والتلاقح والحوار والمشاركة. ولعل اليابانيين والفرنسيين قد تنبهوا قبلنا بمراحل للأخطار التي ذكرنا، فبدأوا بتطويع التكنولوجيا للغاتهم التي تتفق جميعاً على مدى صعوبة تعاطي اللغة اليابانية مع الحوسبة بسبب تعقيدها، لكنها مع ذلك دخلت المعترك وفرضت نفسها ومكنت المتعاطين بها من الالتحاق بركب الأمم المتحضرة بل التفوق عليها، هي قد خرجت من آثار حرب كونية مدمرة تعرض فيها شعبها لإلقاء واحدة من قنابل الدمار في ذلك العصر ولم يكن مأمولاً منها أن تقوم لها قيامة.

مثل هذا التوجه، يمكن تحقيقه بعمل الفرد جنباً إلى جنب مع الدولة والمؤسسة، وعلى الفرد أن يعي خطورة المقبل وأهمية دوره وضرورة تحمل مسؤولياته حسب جهده، ولعل في طليعة ذلك امتلاك المهارات التي تساعده على تحقيق هدفه والترويج لمثل هذه الطروحات بين أفراد أمته.

وعلى العولمة ومؤسساتها بناء وتأسيس مواقع الكترونية تخدم الغرض الثقافي الأكبر لا أن نجعلها حكراً على ما يضيع الوقت من اهتمام بالألعاب والدردشة والتوسع في النشر الإلكتروني وتحديث الأنظمة التي تواكب السرعة التكنولوجية بتأسيس دار وطنية للثقافة الوطنية العربية، تنقل صورتنا الحضارية المتوازنة بعمقها الفكري الإنساني للآخر، والاتجاه لعقد الندوات والمحاضرات والورش والمؤتمرات التي تتولى الإشراف على ذلك ضمن منظومة عربية إسلامية واحدة تعكس حقيقة عمقنا الحضاري.

من أخبار الإنترنت

- شهد العام ٢٠٠٤م تزايداً هائلاً في التهديدات الأمنية التي تستهدف أجهزة الكمبيوتر التي تستخدم برامج «ويندوز» وتجاوز عدد الفيروسات المعروفة المئة ألف فيروس.
- سجل قطاع تقنية المعلومات والاتصالات معدلات نمو قياسية في منطقة الشرق الأوسط خلال العام ٢٠٠٤م، فقد ارتفع حجم الإنفاق في المنطقة العربية وحدها إلى نحو ٧ مليارات دولار.
- ذكر أن عدد أجهزة الهاتف الخلوي في بريطانيا بات للمرة الأولى يفوق عدد المواطنين أنفسهم وأشارت الأرقام التي نشرتها «جمعية إحصاء الهواتف الخلوية» إلى أن هناك على الأقل ٦٠ مليون جهاز مستخدم في بريطانيا حالياً.
- ارتفعت مبيعات الهواتف النقالة في كل أنحاء العالم بنسبة ٢٩,٣٪ في العام ٢٠٠٤م، وذكرت شركة البحوث التكنولوجية «اي. دي. سي» أن الناس في كل أنحاء العالم اشتروا ٦٦٤,٥ مليون هاتف في العام الماضي.

أول جامعة مصرية الكترونية

أُعلن أخيراً عن قيام أول جامعة مصرية تقنية للتعليم المفتوح، وتهدف الجامعة الجديدة إلى تحقيق مجموعة من الأهداف من بينها الانتقال بمجتمع تقنية المعلومات والاتصالات العربي من مجتمع مستهلك للتقنيات إلى مجتمع منتج لها، بل مصدّر لها خلال الفترات القليلة المقبلة. كما تهدف إلى إنشاء نموذج تفاعلي للتدريب التقني، وفقاً لأحدث التقنيات التي وصلت إليها تقنية المعلومات، بما يسهم في التوظيف الأمثل للموارد البشرية والاقتصادية، من خلال نموذج تعليمي وطني متطور، والعمل على إعلاء قيمة الجهد البشري من خلال استقطاب العناصر البشرية ذات الكفاءة المتميزة، وتشجيعها على إنتاج أجهزة وأنظمة تقنية المعلومات والاتصالات للإسهام في حل مشكلة البطالة.

وفي سبيل تحقيق أهدافها وستعمل الجامعة على التعاون مع الجامعات ومراكز البحوث التقنية المصرية والعالمية في مشروعات بحثية تطبيقية مشتركة.

مواقع مفيدة

تحليل نظم
www.xbitlabs.com

نظم الكمبيوتر وبرامجه كلها موجودة على هذا الموقع المتخصص وبالإمكان المشاركة في تبادل الآراء والمعلومات حولها.

. قاموس للغة الصم والبكم:
www.d2000.4mg.com

موقع مفيد لمن يرغب في التعامل مع هذه الشريحة من المعاقين حتى يتعلم لغتهم ويوصل المعلومة إليهم.

علوم عربية
http://olom.info/mgz/modules

شبكة العلوم العربية تقدم للمستخدم آخر أخبار العلوم مع صفحات في الفيزياء والرياضيات والكيمياء والطب والفلك وغيرها من الميادين.

في محاسن الرسول الأكرم ﷺ

افتتح البيهقي كتابه «المحاسن والمساوئ» بذكر محاسن الرسول صلى الله عليه وسلم:

رجاء الفضل واليمن والبركة والتوفيق...

فقال: اختاره الله من خير أرومات العرب عنصراً، ومن أعلى ذوائب قريش فرعاً. ومن أكرم عيدان قصي مجداً، ثم لم يزل بلطفه لنبيه صلى الله عليه وسلم وآله واختياره إياه بالآباء الأخائر «جمع أخير» والأمهات الطواهر حتى أخرجه في خير زمان وأفضل أوان، تفرع من شجرة باسقة الندى، شامخة العلا، عربية الأصل، قرشية الأهل ضافية عطاف «نسبة إلى عبد مناف» هاشمية الأغصان، ثمرتها القرآن، تندى بماء ينابيع العلم في رياض الحلم، لا يذوي عودها، ولا تجف ثمرتها، ولا يضل أهلها، أصلها ثابت وفرعها في السماء.

تاب وأناب

تنبأ رجل في أيام الخليفة العباسي «المأمون» فأُتي به إليه فقال له: أنت نبي قال: نعم، قال: فما معجزتك؟ قال: ما شئت، قال: أخرج لنا من الأرض بطيخة، قال: أمهلني ثلاثة أيام، قال المأمون: بل الساعة أريدها، قال: يا أمير المؤمنين أنصفني، أنت تعلم أن الله ينبتها في ثلاثة أشهر، فلا تقبلها مني في ثلاثة أيام. فضحك الخليفة وعلم أنه محتال واستتابه، ووصله.

بين العدو والحسود

قال الشاعر الطغرائي في المقارنة بين العدو والحسود:

جامل عدوك ما استطعت فإنه
بالرفق يطمع في صلاح المفاسد
واحذر حسودك ما استطعت فإنه
إن نمت عنه فليس عنك براقد
ولربما رضي العدو إذا رأى
منك الجميل فصار غير معاند
ورضا الحسود زوال نعمتك التي
أوتيتها من طارق أو تالد
فاصبر على غيظ الحسود فنارة
ترمي حشاه بالعذاب الخالد
أو ما رأيت النار تأكل نفسها
حتى تعود إلى الرماد الهامد
تضفوا على المحسود نعمة ربه
ويذوب من كمد فؤاد الحاسد

وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور

قال الأصمعي: صنع «الرشيد» يوماً طعاماً فاخراً وزخرف مجلسه ثم أحضر «أبا العتاهية» فقال له صف ما نحن فيه من نعيم الدنيا فأنشد:

عش ما بدا لك سالماً
في ظل شاهقة القصور

فقال «الرشيد» أحسنت ثم ماذا؟ فأنشد:

يسعى إليك بما اشتهيـ
ـت لدى العشية والبكور

فقال «الرشيد» أحسنت ثم ماذا؟ فأنشد:

وإذا النفوس تغرغرت
بزفير حشرجة الصدور
فهناك تعلم موقناً
ما كنت إلا في غرور

فبكى «الرشيد» بكاءً شديداً، فقال بعض الحاضرين لـ«أبي العتاهية» بعث إليك أمير المؤمنين لتسره فأحزنته!! فقال «الرشيد» دعه فإنه رآنا في عمى فكره أن يزيدنا منه.

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(طه. ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى. إلا تذكرة لمن يخشى. تنزيلاً ممن خلق الأرض والسموات العلى. الرحمن على العرش استوى. له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى. وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى) طه: ١-٦.

من هدي رسول الله ﷺ

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من دعا إلى هدي كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا» رواه مسلم.

إعداد: أحمد عبدالجبار

تسعة أنواع من النساء

ينهى بعض حكماء العرب عن الزواج بتسعة أنواع من النساء وهن:

. الأنانة: وهي التي تكثر من الأنين والتشكي وتعصب رأسها كل ساعة.

. المنانة: وهي التي تمن على زوجها فتقول فعلت لأجلك كذا وكذا.

. الحنانة: وهي التي تحن إلى زوج آخر أو ولدها من زوج آخر.

. الحداقة: التي ترمي إلى كل شيء بحدقها فتشتهيه وتكلف الزوج شراءه.

. البراقة: وتحتمل معنيين أحدهما أن تكون طول النهار مهتمة بتصقيل وجهها وتزيينه فيكون لوجهها بريق، والثاني أن تغضب على الطعام فلا تأكل إلا وحدها وتستقل بنصيبها من كل شيء.

. الشداقة: المتشدقة الكثيرة الكلام ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «إن الله يبغض الثرثارين المتشدقين».

. المختلعة: التي تطلب الخلع أي الطلاق كل ساعة من غير سبب.

. المباراة: المباهية بغيرها المفاخرة بأسباب الدنيا.

. الناشز: وهي التي تعلو على زوجها بالفعال والمقال، والنشوز هو العالي من الأرض.

«اللهم احفظ نساءنا المسلمات وباعد بينهن وبين تلك الصفات واجعل فيهن الخير لأزواجهن ولأمتهن».

الهزيمة

أعمق معاني الهزيمة في حياة الإنسان تلك التي تنبع من داخله لتقضي على جميع مشاعره النفسية، وكل مظاهر السلوك الحياتي لديه، وأخطر ما في هذا النوع الرهيب من الهزيمة أن صاحبه لا يشعر به، ولا يعترف بذلك لأنه مخدر الذهن، مسلوب الإرادة، معبأ بما يحسبه الرفعة والمجد والظفر، وهو يحيا في أجواء من الغرور، لا يملك معها أن يفسح لغيره حواراً لأنه يطلُّ على من حوله من بروج الاستعلاء التي لا تؤمن إلا بعبودية الفكر وقهر الإنسان.

المفكر الإسلامي يوسف العظم

يا أمة الإسلام

يا أمة قرآنها دستورها
وزعيمها كان النبي المرسلا
عودي إلى الدين الحنيف عقيدة
وشريعة وتخلقاً وتعقلاً
ما في سوى القرآن خير يجتبى
أو ما في سوى الإسلام نهج يبتلى
الله خارك للرسالة فانهضي
لتواصلي عمل الجدود الأولي

الزعيم المغربي علال الفاسي

ذهب إليه وأداه حقه

«ذهب إليه وأداه حقه» تعبير لغوي خاطئ والصواب: «ذهب إليه وأدى إليه حقه»، لأن فعل أدى يتعدى إلى مفعول واحد فقط.

إلى من يكلها

تزوج رجل بامرأة قد مات عنها خمسة أزواج، فمرض السادس فقالت: إلى من تكلني؟ فقال: إلى السابع الشقي.

الكلمات المتقاطعة

إعداد: محمد أبو دية

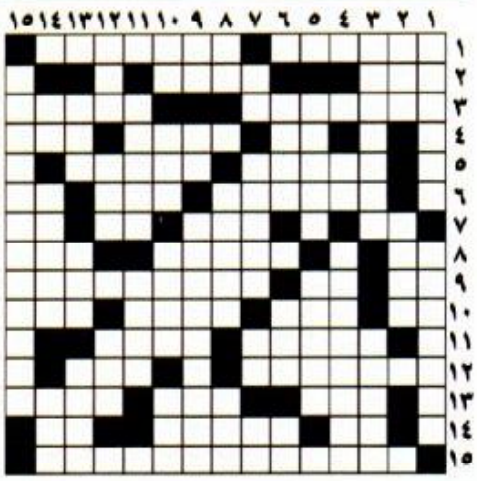

أفقياً ورأسياً

١ . من أسماء الله الحسنى . الشهر الذي تؤدى فيه مناسك الحج.
٢ . مفرده لوزة . جمعها ورد.
٣ . الذي اشترى يوسف من القافلة في مصر . جبال بين آسيا وأوروبا.
٤ . نصف نمام . عبدة النيران . زينة تعلق في الأذان.
٥ . آلة لنشر الخشب وغيره . مدينة في القصيم بجزيرة العرب.
٦ . قفل أمان . مشروب شعبي عالمي . والد.
٧ . نصف ورقة . فاكهة لذيذة ناعمة . نونان . للنفي.
٨ . أصغر النمل . مفردها ورد . شراب محرم في شريعة الإسلام.
٩ . محبة . بئر . حيوانات ضخمة منقرضة «مقلوبة».
١٠ . نصف حياة . من أصحاب القراءات السبعة . عالمي . من فنون البدو.
١١ . منظمة دولية آسيوية اقتصادية . كثير الصياح.
١٢ . ضد مالح . هم بالليل وذل بالنهار . من أبواب القدس الشريف.
١٣ . نعومة وحنان . اختبأ واختفى بسرعة . أم الجمل «مقلوبة».
١٤ . ثلثا دار . من الأسماك الخليجية اللذيذة + ال . ألفان.
١٥ . رئيس وزراء الجمهورية التركية.

حل العدد السابق ٤٧٤

إعداد : معن خليل

البحرين تعتزم إنشاء مركز عالمي للتدريب في مجال التمويل الإسلامي

كشف محافظ مؤسسة نقد البحرين الشيخ أحمد بن محمد آل خليفة عن توجه المؤسسة لتأسيس مركز عالمي للتدريب والتدريس والبحوث في مجال التمويل الإسلامي، مشدداً على أهمية دعم وإسهام قطاع المصارف والمؤسسات المالية الإسلامية في هذا المشروع.

وأكد المحافظ لدى افتتاح المؤتمر العالمي للمصارف الإسلامية، أهمية تطوير رأس المال البشري في قطاع المصارف الإسلامية، كونه يشكل أحد أهم العناصر المساعدة والمهمة في إنجاح صناعة التمويل الإسلامي والتكافل على المدى البعيد، مشيراً إلى ضرورة تكوين هيئة من المختصين في التمويل الإسلامي تضم هيئات الرقابة الشرعية بحيث يؤهلون ويدربون بشكل علمي ليكونوا ملمين بالمسائل المالية بقدر إلمامهم بأحكام الشريعة الإسلامية.

اتش. اس. بي سي يدير إصدار سند إسلامي عالمي

قال «ضرير كاما» الرئيس التنفيذي لبنك «اتش. اس. بي. سي» ماليزيا: إن الشركة الوطنية العقارية في ماليزيا «كاجامامس» اختارت «اتش. اس. بي. سي» ثاني أكبر بنك في العالم لتسويق سند إسلامي بين المستثمرين في أنحاء العالم.

وأضاف «كاما»: إن «اتش. اس. بي. سي» وبنك الاستثمار المحلي «سي. اي. ام. بي» سيديران إصدار ما قيمته ١,٥ مليار «رنجيت» (٣٩٥ مليون دولار) وهو ما يعتد أنه أول سند من نوعه يباع على المستوى العالمي.

... و«داو جونزوار. اتش. بي» تصدران مؤشراً للأسواق الإسلامية

قالت شركتا مؤشري «داو جونز وار. اتش. بي كابيتال»: إنهما تطلقان مؤشراً للأسواق الإسلامية يتألف من الشركات الماليزية التي تلتزم بمبادئ التمويل الإسلامية.

وقال «رشدي صديقي» المدير العالمي لمؤشرات «داوجونز» الإسلامية: إن مؤشر «داوجونز وار. اتش. بي. كابيتال» «الإسلامي» لماليزيا سيساعد على اجتذاب الاستثمارات إلى ماليزيا من المستثمرين المسلمين في دول الخليج العربية الغنية بالنفط.

نصف سكان السعودية يطلبون أسهماً في بنك البلاد الإسلامي

قال «محمد العوض» مدير ا لتسويق في بنك البلاد أن نصف سكان السعودية تقدموا بطلبات لشراء أسهم في البنك.

وذكر «العوض» «حتى الليلة الماضية تلقينا ٨,٣ ملايين طلب، أي أكثر من نصف السكان»، وأضاف قوله: إنه مع وصول ٥٠٠ ألف طلب ومؤشرات على موجة شراء جديدة قد تزيد عدد المكتتبين قريباً عن تسعة ملايين. ويبلغ تعداد سكان السعودية حسب تعداد العام الماضي أكثر قليلاً من ١٦,٥ مليون نسمة، ولا يسمح إلا للمواطنين السعوديين بالتقدم بطلبات لشراء أسهم.

ولبنك البلاد وهو البنك الإسلامي الثاني في الأراضي السعودية جاذبية خاصة في السعودية.

وقال «العوض»: «هذا أكبر اكتتاب عام أولي في السعودية من حيث تعداد المكتتبين»، وقد طلب المستثمرون أسهماً قيمتها أكثر قليلاً من ٧,٥ مليار ريال «مليارا دولار» وهو ما يعني أن طلبات الاكتتاب فاقت المعروض وقدره ٣٠ مليون سهم أربع مرات. وكانت الأسهم مقومة بسعر «٥٠» ريالاً.

قانون خاص لعمل البنوك الإسلامية في الجمهورية العربية السورية

أعلن حاكم البنك المركزي السوري «أديب ميالة» عن وضع قانون خاص هو الأول من نوعه في البلاد يتعلق بالبنوك الإسلامية للعمل في سورية.

وقال «ميالة»: «إن البنك المركزي انتهى من وضع قانون خاص بالبنوك الإسلامية لإتاحة الفرصة أمام إقامة بنوك إسلامية في سورية تعمل تبعاً للعمل المصرفي الإسلامي الذي بات يتمتع بحضور قوي في العالم ويحقق نمواً كبيراً».

وأضاف أن العام الحالي سيشهد ولادة البنوك الإسلامية في سورية وذلك في ضوء وجود الكثير من الطلبات المقدمة من جهات مختلفة لإقامة هذا النموط المصرفي.

وتابع أن هذه المصارف ستنوع الخيارات أمام المواطن السوري وقد تبدو مرغوبة لدى شريحة مهمة من المجتمع السوري وخصوصاً أنها ستقدم جميع الخدمات النقدية ضمن إطار معين وأفكار محددة.

وأضاف: «إن البنوك الإسلامية ستشكل محفظة إدخارية مهمة جداً وستجذب رؤوس أموال مكتنزة في المنازل».

يذكر أن من أبرز البنوك الإسلامية التي تطلب العمل في سورية بنك قطر الإسلامي الذي يسعى لإقامة بنك برأسمال يصل إلى ٥٠ مليون دولار أميركي إضافة إلى عرض من بنك البركة الإسلامي في بيروت.

وكانت الحكومة السورية قد منحت خلال العامين الماضيين تراخيص لستة بنوك خاصة للعمل في البلاد في خطوة هي الأولى منذ العام ١٩٦٣م يبلغ رأسمال كل بنك منها ٣٠ مليون دولار.

وأشار «ميالة» إلى أن البنك المركزي السوري قام في الفترة الأخيرة بإنجاز قوانين تتعلق بالسرية المصرفية وآخر لمكافحة تبييض الأموال منوهاً بأن البنك سيصدر قريباً قوانين جديدة من شأنها اجتذاب الفعاليات الاقتصادية ورجال الأعمال لتمرير نشاطاتهم عبر البنوك الوطنية، وتنظيم مهنة الصيرفة وتناول القطاع الأجنبي وتوسيع دائرة بيعه.

الاستثمار البشري: دبلوم مهني خاص بالمصارف الإسلامية

تستعد شركة الاستثمار البشري في الكويت لطرح دبلوم مهني خاص بالمصارف الإسلامية ومعتمد من قبل الجامعة الأميركية في لندن، أعلن ذلك المدير العام لشركة «خالد القصار»، الذي ذكر أن الحاجة لمثل هذا الأمر قد برزت في ظل الاهتمام الكبير الذي باتت تشهده الصناعة المصرفية الإسلامية، ليس على مستوى الوطن العربي وحسب بل على مستوى العالم كله.

وقال «القصار»: إن المصارف الإسلامية أصبحت ضرورة حتمية لتعزيز روافد التنمية الاقتصادية والاجتماعية في الكثير من المجتمعات كما أصبح التنافس جلياً وواضحاً حتى من البنوك الأجنبية، وذلك بفتح أقسام أو فروع للتعاملات الإسلامية لديها، ولا سيما إذا ما عرفنا أن عدد المصارف الإسلامية قد تجاوز حالياً ٢٦٥ مؤسسة مالية مصرفية أصولها الإجمالية تزيد على ٢٦٢ مليار دولار وتمتلك ودائع تزيد على ٢٠٢ مليار دولار في حين بلغت استثماراتها المالية ما يزيد على ٤٠٠ مليار دولار تعمل بقاعدة رأسمالية تقدر بـ ١٣٠ مليار دولار، هذا فضلاً عن آن نسبة نموها السنوية عالية جداً، إذ إنها تتراوح ما بين ١٥ ـ ٢٠٪ سنوياً. وأشار إلى أن هذه الأرقام كفيلة بأن تعطي مؤشراً مهماً حول النظام المالي الإسلامي الآخذ في النمو والتطور كنتيجة حتمية للوضع الصحيح الذي يفترض أن يسير عليه.

وذكر «القصار» أن المحللين عزوا النمو المتسارع للقطاع المصرفي الإسلامي وتزايد الإقبال العالمي عليه، إلى عوامل مرتبطة بأسلوب عمل البنوك الإسلامية عينها، ومن هذه العوامل اتجاه معظم المصارف الإسلامية إلى تأسيس محافظ استثمارية محلية وصناديق استثمار في الأسهم العالمية مما أدى إلى توسع قاعدة السوق أمام هذه المصارف وازدياد الخدمات المالية والاستثمارية التي تقدمها، حيث وصل حجم قطاع الخدمات المصرفية الإسلامية إلى نحو ٢٥٠ مليار دولار بمعدل نمو سنوي تبلغ نسبته ٢٠٪، مما يجعله من أسرع القطاعات المالية نمواً في العالم. وأشار إلى أن عدد المصارف الإسلامية ٢٦٥ بنكاً تعمل في ٤٥ دولة.

بنك دبي الإسلامي ينشئ بنكاً في باكستان

أعلن بنك دبي الإسلامي عن إنشاء بنك جديد مملوك له بالكامل في باكستان لتقديم خدمات مصرفية إسلامية متكاملة للمتعاملين عبر شبكة من الفروع تغطي مناطق مختلفة من باكستان.

وقال بيان للمصرف الذي يتخذ من دبي مقراً له: إن احتفالاً خاصاً أقيم يوم ٢٠٠٥/٣/١٨م في العاصمة الباكستانية إسلام آباد للإعلان عن إقامة البنك بحضور رئيس وزراء باكستان «شوكت عزيز» و«محمد خلفان بن خرباش» وزير الدولة لشؤون المالية والصناعة في دولة الإمارات العربية المتحدة ورئيس مجلس إدارة بنك دبي الإسلامي الذي يزور باكستان حالياً.

وأشار البيان إلى أن السوق الباكستانية تعد «أول الأسواق الخارجية التي يعلن بنك دبي الإسلامي عن دخولها ضمن خطة استراتيجية طموحة سيسعى البنك إلى تحقيقها لتوسيع قاعدة عملياته في الأسواق الإقليمية والعالمية حيث ستعزز هذه الخطوة من دور البنك في قيادة المؤسسات المالية الإسلامية على المستوى العالمي».

أخبار موجزة

- تشهد منطقة الخليج فورة في لعمل المصرفي الإسلامي ففي الوقت الحاضر يقوم سبعة عشر مصرفاً في منطقة الخليج «تتجاوز موجوداتها ٤٧ مليار دولار» بتقديم الخدمات المالية ومنتجاتها بالانسجام التام مع أحكام الشريعة الإسلامية علاوة على ذلك، فإن كل دولة من دول مجلس التعاون الخليجي لديها مصرف إسلامي واحد على الأقل، مع الاستثناء الملحوظ لسلطنة عمان.
- لفتت شركة «أعيان» الكويت إلى وجوب اعتبار وبنك الشرق الأوسط «غير مصنف»، الذي يتخذ من دولة الإمارات مقراً له، ضمن مجموعة البنوك التي اتبعت عملية التحويل. فقد تم تحويل البنك المذكور، الذي استملكه بنك الإمارات الدولي «المصنف» BBB Pi إلى مؤسسة مالية إسلامية من قبل الشركة الأم العام ٢٠٠٤م.

الأدبية الساحة

مسابقة الكويت الكبرى لحفظ القرآن الكريم إلى العالمية

أعرب الأمين العام للأمانة العامة للأوقاف «د. محمد الشريف» عن رغبته في وصول مستوى مسابقة الكويت الكبرى لحفظ القرآن الكريم التي تقيمها الأمانة العامة للأوقاف تحت رعاية كريمة من سمو أمير البلاد إلى العالمية.

أدب الحوار والاختلاف

عقدت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت خلال الفترة بين ٢ . ٣ أكتوبر ٢٠٠٤م منتداها الأول «أدب الحوار والاختلاف»، وقد نوقش في المنتدى عدد من الأبحاث التي ترسّخ وتؤصّل هذا المفهوم ورغبة من الوزارة في تعميم الفائدة قامت بجمع أبحاث المنتدى ونشرها في كتاب جاء في ١٥٦ صفحة من الحجم المتوسط ويضم بين دفتيه سبعة أبحاث هي: مفهوم الحوار، والاختلاف في ضوء الكتاب والسنة، ومفهوم الحوار والاختلاف في الفكر المعاصر، الحوار وأهميته وثمراته، أصول الحوار وآدابه، ضوابط الحوار والاختلاف، مجالات الحوار، سيكولوجية الحوار.

إحياء الفروض الكفائية سبيل تنمية المجتمع

في سلسلة «كتاب الأمة» الدورية التي تصدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة قطر صدر العدد ١٠٥ محرم ١٤٢٦هـ تحت عنوان «إحياء الفروض الكفائية سبيل تنمية المجتمع» للدكتور عبدالباقي عبدالكبير. وهذا الكتاب... يعتبر محاولة لوضع خطوة على الطريق الطويل، وإيقاظ حس الوعي الإسلامي بأبعاد «الفروض الكفائية» التي تتطلب توافر الكفاءات في المجالات المتعددة، لتحقيق الكفايات، لعل هذا الإحساس يتحول إلى إدراك لأهمية هذه الفروض في تحقيق التنمية المستدامة للمجتمع، وتوسيع دائرة البعد الديني، واستشعار الثواب والعقاب للفعل الإنساني، وإعادة القيم الدينية إلى خضم الحياة، والانطلاق منها لتحقيق سائر التخصصات، التي يتولد معها إعادة بناء شبكة العلاقات الاجتماعية وحماية المجتمع من التفكك والتخلف، وإناطة الأمور إلى أهلها، أي أهل الخبرة، والتحول إلى بناء «أهل حل وعقد» منطلق من «الفروض الكفائية» حيث الأعمال في الحياة لا تتطلب مهارات واحدة، وميول واحدة، وإنما «... كل ميسر لما خُلق له» كما قال ﷺ، وكأن بين المهارات والأعمال تواعدا والتقاء.

الطب الوقائي من الكتاب والسنة

كتاب من القطع المتوسط صدر عن سلسلة الطب البديل لكاتبه الدكتور «عبدالباسط محمد السيد»، الذي يقول في مقدمته: «... إن الحقائق القرآنية الكريمة والحقائق الموجودة في السنة الشريفة، هما المعيارية التي يجب أن يحتكم إليها العلم ومنها يستطيع المسلمون أن يتقدموا لتصحيح مسيرة العلم وجعله طريقاً إلى الإيمان بالله تعالى». وبعد المقدمة تحدث الكاتب عن «الطب النبوي» بعامة، وعن «الطب التشريعي» في السنة النبوية، ثم انتقل إلى «الطب الوقائي»، الذي هو عنوان البحث، حيث قسّم بحثه إلى أربعة فصول ومقدمة. وعنون الفصل الأول بـ«الصحة الشخصية» التي يندرج تحت تسميتها: ١ . الوضوء والغسل. ٢ . سنن الفطرة. ٣ . نظافة أدوات الاستعمال.

وأما الفصل الثاني فقد جاء تحت عنوان: «نظافة البيئة» ومن أجزائه: ١ . مصادر المياه. ٢ . الطرق العامة. ٣ . نظافة الأماكن العامة. ٤ . نظافة الأفنية ومنع اقتناء الكلاب.

وأما الفصل الثالث فجاء تحت عنوان: «الأسس الوقائية الخاصة»، وكذلك جاء الفصل الرابع تحت عنوان: «الإنسان القدوة».

عنوان الناشر . دولة الإمارات العربية المتحدة . الشارقة . دار العلوم.

ملامح الناجحين

عن جمعية الإصلاح الاجتماعي في دولة الكويت وفي نحو ٨٠ صفحة من القطع الصغير، صدر كتاب «ملامح الناجحين» للأستاذ «عبدالحميد جاسم الهلالي». الكتاب يضم بين دفتيه ملامح متفرقة قليلة من ملامح الناجحين على اعتبار أنهم هم القلة في كل زمان ومكان وهم الذين يصنعون التاريخ والحياة، وهم الذين يربحون ويتربعون على أعلى المناصب.

ربط جدول العناصر الكيمياوية بترتيب سور القرآن الكريم

تمكن أحد أساتذة الجامعة الهاشمية في مدينة «الزرقاء» قرب عمان من ربط جدول العناصر الكيمياوية الـ ١١٤» بترتيب سور القرآن الكريم البالغ عددها ١١٤ سورة أيضاً.

وقال الدكتور «الغزاوي» رئيس قسم الهندسة الطبية في الجامعة الهاشمية: إنه بتدبره وتفكره في آيات وسور القرآن الكريم، تمكن من اشتقاق حقائق علمية تبين مدى الإعجاز المعرفي والعلمي للقرآن الكريم بعد أن أجرى تجارب مختبرية عدة في الأردن وبريطانيا، وأضاف في تصريحات صحفية، أنه من ضمن هذه الحقائق ما جاء في سورة النمل: (يأيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) النمل:١٨، حيث ذكر في هذه الآية أن النمل ينحطم، واكتشف العلماء أخيراً أن جسم النمل مكون من السليكا، وهي المادة الرئيسة المكونة للزجاج وترتيبها في جدول العناصر «٢٧»، وسورة النمل هي السورة «٢٧»، وكذلك فإن سورة الحديد رقمها في القرآن الكريم «٥٧» هو العنصر «٥٧» في الجدول الكيمياوي.

وذكر أن باقي العناصر غير الـ ١١٤» المكتشفة حديثاً هي عناصر مهجنة يمكن أن تظهر فجأة وتختفي، أما العناصر الدائمة فهي الـ ١١٤» المعرفة في علم الكيمياء.

وأضاف الدكتور «الغزاوي»: إنه في أثناء دراسته في بريطانيا، ولغاية حصوله على شهادة الدكتوراه في «دراسة نمط التحميل في العظم البشري»، بحث في كيفية شكل عظم الإنسان لتصميم الأطراف الصناعية... فتدبّر الآية الكريمة في سورة الرحمن: (خلق الإنسان من صلصال كالفخار) الرحمن:١٤، وقول الله تعالى في سورة التين: (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم) التين:٤، وعن طريق تجارب علمية ومختبرية تبين أن المادة الفخارية ضعيفة في الشد والعلي وتتحمل أكبر قوة عندما تكون في حال ضغط وهكذا هو شكل عظم الإنسان.

وأضاف أنه عن طريق الكثير من الآيات الكريمة يمكن تطوير العلم ويمكن وضع مناهج دراسية جديدة تفيد الطلبة في مختلف مراحل تدريسهم بحيث يتم ربط العلم بالدين.

السياق والترجيح

رسالة منهجية تقع في نحو ٩٠ صفحة من القطع الصغير، تأليف الدكتور «محمد إقبال عروي»، وهذه الرسالة تتخذ مسلكاً منهجياً يقوم على عرض المبادئ والقواعد والمقولات التي تنتظم حركة تفسير الخطاب القرآني، وتبحث في قاعدة من قواعد التفسير ترتبط بدور السياق في الترجيح بين الأقوال التفسيرية والمنازع التأويلية للآيات القرآنية، وهو دور أغفله بعض المفسرين، وانتبه إليه آخرون، غير أنه، بحسب علم صاحب الرسالة، لم يفرد بدراسة مستقلة تشفع النظر بالتطبيق، وتدعم الدعوى بالدليل، وتوسع من مفهوم السياق ليشمل النظم الحاف بالآية والسياق الكلي للسورة والسياق العام لمقاصد القرآن.

عنوان الناشر: مكتبة الطالب. ٤٦ ش المقدس ٤ زنقة الينفية حي القدس - وجدة. المغرب.

أخبار ثقافية

- تم استحداث هذا العام مسابقة جديدة أطلق عليها «مسابقة الأمير عبدالله بن عبدالعزيز للقرآن الكريم والسنة» للطلاب والطالبات، حيث أصبحت تحمل اسم ولي العهد. وتضيف المسابقة ميداناً آخر للتنافس وهو السنة النبوية، بعد أن كانت طوال الأعوام الماضية متخصصة في مجال القرآن الكريم.
- انتقل إلى ذمة الله في العاصمة المصرية يوم ٢٠٠٥/٣/١٠م، د. شوقي ضيف، رئيس مجمع اللغة العربية وأحد كبار الرواد الذين تتلمذ عليه أجيال من الطلاب العرب، واهتدوا بثقافته الأدبية والمنهجية عبر مؤلفات تجاوزت الخمسين كتاباً أثرى بها المكتبة العربية وخصوصاً في مجال الدراسات العربية والإسلامية وتاريخ الأدب العربي.
- تعيش اللغة اللاتينية الرمق الأخير الآن فيما تجد الكنيسة الكاثوليكية التي استبدلت اللغات المحلية، باللاتينية في الصلوات اليومية منذ العام ١٩٦٥ أن أفضل المتحدثين باللاتينية لديها على وشك التقاعد، وأنه ليس ثمة من جيل شاب يحمل عنهم الراية.
- مفاوضات تجرى حالياً بين الأمير «الوليد بن طلال» وبين إحدى الشركات الكويتية لإنشاء قناة إسلامية جديدة تسمى «الرسالة» وستحمل هذه القناة أفكاراً متطورة بهدف تغيير المفاهيم والثقافات وتطوير العلاقات الإنسانية.

وستكون موجهة إلى شعوب الغرب لكي تثبت أن المشكلة بين المسلمين والغرب هي مشكلة غياب الحوار.

ولله أعلم

تصنيع بعض المأكولات لزينة النساء

أفتونا ماجورين في موضوع عمليات بيع وتصنيع بعض المواد الغذائية واستخدامها مرابط لشعر النساء «شباسات» حيث يقوم بعض التجار بوضع مادة شمعية شفافة على قطع مادة البسكوت وبعد أن تتشف يقومون بتجميعها على شكل من الأشكال، ولصقها على مكبس حديد لمسك الشعر، وتباع بمبلغ زهيد، فهل هذا يعتبر استهانا لنعم الله؟ ويمكن أن تستخدم غداً أي مادة غذائية ثم تلصق على الأحذية مثلاً.

أجابت اللجنة بما يلي:

نعم الله تعالى تدوم وتزيد بالشكر، لقوله تعالى: (لئن شكرتم لأزيدنكم) إبراهيم:٧، والمطعومات من أجلّ النعم، ومن شكرها إكرامها، وتكره إهانة المطعومات كالخبز ونحوه، لما ورد في ذلك من الآثار.

وعليه، فإن اللجنة ترى أنه يكره استخدام «مرابط الشعر» المشار إليها في نص الاستفتاء والمرفقة به، كما يكره صنعها وبيعها وتداولها، سواء أكان البسكويت صالحاً لطعام الآدمي أم غير صالح، أو تجاوز تاريخ الصلاحية، على أن غير الصالح لطعام الآدمي من البسكويت وغيره من المطعومات يجوز الاستفادة منه في إطعام ما لا يضره تناوله من الحيوانات والطيور والأسماك وغيرها، فإن لم يتيسر شيء من ذلك وتقرر التخلص منه فيجوز ذلك مع مراعاة عدم إهانته.

عمل المرأة في مجال الشرطة والجيش

ما حكم دخول المرأة في المجال العسكري سواء كان في الشرطة أو الجيش مقاتلة وتعمل في الميادين والشوارع ومطاردة المجرمين واختلاطها بالرجال العسكريين لتدريبها وتعليمها الأمور العسكرية.

أرجو توضيح عمل الصحابيات في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم في الغزوات، وما العمل الذي قمن به؟

أجابت هيئة الفتوى بما يلي:

الأصل أن عمل المرأة يكون في رعايتها لبيتها وزوجها وأبنائها وذلك لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «المرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها»، أخرجه البخاري، إلا أنه يجوز للمرأة الخروج للعمل إذا توافرت الشروط كما يلي:

أولاً: أن يأذن لها وليها أو زوجها فلا تخرج للعمل من دون إذنهما.

ثانياً: أن يكون عملها من فروض الكفايات التي تندفع بها حاجة من حاجات المسلمين كأن تكون طبيبة أو ممرضة أو معلمة للأطفال وللنساء.

ثالثاً: أن تحتاج للعمل للتكسب إن لم تجد من ينفق عليها أو في حال إعسار زوجها بالنفقة.

رابعاً: ألا يكون عملها في معصية كالغناء واللهو أمام الرجال.

خامساً: ألا تختلط في عملها مع الرجال الأجانب من دون حاجة مشروعة.

سادساً: ألا يصاحب عملها خلوة بالرجال الأجانب.

سابعاً: أن تلتزم اللباس الشرعي الساتر لعورتها من دون تبرج أو تبذل.

الأصل أن عمل المرأة يكون في رعايتها لبيتها وزوجها وأبنائها

هذا ما يشترط لجواز عمل المرأة خارج بيتها من حيث الجملة.

أما فيما يتعلق بعملها في مجال الشرطة والجيش فإن الأصل عدم جواز عمل المرأة في هذين المجالين لما يترتب عليه من اختلاط بالرجال الأجانب من غير حاجة ولا ضرورة، ولأن الحاجة مندفعة بعمل الرجل في هذين المجالين، ولأن العمل فيهما يتنافى مع فطرة المرأة وطبيعتها، ومعارض لأنوثتها، وقد اتجهت أحكام الشريعة إلى صيانتها عن الابتذال والتشبه بالرجال، فقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم امرأة متقلدة قوساً فقال: «لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء» رواه الطبراني، ويستثنى من ذلك حالات الحاجة التي تستدعي مباشرة المرأة للعمل في سلك الشرطة، حيث كانت الحاجة لا تندفع إلا بعملها من ذلك؛ العمل في التفتيش النسائي وتحقيق الشخصية، والعمل في سجون النساء.

أما العمل في المجال العسكري، فإن الأصل أن القتال غير واجب على المرأة ويتبع ذلك دخولها السلك العسكري للتدرب على فنون

يجوز للمرأة الخروج للعمل إذا توافرت الشروط المباحة لذلك

القتال وحمل السلاح واستخدامه، بل إن المرأة ممنوعة شرعاً من اختلاطها بالرجال الأجانب لمباشرة تدريبها، والأصل في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لما سألته عائشة: يا رسول الله هل على النساء جهاد؟ فقال: «جهاد لا قتال فيه: الحج والعمرة»، ولأن في دخول المرأة ميادين القتال تعريضاً لها للأسر مما يتنافى مع ما أمرت به الشريعة من صيانة عفتها وتجنيبها الابتذال والقتل. ويستثنى من ذلك حالان:

الأولى: قيام الحاجة إلى عمل المرأة في مجال التمريض والتطبيب حيث لم توجد الكفاية من الرجال، فقد روت الربيع بن معوذ فقالت: «كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنسقي القوم الماء ونخدمهم ونرد الجرحى والقتلى إلى المدينة» أخرجه البخاري.

الثانية: أن يصير الجهاد فرض عين فيتعين الخروج للقتال على كل قادر من الرجال والنساء، كأن يهجم العدو على بلاد المسلمين أو في حال استنفار الإمام للناس، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا» أخرجه البخاري، ولقد نصّ الفقهاء على أنه يتعين الجهاد بتعيين الإمام ولو لصبي مطيق للقتال أو امرأة، ومعنى تعيين الإمام إلجاؤه وجبره عليه كما يلزمه بما فيه صلاح حاله. (ر: الموسوعة الفقهية: مصطلحات: جهاد، أنوثة، اختلاط، امرأة، استئذان».

هذه الفتاوى منتقاة مما تصدره إدارة الافتاء والبحوث الشرعية في وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت. والمجلة على استعداد لتلقي الأسئلة مباشرة وتحويلها الى أهل الاختصاص للإجابة عليها.

هاتف مباشر
خدمة الفتوى داخل الكويت
149

من خارج دولة الكويت المفتاح الدولي 00965
244 44 05 / 242 29 34 / 246 69 14

فاكس
245 25 30

آراء فقهية معاصرة

القرضاوي يعتبر إمامة المرأة صلاة الجمعة بدعة منكرة

استنكر الداعية الإسلامي الشيخ يوسف القرضاوي إمامة مسلمة أميركية صلاة الجمعة في الولايات المتحدة، معتبراً ذلك «بدعة منكرة».

وأصدر القرضاوي فتوى بعد قيام أمينة ودود، بإمامة صلاة جمعة في كنيسة انغليكانية في مانهاتن «نيويورك» بعد ما رفضت ثلاثة مساجد إقامة هذه الصلاة فيها.

واستشهدت ودود في خطبتها التي حضرها نحو ١٥٠ مسلماً أغلبهم من النساء بعدد كبير من الآيات القرآنية، على وحدانية الله والاجتهاد في الدين، في إشارة إلى المساواة بين الجنسين.

وقال القرضاوي في فتواه «لم يعرف في تاريخ المسلمين خلال ١٤ قرناً أن امرأة خطبت الجمعة وأمت الرجال».

وأضاف أن مثل هذا الأمر لم يحدث «حتى في بعض العصور التي حكمت فيها امرأة مثل شجرة الدر في مصر المملوكية، حيث لم تكن تخطب الجمعة أو تؤم»، وخلص إلى أن هناك «إجماعاً يقينياً» برفض هذا الأمر.

وقال القرضاوي في معرض رده على السيدة الأميركية التي أثارت مبادرتها جدلاً واسعاً، أن «المذاهب الإسلامية الأربعة، بل الثمانية اتفقت على أن المرأة لا تؤم الرجل في الفرائض»، مضيفاً «وإن أجاز بعضهم أن تصلي المرأة القارئة للقرآن بأهل دارها، باعتبارهم محارم لها»، لكنه في المقابل أقر

الشيخ يوسف القرضاوي

إمامة المرأة النساء وحدهن، قائلاً إن «فيها أكثر من حديث».

وقال في هذا السياق: «ليت أخواتنا المتحمسات لحقوق المرأة يحيين السنة التي ماتت، من صلاة المرأة بالنساء، بدل إحداث هذه البدعة المنكرة: صلاة المرأة بالرجال». وأشار إلى أن «الأصل في (فقه) العبادات في الإسلام هو الحظر والمنع، إلا ما أذن به الشرع بنصوص صحيحة صريحة، حتى لا يشرع الناس في الدين ما لم يأذن به الله». وتساءل القرضاوي «ما بال نسائنا (... يثرن ما يشق الصفوف بين المسلمين في وقت هم أحوج ما يكونون فيه إلى لم الشمل وجمع الصف لمواجهة الفتن والأزمات والمكايد الكبرى التي لا تريد أن تبقي لهم من باقية»؟

وكانت أمينة ودود صرحت بأن «هذا الأمر ناتج من عادات وتقاليد بالية وليس من الدين في شيء». وقال إنها ستطالب «بحق النساء المسلمات في المساواة مع الرجال في التكاليف الدينية كحق المرأة في الإمامة، وعدم ضرورة أن تصلي النساء في صفوف خلفية وراء الرجال».

غير أن القرضاوي رد بتأكيد أن «هذه الأحكام الشرعية ثابتة بأحاديث صحيحة، ومستقرة بإجماع المسلمين المتصل بعملهم خلال القرون الماضية، في جميع المدارس والمذاهب، وليس مجرد عادات وتقاليد كما قيل».

وأوضح أن «الصلاة في الإسلام ليست مجرد ابتهال ودعاء كالصلاة في النصرانية، بل فيها حركات وقيام وقعود وركوع وسجود»، مضيفاً أن «هذه الحركات لا يحسن أن تقوم بها امرأة بين يدي الرجال، في عبادة يتطلب فيها خشوع القلب، وسكينة النفس، وتركيز الفكر في مناجاة الرب».

وتابع أن «حكمة الله تعالى قضت أن يخلق جسم المرأة على نحو يخالف جسم الرجل، وجعل فيه من الخصائص ما يثير الرجل، ويحرك غريزته، حتى يتم الزواج الذي يحدث به النسل، ويستمر به النوع»، مستطرداً أنه تجنباً لأي فتنة وسداً للذريعة جعل الشرع الإمامة والأذان والإقامة للرجال، وجعل صفوف النساء خلف صفوف الرجال، وجعل خير صفوف الرجال أولها، وجعل خير صفوف النساء آخرها».

وشيخ الأزهر: إمامة المرأة للرجال في الصلاة لا تجوز شرعاً

الدكتور محمد سيد طنطاوي

ومن جانب آخر، أكد شيخ الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوي أن إمامة المرأة للرجال في الصلاة أو خطبتها للجمعة أمر لا يجوز شرعاً، ولا يسع بأي حال من الأحوال. وصرح طنطاوي أن علماء الأمة قديماً وحديثاً أجمعوا على أن الإمامة في الصلاة لا تكون إلا للرجل، مشيراً إلى أن موقف أساتذة الدراسات الإسلامية في جامعة فيرجينيا د. أمينة عبدالودود، وعزمها إمامة المصلين الجمعة يدخل في إطار عدم فهم أحكام الشريعة. وكل من يفعل ذلك فهو متخطئ ويخالف أحكام الشريعة. يذكر أن د. أمينة خطبت في الرجال والنساء يوم ١٨ مارس الماضي في قاعة «ساندرام تاجوز» وامتهم في الصلاة، بحجة أن هناك روايات عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه رأى امرأة تؤم الرجل في الصلاة وأقرها على ذلك، ونفى العميد السابق لكلية الشريعة د. رأفت عثمان، وجود أي نصوص شرعية صحيحة تثبت صحة إمامة المرأة، وقال: إن إجماع العلماء منعقد على عدم جواز إمامتها للرجال في الصلاة، وأكد رئيس جامعة الأزهر السابق د. أحمد عمر هاشم، أن إمامة المرأة لا تجوز إلا للنساء فقط، لأن الذكورة شرط في فرض الجمعة.

مسك الختام

بقلم الدكتور/
رفيق حسن الحليمي
كاتب واكاديمي فلسطيني

صفحات مشرقة من حياة النبيّ ﷺ

صفحات كثيرة، يضيق عنها الحصر والإحصاء والعد، نأتي على قليل منها، مما له دلالة على سموّ خلقه صلى الله عليه وسلم، وسماحته وكرمه، وعفوه عند المقدرة إلا في شرك أو كفر أو ظلم أو حدّ من حدود الله، فقد كان شديداً في الحق، لا تأخذه في الله قرابة أو عصبية أو قبليّة، أو لومة لائم، ولاترهبه جموع الأحزاب، ولا نفاق المنافقين، وكيد الكائدين، ولا يثنيه عن رسالته والمضي فيها شيء من عرض الدنيا من مال أو جاه أو ملك.

❖ تعرّض النبيّ ومن معه لأذى قريش فارتحل إلى الطائف لعله يجد فيه ملاذاً آمناً، غير أنه لقي الأذى فجلس يدعو ربه فجاءه أحد الملائكة وعرض عليه أن يطبق الأخشبين (جبلين) عليهم، فأبى، لعل الله يبعث فيهم من يعبده ويوحده، وهذا ماكان.

❖ وعندما أظهر الله الإسلام وفتح النبيّ مكة قال لأهلها الذين أخرجوه منها: قولته المعروفة: اذهبوا فأنتم الطلقاء. فأي عفو بعد هذا العفو الذي لم يشهده تاريخ الأمم والحضارات والمعارك والفتوحات، وهي مقولة لها دلالة عظيمة في ميزان الدين الحنيف والأخلاق السمحة.

❖ في بعض السرايا وقع بعض الأسرى، وكان من بينهم ابنة حاتم الطائي الشاعر المعروف بكرمه، فأطلقها النبيّ، لأن أباها كان يكرم الضيف.

❖ وفي المدينة حيث آخى بين المهاجرين والأنصار وجعلهم أمة واحدة، فنوصوا أمر الرياسة والقيادة والسلطة الدينية والدنيوية إليه، وقد أذعن اليهود في المدنية بمختلف قبائلهم لتلك السلطة، فشملتهم «وثيقة المدينة» التي وضعها النبيّ لتحدد الحقوق والواجبات على الجميع.

❖ كان النبيّ متواضعاً في سلوكه (واخفض جناحك للمؤمنين)، وفي تعامله مع الجميع، وفي رحمته (بالمؤمنين رؤوف رحيم)، ولم يفرق بين واحد وآخر على أساس من اللون أو القبيلة أو العرق، وكانت «التقوى» عنده هي ميزان القربى والمودة والتفاضل عملاً بقوله تعالى: (إن أكرمكم عند الله أتقاكم).

❖ ولم يدخل قلبه غرورٌ بنصر يحققه، أو شماتة في الأعداء لهزيمة تحل بهم، وإنما كان يتهلل بشراً لنصرة الإسلام وللمجاهدين في سبيله، وكان يعبّر عن ذلك البشر بالإكثار من ذكر الله وحمده وشكره واستغفاره.

❖ عندما سرقت امرأة وأراد الرسول أن يقيم عليها الحد، جاءه زيد بن حارثه - حبّ رسول الله - ليشفع لها عنده، فغضب الرسول، وقال: «أتشفع في حد من حدود الله.. والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها».

❖ كان يعود المريض ويلتقي بغير المسلمين ويحاورهم بالحسنى ويزورهم ويتناول طعامهم، وقد مرت جنازة يهودي فوقف، فقيل له إنها ليهودي فلم يمنعه ذلك من الاستمرر في الوقوف إجلالاً لرهبة الموت.

❖ ومع أن الرسول معصوم، ولا ينطق عن الهوى، فقد كان يستشير من يراه أهلاً للمشورة عملاً بقوله تعالى: (وشاورهم في الأمر)، وكان يأخذ بالمشورة إذا رآها في الصالح العام ولا تتعارض مع الدين وجوهر الإسلام.

❖ في دراسة أجريت منذ بضع عشرة سنة، شارك فيها أكاديميون وفلاسفة ومفكرون ومستشرقون منصفون من مختلف الجنسيات حول أعظم شخصية ظهرت في التاريخ، فكانت شخصية المصطفى عليه الصلاة والسلام ■

لا مكافاة أفضل من الفوز بتسع جوائز جديدة

لخدماتها
على
الطائرة

اليوبيل الذهبي

مبروك

50

اليوبيل الذهبي
GOLDEN JUBILEE
1954 - 2004

الخطوط الجوية الكويتية